من الأسرار البلاغية
في صيغة التشهد

إعداد:

دكتور / محمود شعبان محمد حميدة

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بالقاهرة

من الأسرار البلاغية في صيغة التشهد

محمود شعبان محمد حميدة

قسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني:abuhafseg22@gmail.com

الملخص :

هذه دراسة تجتهد في استكشاف دقائق الأسرار في صيغة التشهد، وتتلمس شيئًا من دلالاتها، والتشهد ذكر من أعظم الأذكار التي علمنا إياها رسول الله ﷺ بما يحمله من عظيم المعاني، وأكثرها دورانًا على لسان المسلم؛ إذ إنه من أذكار الصلاة، والصلاة لا تسقط عن المسلم بحال؛ فلذا فإن المسلم يقول هذا الذكر في يومه تسع مرات في الفريضة، فيا حبذا لو فقه المسلمون معناه، وعلموا ما يستبطنه من خفايا الأسرار، ولطائف الإشارات، وعظيم المعاني؛ إذن لاستشعروا معنى ما يقولون، فيزيد إيمانهم، ويخرجوا من صلاتهم بمنهج نوراني ينير لهم حياتهم، من هنا كان هذا الذكر العظيم محلًا للدرس والنظر؛ لذا توجهت عنايتي إليه، وصرفت همتي إلى الوقوف على ما فيه من أسرار.

وقد حاول البحث ـ متكئًا على المنهج التحليلي ـ الوقوف المتأني مع ألفاظ التشهد، وبناء جمله؛ ليبرز دقائق أسراره، ويتفطن إلى ما يحويه من دلالات.

الكلمات المفتاحية: الله، التشهد، التحيات، الصلوات، الطيبات، السلام، النبي، عباد الله الصالحين.

Some The rhetorical Secrets of *al-tashahhud*

Maḥmūd Sha'ban Muḥammad Ḥimīdah

Assistant Professor of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic language, al-Azhar University.

Email. Abuhafseg22@gmail.com

Abstract:

This study reveals the minute secrets of al**-**tashahhud and attempts to shed the light on some of its significance. al-tashahhud is one of the greatest remembrance dhikr that the prophet (peace be upon him) taught us because it contains glorious meanings and it is very reiterated since it is part of the prayer. Every Muslim says it at least nine times a day in the obligatory prayers so what if Muslims understand its meaning and learn its tacit secrets and latent references. They would feel what they utter, increase their faith and conclude their prayers with an illuminative approach to their life. Hence, *al*-tashahhud has been a subject of study and I devoted my care and effort to discover its secrets.

Following an analytical method, this paper meticulously looks at the words and structure of *al*-tashahhud in order to clarify its minute secrets and discern its significance.

Keywords: Allah, tashahhud, tahiyyat, salawat, tayybat, al-Salam, al-Nabi, Ibad Allah al-Salihin

مقدمة

"التَّحِيَّاتُ لِله، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ".

وبعد:

فهذه وقفة تحليلية لنص نوراني نبوي مقدس . بل هو أقدس نصّ بعد كلام الله؛ لأنه من كلام رسول الله ﷺ ويتعلق بجلال الله . عز وجلَّ . ويقال في أشرف المواطن، وأعظم العبادات، ومستوحى من كلام الله . تعالى .؛ لفظًا ومعنى، فاجتمع له جلال الوحيين، وشعت فيه أنوارهما، جلال الوحي الإلهي . فجلُّهُ مستلهم منه . وجلال البيان النبوي، ذكر جميل جليل، قليل المبنى، غزير المعنى، عظيم الأثر، ينبه الغافل، ويذكره بجلال من يقف بين يديه، فيستشعر بذلك عظمته . سبحانه . ضراعة جامعة تجمع بين سهولة اللفظ وقوة المعنى، بين العبودية والعزة، عبودية المخلوق للخالق، وعزة المخلوق بالخالق.

فإذا قال المسلم . موقنًا . (التحيات لله) واستشعر معناها كان الناس في عينه وقلبه صغارًا، كما هي حقيقتهم في هذا الوجود، لا يملكون من الأرض ولا من السماء شيئًا، قال تعالى:﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ [الفرقان: ٣]، فهو من الذكر الذي يجتمع به القلب، وتسكن به النفس، حين يمتلئ قلب العبد بتعظيم الله . جلَّ وعلا . دون سواه، ومن تعظيم رسول الله ﷺ لهذا النص المقدس أنه ﷺ كان يعلمه أصحابه . رضوان الله عليهم . كما يعلمهم السورة من القرآن الكريم.

وهذا الذكر يحمل كثيرًا من معاني الجلال والكمال لله ـ جلَّ وعلا ـ ويجمع أنواعًا من المعانِي المنبئة عن الجلال لا يجمع ذلك غيره من صنوف الذكر؛ فلذا فإنه يختص بزيادة شرف، وقد جاء في السنة ما ينبئ عن جلاله ومكانه.

إن نصًّا له هذه القدسية، وبه هذه الفيوضات من المعاني حريٌّ بتوجه الدرس البلاغي إليه؛ ليجلي أسراره، ويشرح فقه معانيه، ففي موطن التشهد، وحكمه، وهيئة المتشهد، وألفاظ التشهد، وصياغته، خصائص وأسرار تحتاج إلى تأمل ونظر للوقوف عليها، ومعرفة ما تفضي إليه من أسرار ودلالات؛ لذا عقدت العزم على تناول صيغة التشهد بالدرس، لإبراز ما فيها من معانٍ وأسرار، وتجلية ما يكمن تحت ألفاظها من عطاءات؛ حتى يتبين المسلم ما تحمله صيغة التشهد من معانٍ فيستحضرها عند قوله، ولا يردد التشهد على أنها ذكر وثناء فحسب، وقد سلكت في سبيل ذلك المنهج التحليلي.

وقد اقتضت طبيعةُ البحثِ أن يرد في: مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثة مباحث، وخاتمةٍ، وثَبَتِ المصادرِ والمراجعِ، وفهرسِ الموضوعات.

في المقدمةِ: بينتُ أهميةَ الموضوعِ، وسببَ اختياره، وأهميةَ دراستِه، وغايتَه، ومنهجَ الدراسةِ، وخطةَ البحثِ.

التمهيد: يشتمل على التعريف بالمراد بالتشهد، وفضل التشهد، وروايات التشهد، واختيارات الفقهاء، والترجيح بين الروايات، وحكم التشهد، وفقه التشهد.

وقُسِّمَ البحثُ ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: سياق التشهد، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: بين يدي التشهد.

المطلب الثاني: سياق التشهد.

المطلب الثالث: وقفة تحليلية لسياق التشهد.

المطلب الرابع: نظرة في سياق التشهد.

المبحث الثاني: دقائق الأسرار في صيغة التشهد، وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دقائق الأسرار في صيغة تمجيد الله في التشهد.

المطلب الثاني: دقائق الأسرار في الدعاء في التشهد.

المطلب الثالث: دقائق الأسرار في صيغة الشهادتين.

المبحث الثالث: وقفة مع صيغة التشهد، وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موازنة وتحليل.

المطلب الثاني: تأثر البيان النبوي بجلال أنوار الوحي الإلهي.

المطلب الثالث: من الخصائص البلاغية في صيغة التشهد.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وثبت المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وأسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يغفر لي ما فيه من الزلل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

كتبه

د/ محمود شعبان محمد حميدة

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بالقاهرة

تمـــهـيـــد

تعريف التشهد:

التشهد: تفعل من تشهد تشهدًا، واشتقاقه من الشهادة، وهي قول العبد: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله)[١]، والمراد به هنا تشهد الصلاة، وهو ألفاظ التحيات التي يقولها المسلم في جلوس الصلاة الأول والأخير في الصلاة الرباعية والثلاثية، وفي الجلوس الأخير في الصلاة الثنائية، وسميت التحيات بالتشهد حتى صار علمًا عليها؛ لكونها اشتملت على النطق بالشهادتين، وهو مجاز مرسل من باب إطلاق الجزء على الكل، وسميت به؛ لكونه أشرف أجزائها.

وسمي هذا الذكر بالتحيات، وهو الثناء الحسن؛ لاشتماله عليه، بل إن التحيات هي أم هذا الذكر وأصله، والمعنى الذي اجتلب له هذا الذكر كله.

وسمي بالتسليم، فقد ورد عن بعض صحابة رسول الله ﷺ تسميتها بذلك؛ لما فيها من التسليم بقوله: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين": "وَالتَّسْلِيمُ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عِبَارَةٌ عَنْ التَّشَهُّدِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ السَّلَامِ، كَمَا فِيهِ مِنْ الشَّهَادَةِ عَلَى مَا مَرَّ "[٢].

وسمي بالدعاء وذلك عند ابن حجر؛ لاشتماله علىه في قوله ﷺ: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"، فهذا كله دعاء[٣].

---

١)) ينظر: لسان العرب، مادة: شهد، ٢٣٩/٣.

٢)) بدائع الصنائع، ٢٨٥/١.

٣)) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٦٥٤/٢.

ولكن غلب اسم التشهد على هذا الذكر، وصار علمًا عليه مع كونه أقل أجزائه، فلم يستغرق منه إلا جزءًا يسيرًا؛ لأن الشهادة أعظم شيء فيه وأجله، فشهادة الحق هي أشرف ما ينطق به العبد؛ إذ هي مفتاح الإسلام، وأول أركانه، يقول العيني: "فإن قلت: في التحيات أشياء غير التشهد، فما وجه التخصيص بلفظ التشهد؟ قلت: لشرفه على غيره؛ من حيث إنه كلام به يصير الشخص مؤمنًا، ويرتفع عنه السيف، وينتظم في سلك الموحدين الذي به النجاة في الدنيا والآخرة"[١]، فتسمية التحيات بالتشهد مع اشتمالها على تمجيد الله، وافتتاحها بذلك، والسلام والدعاء لرسول الله ﷺ والصالحين، دلالة على أن الشهادتين هما أم الكلام، ورأس الثناء.

فالشهادة أشرف أجزاء التشهد، ولا يقوم شيء منها مقامها، وقد اشترط الإمام عبد القاهر الجرجاني شرطًا في تسمية الشيء باسم جزئه هو: أن ألا يقوم الكل إلا بهذا الجزء، ولا يغني الكل شيئًا مع فقد هذا الجزء، فيقول: "كنحو ما بين الجزء من الشخص وبين جملة الشخص، كتسميتهم الرجل عَيْناً، إذا كان ربيئةً...فالعين لما كانت المقصودة في كون الرجل ربيئةً، صارت كأنها الشخص كلُّه؛ إذْ كان ما عداها لا يُغنى شيئًا مع فقدها"[٢]، فالشهادة هي الركن الأول من أركان الإسلام، ولولاها ما كان المرء مسلمًا، فما عدا الشهادة من ألفاظ التحيات مع فقدها لا يغني شيئًا، ولا يقوم شيء مما اشتملت عليه ألفاظ التحيات مقامها، ولولا الشهادة ما كان شيء من الثناء والتمجيد، فالشهادة أولًا، ثم يتلوها الثناء والتمجيد لله.

---

١)) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٥٦٣/١.

٢)) أسرار البلاغة، ص ٣٩٧.

ففي غيبة الشهادة لا قيمة لصلاة، ولا لزكاة، ولا لصيام، ولا لحج، بل إن الخطاب بهذه الأركان لا يتجه إلا إذا خطا المخاطب الخطوة الأولى، فنطق بالشهادتين، وأقر بهما، وسقوطهما يجعل كل الأوامر بإقامة أركان الإسلام لغوًا من القول لا يصح ولا يفيد، وباطلًا لا يقبل من فاعله، ولا ينفعه[1].

فضل التشهد: أفضل ما يقول العبد هو تعظيم الله والثناء عليه . جلَّ جلاله .؛ لذا كان أول آيات الكتاب المجيد بعد البسملة ثناء على الله . سبحانه . وهو قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، وجاء في الحديث أن الثناء على الله . تعالى . هو أحق ما يقول العبد، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ . رضي الله عنه . قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ قَالَ: "رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ..." [2]، والتشهد بكل حروفه تعظيم وثناء لله . جلَّ وعلا.

ويستمد التشهد فضله من كونه ذكرًا من أذكار الصلاة خصه رسول الله ﷺ بمزيد العناية والاهتمام حتى علمه أصحابه، فقالوا: "علمنا رسول الله ﷺ التشهد"، وما قالوا: قال رسول الله ﷺ، وتلقاه من بعده أصحابه بالعناية والاهتمام، حتى كان خليفته أبو بكر . رضي الله عنه . يعلمه الناس وهو على المنبر، ومن بعده أمير المؤمنين عمر . رضي الله عنه . يفعل ذلك.

---

[1]) ينظر: السنة بيانًا للقرآن، ص ١٢٥.

[2]) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، رقم الحديث: ٤٧٧، ٣٤٧/١.

روايات التشهد: اختلفت الروايات عن النبي ﷺ في صيغة التشهد، فورد في كتب الحديث روايات متعددة، هي:

١. رواية ابن مسعود . رضي الله عنه . رواه أصحاب الكتب الصحاح الستة، ولم يخرج البخاري غيره، وخرجه في أكثر من باب، ولم تختلف صيغة التشهد المروية عن ابن مسعود بين المحدثين، فقد روى البخاري عن شَقِيقٍ عَنْ عَبْدِ الله . رضي الله عنه . قَالَ: "كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلاَةِ، قُلْنَا: السَّلاَمُ عَلَى الله مِنْ عِبَادِهِ، السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَقُولُوا: السَّلاَمُ عَلَى الله، فَإِنَّ الله هُوَ السَّلاَمُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِله، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو»[١].

٢- رواية ابن عباس . رضي الله عنهما . رواه أصحاب الكتب الستة إلا البخاري، فقد روى الإمام مسلم عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعَنْ طَاوُوسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ . رضي الله عنهما . أَنَّهُ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَكَانَ يَقُولُ: التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِله، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله" [٢]، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ كَمَا يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ.

---

١)) صحيح البخاري، كتاب: أبواب صفة الصلاة، باب: التشهد في الآخرة، رقم: ٨٣٥، ١٦٧/١.

٢)) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة، رقم الحديث: ٨٣٢، ٣٠٢/١.

وروى الترمذي في سننه والنسائي عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَطَاوُسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . رضي الله عنهما . قَالَ: "كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا القُرْآنَ، فَكَانَ يَقُولُ: «التَّحِيَّاتُ المُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِله، سَلَامٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، سَلَامٌ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله». «حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»[1]، بتنكير السلام في الموضعين.

٣ . رواية عمر . رضي الله عنه . روى الإمام مالك عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ؛ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ . رضي الله عنه . وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يُعَلِّمُ النَّاسَ التَّشَهُّدَ، يَقُولُ: "قُولُوا: التَّحِيَّاتُ للهِ، الزَّاكِيَاتُ للهِ، الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ للهِ؛ السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه" [2].

٤- رواية أبي موسى الأشعري . رضي الله عنه . رواه الإمام مسلم، والنسائي، وابن ماجه، وأبو داود، فقد روى الإمام مسلم والنسائي عَنْ حِطَّانَ بْنِ عَبْدِ الله، أَنَّ الْأَشْعَرِيَّ . رضي الله عنه . قال: "فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْقَعْدَةِ فَلْيَكُنْ مِنْ أَوَّلِ قَوْلِ أَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ: التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لِله، السَّلَامُ عَلَيْكَ

---

[1]) سنن الترمذي، أبواب: الصلاة، باب ما جاء في التشهد، رقم الحديث: ٢٩٠، ٨٣/٢، وسنن النسائي، كتاب: التطبيق، باب: الإشارة بالأصبع في التشهد الأول، رقم ١١٧٤، ٢٤٢/٢.

[2]) موطأ الإمام مالك رواية محمد بن الحسن، أبواب الصلاة، باب: التشهد في الصلاة، رقم: ١٤٧، ٢٣١/١، والشافعي في الرسالة، وعبدالرزاق، والدار قطني، والبيهقي، وقال الزيلعي في نصب الراية: "وهذا إسناده صحيح ".

أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ"[١]، وفي الموطن الذي يليه يروي النسائي الإسناد نفسه بزيادة: "وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ".

٥ . رواية عائشة . رضي الله عنها . فقد روى الإمام مالك عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ إِذَا تَشَهَّدَتِ: "التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ، الصَّلَوَاتُ الزَّاكِيَاتُ لِله، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ" [٢]، وصلت السلام بآخر التشهد.

٦ . رواية جابر . رضي الله عنه . رواه النسائي، وابن ماجه، فقد روى النسائي عَنْ جَابِرٍ . رضي الله عنه . قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ بِسْمِ الله وَبِالله، التَّحِيَّاتُ لِله وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَسْأَلُ الله الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِالله مِنَ النَّارِ»[٣]، وفي رواية له بالإسناد نفسه بإسقاط "أشهد"

---

[١]) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة، رقم الحديث: ٤٠٤، ٣٠٣/١، وسنن النسائي، كتاب: التطبيق، باب: الإشارة بالأصبع في التشهد الأول، رقم ١١٧٢، ٢٤٢/٢.

[٢]) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب: النداء للصلاة، باب: التشهد في الصلاة، رقم: ٥٠١، ١٩٤/١، ومصنف ابن أبي شيبة، كتاب: الصلوات، في التشهد في الصلاة كيف هو، رقم: ٢٩٩٣، ٢٦١/١، والبيهقي، وصححه الألباني في صفة الصلاة.

[٣]) سنن النسائي، كتاب: التطبيق، باب: الإشارة بالأصبع في التشهد الأول، رقم: ١١٧٥، ٢٤٢/٢.

من قوله: "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ"، وزاد ابن ماجه "لله" بعد الطيبات[١].

٧ . رواية ابن عمر . رضي الله عنهما . رواه أبو داود بقوله: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا، يُحَدِّثُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ . رضي الله عنهما . عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي التَّشَهُّدِ: "التَّحِيَّاتُ لِله، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ – قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: زِدْتَ فِيهَا: وَبَرَكَاتُهُ – السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله – قَالَ ابْنُ عُمَرَ: زِدْتُ فِيهَا: وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ – وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ "[٢].

اختيارات الفقهاء[٣]: جاء التشهد عن النبي ﷺ من روايات متعددة تتفق في معناها، مع اختلاف في بعض ألفاظها بزيادة أو نقص، فالاختلاف بينها تنوع وليس تضاد، وقد اتفق العلماء على حسنها جميعًا، وجوازها كلها، فلا نزاع في أصل الثبوت عنه ﷺ، بل فيما كان يعتنى به أكثر، أو فيما وصل إلينا برواية أصح، والجواز بالكل كخلاف الروايات القرآنية، فكل ما ورد عن الصحابة من الروايات عن رسول الله ﷺ كله مجزئ يتأدى به الكمال، صحيح تصح الصلاة به، وإجماع العلماء منعقد على أن أي تشهد ورد فإنه يجزئ، فلا خلاف في أنه يجوز للمصلي الصلاة بأيها شاء، على ألا يجمع بينها،

---

١)) سنن ابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في التشهد، رقم: ٩٠٢، ٢٩٢/١.

٢)) سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، أبواب: الركوع والسجود، باب: التشهد، رقم: ٩٧١، ٢٥٥/١.

٣)) ينظر: شرح النووي على مسلم ١١٥/٤، ١١٦، وفتح الباري لابن رجب، ٧/ ٣٣١، وفتح الباري لابن حجر،٢/ ٣١٦، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ١٣٨/١، ١٣٩، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/ ٧٣٣.

بل تذكر كل واحدة منفردة، أما الخلاف فإنه في الْمُخْتَارِ مِنَ التَّشَهُّدِ والأفضل، فكل مذهب اتفق على رواية، وله حجته، على النحو الآتي:

١ . اختار أهل الكوفة (أبو حنيفة)، وغيره تشهد عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . قال أبو عمر : وبه قال أحمد بن حنبل، وجمهور الفقهاء، وأكثر أهل الحديث؛ لثبوت نقله عن رسول الله ﷺ، فهو عند المحدثين أشد صحة، وإن كان الجميع صحيحًا، ويقول ابن رجب: "ولم يخرج البخاري في التشهد غير تشهد ابن مسعود، وقد أجمع العلماء على أنه أصح أحاديث التشهد"[١].

٢ . اختار الإمام مالك تشهد عمر – رضي الله عنه – الموقوف عليه، وحجته أن التشهد لا يكون إلا توقيفًا عن النبي ﷺ، وعمر . رضي الله عنه . كان يعلمه الناس على المنبر بحضرة جماعة الصحابة . رضوان الله عليهم . وأئمة المسلمين، من غير نكير عليه، فلم ينازعه أحد من الصحابة، ولا خالفه، وكان يعلمه من لم يعلمه من التابعين والداخلين في الدين، ولم يثبت أن أحدًا من الصحابة قال له ليس كما وصفت، أو أن غيره يجري مجراه، فثبت بذلك إقرارهم، وموافقتهم إياه على تعيينه، فكان هذا إجماعًا، وجرى تشهده مجرى الخبر المتواتر ، ودل هذا على تفضيله، ولو كان غيره من التشهد يجري مجراه؛ لقال له الصحابة . وكانوا متوافرين في زمانه .: إنك ضيقت على الناس واسعًا، وقصرتهم على ما هم مخيرون بينه وبين غيره، وقد أباح النبي ﷺ في القرآن القراءة بما تيسر علينا من الحروف السبعة، فكيف بالتشهد، وليست له درجة القرآن أن يقصر الناس فيه على لفظ واحد ويمنع ما تيسر مما سواه، ولما لم يعترض عليه أحد بذلك، ولا بغيره، علم أن التشهد المشروع هو تشهد عمر . رضي الله عنه . وقال الداودي: اختيار الإمام مالك لتشهد عمر . رضي الله

---

١)) فتح الباري، لابن رجب، ٧/ ٣٣١.

عنه . هو على وجه الاستحسان، وكيفما تشهد المصلي عنده جائز، وليس في تعليم عمر . رضي الله عنه . الناس هذا التشهد منع من غيره، ويرى جمع من العلماء أن ترجيح الإمام مالك ليس بقوي؛ لأن سيدنا أبا بكر الصديق . رضي الله عنه . علم الناس تشهد ابن مسعود على المنبر، فيكون الآخذ به أولى[1].

٣ . اختار الشافعي، وأصحابه، وبعض أصحاب مالك تشهد عبد الله بن عباس . رضي الله عنهما . الذي رواه عن النبيّ ﷺ؛ بناء على أنه أكثر ألفاظ الثناء؛ لزيادة المباركات، ولأنه أقرب إلى موافقة لفظ القرآن، وأشرف الكلام ما وافق القرآن، فلفظ المباركات، مثله في قوله . تعالى .: ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]، وذكر السلام بغير الألف واللام، وأكثر تسليمات القرآن بغير الألف واللام، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [الزمر: ٧٣][2]، ورد هذا: بأن السلام جاء كذلك معرفًا بالألف واللام، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧]،ولأنه أكده بقوله: "يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن"، وقال الشافعي بعد أن خرج حديث ابن عباس: "وَقَدْ رُوِيَتْ فِي التَّشَهُّدِ أَحَادِيثُ مُخْتَلِفَةٌ كُلُّهَا، فَكَانَ هَذَا أَحَبَّهَا إلَيَّ؛ لِأَنَّهُ أَكْمَلُهَا"[3]، وقال في موضع آخر: "وإنما قلنا بالتشهد الذي روي عن ابن عباس . رضي الله عنه .؛ لأنه أتمها، وأن فيه زيادة على بعضها بالمباركات"[4]، ورُدَّ عليه: بأن الزيادة لو كانت مرجحة لرجح بتشهد ابن عباس . رضي الله عنه . تشهد جابر . رضي الله عنه

---

[1]) ينظر: المبسوط، ١/ ٢٨، والاستذكار، ١/ ٤٨٣، والمنتقى شرح الموطأ، ١/ ١٦٧.

[2]) ينظر: المبسوط للسرخسي، ١/٢٨.

[3]) الأم للشافعي، ١/١٤٠

[4]) الأم للشافعي مع مختصر المزني، ١/١٤٢.

. وفيه زيادة: "بسم الله، وبالله"، وتشهد ابن مسعود . رضي الله عنه . وفيه زيادة الواو، والألف واللام، وعبده[١].

ونقل ابن حجر أن الإمام الشافعي سُئل عن اختياره تشهد ابن عباس . رضي الله عنهما . فقال: لما رأيته واسعًا، وسمعته عنه صحيحًا كان عندي أجمع، وأكثر لفظًا من غيره، وأخذت به غير معنف لمن يأخذ بغيره مما صح، وأما ترجيح تشهد ابن عباس . رضي الله عنهما .؛ بكونه من أحداث الصحابة، فيكون أضبط لما روى، أو بأنه أفقه من رواه، فلا وجه له، ولا يصلح حجة لمن رجح، والزيادة التي في حديث ابن عباس . رضي الله عنهما . وهي المباركات لا تنافي رواية ابن مسعود . رضي الله عنه . ورُجح الأخذ بها؛ لكونه أخذ عن النبي في الأخير؛ لأنه من فتيان الصحابة، فهو يختار ما استقر عليه الأمر آخرًا، أما ابن مسعود . رضي الله عنه . فهو من شيوخ الصحابة ينقل ما كان في الابتداء[٢]، ورد السرخسي بأن هذا يؤدي إلى تقديم الأحدث من الصحابة على المهاجرين الأولين، ولا أحد يقول بذلك[٣].

وقد قيل: "تخصيص بعضها دون بعض . كما يفعله بعض الفقهاء . قصور باع، وتحكم محض، وأما اختيار الأصح منها وإيثاره مع القول بإجزاء غيره فهو من اختيار الأفضل من المتفاضلات، وهو من صنيع المهرة بعلم الاستدلال"[٤].

---

١)) ينظر: العناية شرح الهداية، ١/ ٣١٤.

٢)) ينظر: فتح الباري لابن حجر، ٢/ ٣١٦، والمبسوط للسرخسي، ٢٧/١.

٣)) ينظر: المبسوط، ١/ ٢٨.

٤)) الروضة الندية، ٢٧٢/١.

سَبَبُ اخْتِلَافِهِمْ: يرجع اختلافهم إلى اختلاف ظنونهم في الأرجح منها، فمن غلب على ظنه رجحان حديث ما من هذه الأحاديث الثلاثة مال إليه[1]، ومقصودهم جميعًا تعظيم الله . جلَّ وعلا . أو أن مرجع الخلاف، كما قال الإمام الشافعي: إن الاختلاف في التشهدات إنما نشأ عن أن بعضهم عبر بالمعنى دون اللفظ، وأقرهم ﷺ عليه؛ لأن المقصود الذكر، وتعقبه ابن حجر بقوله: بل المقصود هنا اللفظ؛ لأنه لا يجوز إبدال كلمة من التشهد الواجب برديفها، فكيف بغيره؟[2].

قال الشافعي: وقد روى أيمن بن نابل بإسناد له عن جابر . رضي الله عنه . عن النبي ﷺ تشهدًا يخالف هذا في بعض حروفه، وروى البصريون عن أبى موسى عن النبي ﷺ حديثًا يخالفهما في بعض حروفهما، وروى الكوفيون عن ابن مسعود . رضي الله عنه . عن النبي ﷺ في التشهد حديثًا يخالفها كلها في بعض حروفها، فهي مشتبهة متقاربة، واحتمل أن تكون كلها ثابتة، وأن يكون رسول الله ﷺ يعلم الجماعة والمنفردين التشهد، فبعضهم حفظ اللفظ والمعنى، وبعضهم حفظ الكلمة على المعنى دون اللفظ، ويحفظ أحدهم على لفظ، ويحفظ الآخر على لفظ يخالفه، لا يختلفان في معنى أنه إنما يريد به تعظيم الله . جلَّ ثناؤه وذكره . والتشهد والصلاة على النبي ﷺ فيقر النبي ﷺ كلًّا على ما حفظ، وإن زاد بعضهم كلمة على بعض، أو تلفظ بها بغير لفظه؛

---

[1]) ينظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ١/ ١٣٩.

[2]) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/ ٧٣٣.

وساغ ذلك؛ لأن المقصود هو الذكر، وكله ذكر، والمعنى غير مختلف[١]، ولما جاز في القرآن أن يقرأ بعبارات مختلفة كان في الذكر أجوز[٢].

ويؤيد ما مضى من وجوه بيان أسباب اختلاف الروايات أن جميعهم كان مقصدهم تعظيم الله. جلَّ جلاله. والمبالغة في الثناء عليه، فاختار لفظًا يعتقد أنه زيادة في التعظيم والثناء، ما روي عن ابن عمر. رضي الله عنهما. قوله صراحة: "زدت وحده لا شريك له".

وجوه اختيار تشهد ابن مسعود: لما رويت ألفاظ التشهد على هذه الوجوه المختلفة ذهب كثير من الفقهاء إلى أن هذا كله على التخيير كالأذان، والتكبير على الجنائز، وفي العيدين، وفي غير ذلك مما تواتر نقله، وهو الصواب والله أعلم[٣]، واتفقوا على أنه غير مخير في القراءة بأيها شاء، وأن المأمور به واحد منها، فلا حرج على من التزم صيغة من هذه الصيغ، وإنما الحرج أن يقرأ في كل صلاة بصيغة، أو يخلط بين هذه الصيغ؛ ليؤلف منها صيغة له.

وعدم اعتراض الصحابة. رضوان الله عليهم. على تشهد ابن مسعود. رضي الله عنه. حين كان سيدنا أبو بكر الصديق. رضي الله عنه. يعلمه الناس على المنبر، وعدم اعتراضهم على تشهد سيدنا عمر. رضي الله عنه. وهو يعلمه الناس على المنبر مع اختلاف رواياتهم دليل على الإباحة والتوسعة

---

١)) ينظر: السابق، ٢/ ٧٣١.

٢)) ينظر: اختلاف الحديث للشافعي، ٨/ ٦٠٠، والأم للشافعي مع مختصر المزني، ١/١٤٢.

٣)) ينظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ١/ ١٣٩.

فيما جاء عنه ﷺ من ذلك، والتشهد بجميع رواياته متقارب، قريب المعنى بعضه من بعض، إنما فيه كلمة زائدة في ذلك المعنى أو ناقصة[١].

وذهب أكثر العلماء إلى اختيار تشهد ابن مسعود . رضي الله عنه . وتفضيله، والأخذ به لوجوه[٢]:

١ . أجمع العلماء على أن لا ينبغي أن يتشهد إلا بخاص من التشهد؛ أي اتفقوا على أن التشهد لا يكون إلا بألفاظ مخصوصة، ولا يكون بأي لفظ، فإذا كان كذلك فالمتفق عليه أولى من المختلف فيه، فصار كون تشهد ابن مسعود متفقًا عليه دون غيره من مرجحاته؛ لأن الرواة عنه من الثقات لم يختلفوا في ألفاظه بخلاف غيره[٣].

٢ . عمل أكثر الصحابة وأكثر أهل العلم من التابعين بتشهد ابن مسعود؛ فقد روي عن ابن عمر، وأبي سعيد الخدري، وسلمان الفارسي، وابن جابر، ومعاوية، وغيرهم . رضوان الله عليهم . وهو قول علماء العراق من التابعين ومن بعدهم أن أبا بكر الصديق . رضي الله عنه . كان يعلمهم التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب، ثم ذكروا تشهد ابن مسعود . رضي الله عنه . وكان ذلك بمحضر من الصحابة من غير نكير، فيكون إجماعًا[٤].

---

١)) ينظر: الاستذكار، ١/ ٤٨٣، ٤٨٤.

٢)) ينظر: فتح الباري، لابن رجب٧/ ٣٣٢، ٣٣٣، وفتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣١٥، وشرح مختصر الطحاوي، ١/ ٦٣٠ . ٦٣٤، وتحفة الفقهاء، ١/ ١٣٧، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ١/١٢٢، وشرح أبي داود للعيني، ٤/ ٢٤٢.

٣)) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٦/ ١١٥.

٤)) ينظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ١/ ١٢١.

٣ . حسن ضبطه، وثبوت نقله من رسول الله ﷺ عند جميع أهل الحديث، "قال أبو حنيفة: أخذ حماد بيدي، وعلمني التشهد، وقال حماد: أخذ إبراهيم بيدي وعلمني التشهد، وقال إبراهيم: أخذ علقمة بيدي وعلمني التشهد، وقال علقمة: أخذ عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . بيدي وعلمني التشهد، وقال عبد الله . رضي الله عنه .: أخذ رسول الله ﷺ بيدي وعلمني التشهد، كما يعلمني السورة، وكان يأخذ علينا بالواو والألف واللام"[١]، وكان الصحابة . رضوان الله عنهم . يتعلمون التشهد من عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . كما يتعلمون السورة من القرآن، ويأخذ عليهم الألف والواو، فيحفظون عنه، ويتبعونه حرفًا حرفًا.

٤ . أنه متفق عليه، ثابت في الصحاح الستة، وقد اتفق أهل النقل على نقل تشهده وصحته حتى قال الترمذي، والخطابي، وابن المنذر، والطوسي، وابن عبد البر: تشهد ابن مسعود . رضي الله عنه . أصح حديث روي عن النبي ﷺ في التشهد، وأحسنها إسنادًا، والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة . رضوان الله عليهم . ومن بعدهم من التابعين، وهو قول سفيان الثوري، وابن المبارك، وأحمد، وإسحاق، وأخبر عبد الله بن المبارك، عن معمر، عن خصيف قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي المَنَامِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي التَّشَهُّدِ، فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِتَشَهُّدِ ابْنِ مَسْعُودٍ»[٢]، وعن جماعة من أهل النقل أن تشهد ابن مسعود . رضي الله عنه . أصح ما يروى، وقال علي بن المديني لم يصح من التشهد إلا ما نقله أهل الكوفة عن عبد

---

[١]) شرح سنن ابن ماجه، للسيوطي، ٦٤/١.

[٢]) سنن الترمذي، أبواب: الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في التشهد، رقم: ٢٨٩، ٨٢/٢.

الله ابن مسعود . رضي الله عنه . وأهل البصرة عن أبي موسى الأشعري . رضي الله عنه .[١]، وقال البزار لما سئل عن أصح حديث في التشهد قال: هو عندي حديث ابن مسعود، وروي من نيف وعشرين طريقًا، ثم سرد أكثرها، وقال: لا أعلم في التشهد أثبت منه، ولا أصح أسانيد، ولا أشهر رجالًا، ولا أشد تضافرًا بكثرة الأسانيد والطرق، ولا اختلاف بين أهل الحديث في ذلك، وممن جزم بذلك البغوي، وقال الشيباني: "فليس أحد جاء من التشهد بأوثق مما جاء به عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه ."[٢]، وقال النووي: أشدها صحة باتفاق المحدثين حديث ابن مسعود[٣]، ومن مرجحاته أنه متفق عليه دون غيره، وأن الرواة عنه من الثقات لم يختلفوا في حرف منه بخلاف غيره، بل نقلوه مرفوعًا على صفة واحدة، وأن ابن مسعود . رضي الله عنه . تلقاه عن النبي ﷺ تلقينًا[٤].

٥ . يترجح تشهد ابن مسعود . رضي الله عنه . على تشهد عمر بأن رفعه إلى النبي ﷺ مصرح به، ورفع تشهد عمر . رضي الله عنه . بطريق استدلالي[٥].

٦ . ليس فيه اضطراب، فالأئمة الستة اتفقوا عليه لفظًا ومعنى، وذلك نادر، وأعلى درجة الصحيح عند الحفاظ ما اتفق عليه الشيخان، ولو في أصله، فكيف إذا اتفقا على لفظه؟ وكيف إذا اتفقا عليه الستة؟ بخلاف تشهد ابن

---

١)) المبسوط للسرخسي، ١/٢٨.

٢)) الحجة على أهل المدينة، ١/١٣١.

٣)) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٦/١١٤.

٤)) ينظر: نيل الأوطار، ٢/ ٣٢٢.

٥)) ينظر: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، ١٤/ ١٠٨.

عباس . رضي الله عنه . فهو معدود في أفراد مسلم، وفيه اضطراب، فقد أخرجه الإمام مسلم بالألف واللام (السلام) في الموضعين، وزيادة (أشهد) في قوله: "وأشهد أن محمدًا رسول الله"، وأخرجه الترمذي بتنكير (سلام) في الموضعين، وزيادة (أشهد)، وخرجه ابن ماجه كما رواه مسلم لكن قال: "وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله"، ورواه النسائي كمسلم لكنه نكر (السلام)، وقال: "وأن محمدًا عبده ورسوله" بزيادة (عبده) عن مسلم، وسقوط (أشهد)، وهذا فيه اضطراب كثير كما تراه[١]، وألفاظ عبد الله . رضي الله عنه . متفق عليها في التشهد، وسائر الألفاظ من زيادة: "المباركات"، و "الزاكيات"، وغيرها مختلف فيها، فثبت منها ما حصل الاتفاق عليه، وبطل ما سواه؛ إذ كان من أمور العامة التي تحتاج في إثباتها إلى نقل الاستفاضة، بل أنكر الأسود بن يزيد على أبي الأحوص قوله: "المباركات" في التشهد[٢].

٧ . أنه ورد بصيغة الأمر "فليقل"، وأقله الاستحباب، بخلاف غيره فإنه مجرد حكاية، "وليس في تشهد ابن عباس . رضي الله عنهما . في ألفاظهم جميعًا إلا في لفظ النسائي: "إذا قعدتم في كل ركعتين فقولوا" وفي لفظ له: "قولوا في كل جلسة"[٣].

٨ . أن رسول الله ﷺ علم ابن مسعود . رضي الله عنه . التشهد، وأمره أن يعلمه الناس، ولم ينقل ذلك لغيره، ففيه دليل على مزيته، وفيه تأكيد التعليم؛ فقد أكده بقوله: يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن، وفيه أن النبي ﷺ أخذ بكف ابن مسعود . رضي الله عنه . بين كفيه لزيادة التوكيد، وعلمه التشهد،

---

١)) ينظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ١/ ١٢١.

٢)) ينظر: شرح مختصر الطحاوي للجصاص، ٦٣٢/١.

٣)) ينظر: نخب الأفكار، ٤٧٩/٤.

ففيه زيادة اهتمام بأمر التشهد، واستثبات وتأكيد لتعليمه، وليس ذلك في غيره، وأما التعليم فهو أيضًا في تشهد ابن عباس . رضي الله عنهما . عند الجميع: "كان رسول الله – عليه السلام – يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن" هكذا لفظ مسلم، وفي لفظ الباقين: "كما يعلمنا القرآن"[1].

٩ . تشديد ابن مسعود . رضي الله عنه . على أصحابه . رضوان الله عليهم . حتى أخذ عليهم الواو والألف كي يوافقوا لفظ رسول الله ﷺ، ولو لم يكن أمره مؤكدًا عنده ما فعل ذلك، ولم يفعل ذلك غيره، كما يدل على ضبطه، ولا يوجد مثله بغيره.

فإن قيل: الواجب عند اختلاف الأخبار: الأخذ بالزيادة، وفي تشهد ابن عباس . رضي الله عنهما .: "المباركات"، قيل له: فينبغي أن تثبت فيه "الزاكيات"؛ لأنها في تشهد عمر . رضي الله عنه . وبه يقول مالك ابن أنس، وتثبت: "باسم الله، وبالله"، لأنه في تشهد جابر . رضي الله عنه . وفي آخره: "أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار"، وينبغي أن تثبت أيضا تشهد ابن الزبير . رضي الله عنهما . وفيه: بسم الله، وبالله خير الأسماء .؛ لأن فيه زيادات ليس في غيرها، فلما اتفق فقهاء الأمصار على سقوط هذه الزيادات، كانت زيادتك مثلها. ويقال له أيضًا: وأثبت الواوات أيضًا؛ لأنها زيادة، وليست في تشهد ابن عباس . رضي الله عنهما . فإن قيل: فقد اعتبرت الزيادات في إثبات الواوات. قيل له: لأن النبي ﷺ علق إتمام الصلاة به، ولأن في إثباتها يصير كل لفظ ثناء على حياله، من غير إسقاط شيء منها[2].

---

[1]) ينظر: السابق، الصفحة نفسها.

[2]) ينظر: شرح مختصر الطحاوي للجصاص، ٦٣٣/١، ٦٣٤.

وخلاصة القول: تكاد تتفق روايات صيغة التشهد في جميع كتب السنة، إلا أن بعض طرقها جاء باختلاف يسير بين المحدثين، وجلُّهُ في التوطئة والتمهيد لها، والثناء على الله، أما بقية صيغتها المثبتة في الصلاة فيكاد ينعقد عليها الاتفاق، وهي المختارة عند الفقهاء، وأصح التشهدات ثبوتًا بالاتفاق رواية البخاري لحديث ابن مسعود . رضي الله عنه ..

قيمة التشهد: لا تتم الفريضة إلا بالتشهد، ومن قضاه ثم أحدث فصلاته تامة، وَلَنَا مَا رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ «قَالَ لِابْنِ مَسْعُودٍ حِينَ عَلَّمَهُ التَّشَهُّدَ: إذَا قُلْتَ هَذَا، أَوْ فَعَلْتَ هَذَا، فَقَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ، إنْ شِئْتَ أَنْ تَقُومَ فَقُمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَقْعُدَ فَاقْعُدْ» والاستدلال به من وجهين: أَحَدِهِمَا: أَنَّه جعله قاضيًا ما عليه عند هذا الفعل أو القول، وما في قوله: "ما عليك" للعموم فيما لا يعلم فيقضي أن يكون قاضيًا جميع ما عليه، ولو كان التسليم فرضًا لم يكن قاضيًا جميع ما عليه بدونه؛ لأَنَّ التَّسليم يبقى عليه.

والآخر: أَنَّه خَيَّرَهُ بيْن القيام والقعود من غير شرط لفظ التسليم، ولو كان فرضًا ما خيره؛ ولأَنَّ ركن الصلاة ما تتأدَّى بِهِ الصلاة، والسلام خروجٌ عن الصلاة وتَرْكٌ لها؛ لأَنَّه كلامٌ وَخِطَابٌ لِغيره، فكان منافيًا للصلاة، فكيف يكون ركنًا لها؟[١]، ويرد على ذلك: بأن قوله: "فقد قضيت صلاتك" يريد معظم الصلاة، وبقي عليك الخروج منها بالسلام، وكنى عن التسليم بالقيام؛ إذا كان القيام يقع عقبه، ولا يجوز أن يقع بغير تسليم؛ لأنه تبطل صلاته؛ لقوله ﷺ: "تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم"[٢].

---

١)) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ١/١٩٤.

٢)) ينظر: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام،٣/ ٤٤٨.

وإذا فرغ الإمام من قراءة التشهد قبل فراغ المقتدي؛ فإن المقتدي يتم قراءة التشهد، ولا يتابع الإمام في القيام، ولا السلام؛ لأنه بمنزلة ذكر واحد، فلو قطعه يبطل، بخلاف تسبيحات الركوع والسجود؛ لأن كل تسبيحة ذكر على حدة[1].

تحقيق القول في وروده في رحلة المعراج: ورد في بعض كتب الفقهاء أن التحيات كانت ليلة الإسراء، ألهم الله . عز وجلَّ . نبيه ﷺ قوله: "التحيات لله، والصلوات، والطيبات"، فرد الله تعالى . بقوله: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته"، فعطف النبي ﷺ بإحسانه من ذلك الفيض لإخوانه الأنبياء والملائكة وصالحي المؤمنين من الأنس والجن، فقال: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"، فقالت الملائكة: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله"[2]، ولا دليل لهم على هذا القول؛ إذ لم يرد في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ ولا تم رفعه إليه، ولا وقف أهل الحديث له على سند، ولا يكون من جهة الرأي[3].

خاتمة القول: إن نصّا له هذه القداسة والجلال؛ حتى يعلمهم النبي ﷺ إياه كما يعلمهم السورة من القرآن، ويشهد الصحابة بأنه جوامع الخير، وجوامع الكلم يغري الباحث بالتأمل والدرس؛ ليجلي معانيه للمسلمين؛ لأن المصلي يقصد بهذه الألفاظ معانيها مرادة له على وجه الإنشاء منه، فلا بد من أن

---

[1]) ينظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ١/ ١١٥.

[2]) ينظر: مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، ١/١٠٨، والبناية شرح الهداية، ٢/٢٦٥، والبحر الرائق،١/٣٤٣، ومجمع الأنهر، ١/١٠٠، وحاشية الطنطاوي، ١/٢٨٥.

[3]) ينظر: كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، ٩/٣٨٤، والعرف الشذى شرح سنن الترمذي، ١/٢٨٣.

يقصد بألفاظ التشهد معانيها التي وضعت لها من عنده، كأنه يحي الله. تعالى. ويسلم على النبي ﷺ، وعلى نفسه وأوليائه، لا الإخبار عن ذلك[١].

[١]) ينظر: البحر الرائق، ٢٤٣/١.

المبحث الأول

سياق التشهد، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: بين يدي التشهد.

المطلب الثاني: سياق التشهد.

المطلب الثالث: وقفة تحليلية لسياق التشهد.

المطلب الرابع: نظرة في سياق التشهد.

المطلب الأول

بين يدي التشهد

نقف هنا للنظر في وقت التشهد، واستكناه دقائق أسراره بالمحل الذي ورد فيه، والنظر في هيئة المتشهد، وهذه النظرة لا نعني بها بلاغة كالبلاغة التي نطبق مقاييسها على صيغة التشهد؛ إذ البلاغة بكل فنونها، وأبوابها، ومسائلها، وكلياتها، وجزئياتها، وتعريفاتها علم موضوعه الكلام يتعلق بمعرفة أحوال اللفظ، لا الهيئة، ولا الفعل، ولا غير ذلك، وإنما كل ذلك سياق نستعين به على فهم وتفسير الكلام، فالسياق الفعلي هنا الذي يقع فيه لفظ التشهد، وهو: "الصلاة، والقعود، والجلوس الأوسط والأخير، وهيئة المتشهد" سياق يهدينا إلى جلال صيغة التشهد، ويساعدنا على فهم مرادها.

دقائق أسرار مشروعية التشهد:

تعظيم الله . جلَّ وعلا . والثناء عليه، ومناجاته بالتضرع والدعاء، فالصلاة فيها قيام وركوع وسجود وقعود، ولكل مقام من هذه المقامات ذكرٌ مخصوصٌ، فالقيام محل قراءة القرآن، والركوع والسجود لهما ذكر معروف، وهو التسبيح، والقعود جُعل له التشهد، حتى لا يخلو موطن من مواطن الصلاة من ذكر لله . تعالى . ومناجاته . سبحانه . فالصلاة مناجاة، واختص القعود بالتشهد دون سواه لما سيأتي من بيان حكمته.

وقت التشهد ودقائق أسراره:

يجدر بنا أن نبين دقائق أسرار التشهد بالربط بين التشهد وسياقات قولها، وهي الصلاة، والقعود، ثم توقيتها داخل الصلاة، في الجلسة الأولى، والجلسة الأخيرة، وعلاقتها بكلتا الجلستين.

مواطنها: الموطن الأول: الجلسة الأولى:

شرع التشهد بعد الركعتين في الصلاة الثلاثية والرباعية، فعن سمرة بن جندب . رضي الله عنه . قال: "أما بعد، أمرنا رسول الله ﷺ إذا كان في وسط الصلاة، أو حين انقضائها، فابدأوا قبل التسليم، فقولوا: التحيات الطيبات لله"[١]، وعن عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . قال: "علمنا رسول الله ﷺ إذا قعدنا في الركعتين أن نقول: التحيات لله"[٢]، وعن الأسود عن عبد الله . رضي الله عنه .: "علمني رسول الله ﷺ التشهد في وسط الصلاة، وفي آخرها"[٣].

الموطن الثاني: الجلسة الأخيرة: وفي ختام الصلاة بعد الْفَرَاغ من الْأَفْعَال والأذكار الْمَوْضُوعَة فِي الصَّلَاة؛ بدليل قول رسول الله ﷺ: "إذا قلت هذا أو قضيت هذا، فقد قضيت صلاتك، أن شئت أن تقوم قم، وإن شئت أن تقعد فاقعد" فدل على أنها تقال في الجلسة قبل السلام.

وقوله ﷺ: "إذا صلى أحدكم فليقل"؛ أي أتم صلاته، يحمل على المجاز؛ أي آخر جزء من الصلاة، ولا يمكن حمله على الحقيقة لتعذر ذلك؛ إذ التشهد لا يكون بعد السلام، والفراغ من الصلاة، ويؤيد هذا ما جاء في الروايات الأخرى: "فإذا جلس أحدكم"[٤].

---

١)) سنن أبي داود، أبواب: تفريع استفتاح الصلاة، باب: التشهد، رقم: ٩٧٥، ٢٥٦/١.

٢)) سنن الترمذي، أبواب الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في التشهد، رقم: ٢٨٩، ٨١/٢.

٣)) فتح الباري، لابن حجر، ٣١٣/٢.

٤)) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣١١.

أما سر التعبير بقوله ﷺ: "إذا صلى أحدكم" والعدول عن نحو: إذا كان آخر صلاة أحدكم؛ الإشارة إلى أن التحيات تقال بعد الفراغ من كل أعمال الصلاة حتى تكون ختامًا بالثناء على الله. تعالى. وإشارة إلى أن كل ما مضى من أفعال وأقوال هو لله. جلَّ وعلا ..

دقائق الأسرار في اختصاص الصلاة بالتشهد:

الصلاة أعظم شعب الإيمان بعد التوحيد، وعمود الدين، وأشرف العبادات لله رب العالمين، وقد سماها القرآن إيمانًا، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهي بحركاتها وأفعالها وأذكارها علامة بارزة على التسليم والانقياد لله ـ عز وجلَّ . فمن عصى ربه بترك الصلاة فقد أبى التسليم والانقياد لله . عز وجلَّ . ولا إسلام ولا إيمان بلا تسليم وانقياد، وهي الصلة بين العبد وربه، فإذا قام العبد للصلاة فقد قام بين يدي ربه ـ عز وجلَّ . يكون الله. تعالى. تجاهه، فيناجيه، بتكبيره، وتحميده، وتسبيحه، وقيامه، وركوعه، وسجوده، وذكره . سبحانه وتعالى . فهي محل رئيس لمناجاة الله، فعلمنا نبينا ﷺ الضراعة إلى الله. تعالى. بأجمل التحايا، ومناجاته. سبحانه. بأطيب الكلمات، وأزكى العبارات، علمنا التشهد، وهي أقدس مناجاة بعد القرآن الكريم؛ لنقولها في أشرف مواطن المناجاة وأقدسها في الصلاة.

دقائق الأسرار من كونها في القعود دون سواه:

والتشهد حمد وثناء على الله. تعالى. وهو شبيه بالقراءة، فأوجب رسول الله القراءة في القيام، والتشهد في القعود؛ لأن القيام والقعود لا تتميز فيهما العادة عن العبادة، فوجب فيهما ذكر؛ ليتميزا بخلاف الركوع والسجود[١]، ففي تحفة

[١]) ينظر: المجموع شرح المهذب، ٤٦٣/٣.

الحبيب: "فإن قلت: لم أوجبوا الذكر في قيام الصلاة، وجلوس التشهد، ولم يوجبوه في الركوع والسجود مع أن كلاً ركن؟ قلت: لأن القيام والقعود يقعان للعبادة والعادة، فاحتجنا إلى ذكر يخلصهما للعبادة، والركوع والسجود يقعان للعبادة فقط، فلم يجب فيهما ذكر "[1].

دقائق الأسرار في الإتيان بها في الجلسة الأولى:

نقل عن ابن القيم: شرعت الجلسة الأولى في الصلاة إذا زادت عن ركعتين؛ تشبيهًا لها بجلسة الفصل بين السجدتين؛ وفيها مع الفصل راحة للمصلي؛ لاستقباله للركعتين الأخريين بنشاط وقوة بخلاف ما إذا والى بين الركعات؛ ولذا كان الأفضل في النفل مثنى مثنى[2]، ولا أقل من ذلك؛ لأنه لما كان القليل من الصلاة لا يحقق مقصود الصلاة من تحقيق الخشوع، والتلذذ بحلاوة مناجاة المولى، أو يفيد فائدة يعتد بها من المعاني التي تغرسها الصلاة اقتضت حكمة الله . تعالى . ألا يشرع أقل من ركعتين، فالركعتان أقل الصلاة، ولما كان الكثير جدًا يعسر إقامته، ويوجب المشقة، ويضيع معه لذة المناجاة لم يشرع أكثر من أربع ركعات تتخللها جلسة بعد الركعتين، ولما كانت الجلسة لا بد فيها من ذكر، أوجب الشرع فيها التشهد.

وسر الإتيان بالتشهد في الجلسة الأولى بعد الركعتين في الصلاة الرباعية والثلاثية . هو أن المرء قد يطول به المقام بعد ركعتين فيشغل بشيء من أمور الدنيا، ويسهو في صلاته أو يغفل؛ فتأتي القعدة بعد الركعتين بما فيها من ذكر التشهد فيتنبه لجلال موقفه ومقامه؛ فهي بمنزلة تنبيه وتذكير للعبد بجلال الله . سبحانه . فلا يحيد في الصلاة عن امتثال الخشوع والخضوع بين يدي

---

[1]) تحفة الحبيب على شرح الخطيب، ٢/٢٢٩.

[2]) ينظر: كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، ٢/ ٥٩٠.

مولاه؛ ولذا يقوم منها رافعًا يديه بالتكبير بخلاف قيامه للركعة الثانية؛ للإيذان بأنه استحضر عظمة من هو بين يديه مرة أخرى، فيقبل عليه بكليته، ويعلن برفع يديه كما في رفعهما مع تكبيرة الإحرام جعل الدنيا بكل ما فيها خلف ظهره، ولما كان الأمر كذلك لم يشرع فيها (لم يستحب) صلاة على النبي ﷺ ولا دعاء، بل تقتصر على مناجاة الله . سبحانه . بالتشهد؛ استحضارًا لجلاله.

دقائق الأسرار في الإتيان بها في الجلسة الأخيرة:

ومن دقائق أسرار كونها في الجلسة الأخيرة أن يختم العبد صلاته بالثناء العظيم على الله . جلَّ جلاله . وأن يعلم قبل انصرافه من صلاته أنه . تعالى . المقصود في جميع الأمور، وأنه . سبحانه . المدعو في كل الحالات، فلا ينصرف بعد الفراغ من صلاته ليقف على باب غيره، أو يقصد أحدًا دونه في حاجة، فكأنها بمنزلة تذكير للعبد، وعهد مع الله . جلَّ وعلا . بتعظيم جنابه دون سواه.

ومن أسرارها أنها تقال بعد الفراغ من كل أفعال الصلاة: التكبير، والقيام، والقراءة، والركوع، والسجود، والذكر، والدعاء، ثم تأتي هذه الجلسة الخاشعة المتذللة فيشرع فيها في قوله: "التحيات لله"؛ لتقول: إن كل ما مضى عمليًّا من أركان الصلاة تحية قولية وفعلية لله . جلَّ وعلا . فكأن كل أفعال الصلاة أصبحت في التحيات ذكرًا منطوقًا؛ ليستشعر المصلي بالنطق ما فعل، وليتنبه إلى ما تحمله الأفعال من معنى.

ومن أسرار كونها قبل الفراغ من الصلاة بيان أن الصلاة كانت عن وفور رغبة من المصلي، وعلمٍ تامٍ منه باستحقاق الله . تعالى . لها، واستحقاقه لتعظيمه وتمجيده دون سواه من بشر أو ملك.

ومن أسرار جعل التشهد ركنًا والإتيان به قبل الفراغ من الصلاة أنه لولاه لكان الفراغ من الصلاة مثل فراغ المعرض أو النادم[1]، فجعل الفراغ من الصلاة وختامها إقبالًا على الله ـ جلَّ شأنه ـ لا إعراضًا عنه وإدبارًا، هذا لو تدبر العبد ما يقول وفقهه، وهو ما ينبغي أن يكون.

ومن أسرار ختم الصلاة بالتشهد هو أن يكون ذلك التذلل والمناجاة والإخلاص هو آخر العهد بالصلاة، فيلزم العبد ذلك.

ومن أسرارها: أنها تلخص أمر المصلي وحاله، فهو بين رغبة ورهبة، وتعظيم وتذلل، وثناء ودعاء، فالتشهد فعلًا وقولًا آية خضوعه وخشوعه، وعلامة تصديقه وإقباله، ووثيقة عهد بين المصلي وربه بالمداومة على إجلاله دون سواه، فهي مناجاة وضراعة، ودعاء ورجاء، وتذكير وتنبيه وحث للمصلي على تذكر أن الركوع والسجود والقعود والتذلل كله لله ـ جلَّ جلاله ..

ومن المؤسف أن يردد المسلم (التحيات لله) لفظًا تسع مرات في فرائضه فقط في اليوم الواحد، ولا يتشبع قلبه منها، فتراه يعظم غير الله، ولو أنها قالها يقينًا؛ لأورثه قولها عزة، وقطعت استعظامه للخلق.

الهيئة التي تؤدى عليها:

إن التشهد يشتمل على فعل وقول، فالفعل هو هيئة المتشهد، والقول صيغته علمهم إياها رسول الله ﷺ، والفعل يسبق القول؛ إذ إن أول ما يبتدئ به المتشهد هو تهيئة نفسه للتشهد، والفعل فرض، والقول فرض؛ قيل: أمر النبي ﷺ بالتشهد في القعود في الصلاة، فصار التشهد فرضًا، وصار القعود الذي لا يكون التشهد إلا فيه فرضًا؛ إذ لا يجوز أن يكون غير فرض ما لا يتم الفرض

[1]) ينظر: حجة الله البالغة، ٢/١٠.

إلا فيه أو به، وقد روي عن عمر . رضي الله عنه .: لا صلاة إلا بتشهد، وعن نافع مولى ابن عمر . رضي الله عنهما .: من لم يتكلم بالتشهد فلا صلاة له[١].

"والصلاة قد اشتملت على عبودية جميع الجوارح والأعضاء، مع عبودية القلب، فلكل عضو منها نصيب من العبودية، فجميع أعضاء المصلي وجوارحه متحركة في الصلاة؛ عبودية لله، وذلًّا وخضوعًا، فلما أكمل المصلي هذه العبودية، وانتهت حركاته ختمها بالجلوس بين يدي ربه . تعالى . جلوس تذلل وانكسار وخضوع لعظمته . عز وجلَّ . كما يجلس العبد الذليل بين يدي سيده، وكان جلوس الصلاة أخشع ما يكون من الجلوس وأعظمه خضوعًا وتذلّلًا، فأذن للعبد في هذه الحال بالثناء على الله . تبارك وتعالى . بأبلغ أنواع الثناء وهو التحيات لله والصلوات والطيبات"[٢].

فهيئة التشهد التي تؤدى عليها هي أكمل هيئات الصلاة وأبلغها في الأدب، والخشوع، والخضوع بين يدي الله . تعالى . وتكون بالافتراش؛ فعن عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ الْسَّاعِدِيّ، قال: اجْتَمَعَ أَبُو حُمَيْدٍ، وَأَبُو أُسَيْدٍ، وَسَهْلُ ابْنُ سَعْدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَذَكَرُوا صَلَاةَ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِصَلَاةِ رَسُولِ الله ﷺ، «إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ جَلَسَ – يَعْنِي لِلتَّشَهُّدِ – فَافْتَرَشَ رِجْلَهُ اليُسْرَى، وَأَقْبَلَ بِصَدْرِ اليُمْنَى عَلَى قِبْلَتِهِ، وَوَضَعَ كَفَّهُ اليُمْنَى عَلَى رُكْبَتِهِ اليُمْنَى، وَكَفَّهُ اليُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ اليُسْرَى، وَأَشَارَ بِأُصْبُعِهِ – يَعْنِي السَّبَّابَةَ»[٣]،

---

١)) ينظر: المحلى بالآثار، ٣٠٠/٢.

٢)) بدائع الفوائد، ١٨٩/٢.

٣)) سنن الترمذي، أبواب: الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في التشهد، رقم: ٢٩٣، ٨٦/٢.

أي: بافتراش المرء رجله اليسرى؛ أي يجعلها فراشًا له، فيقعد عليها، وينصب رجله اليمنى، ويستقبل القبلة بأطراف أصابع قدمه اليمنى، ويضع اليدين على الفخذين التزامًا، ولا يقبض بهما على ركبتيه، ويقبض خنصر يده اليمنى وبنصرها، ويحلق إبهامها مع الوسطى بأن يجمع بين رأس الإبهام والوسطى، فتشبه الحلقة من حديد ونحوه، ويشير بسبابتها من غير تحريك؛ تنبيهًا على التوحيد، ويبسط أصابع اليسرى مضمومة إلى القبلة؛ ليستقبل القبلة بأطراف أصابعه، وقيل: كيف ما فعل من الصور المبينة في كتب الفقه في كيفية قبض الأصابع فإنه يجزئه، ولو ترك لا شيء عليه، والعمل بها أولى من الترك، ويكره الإشارة بالسبابة من اليدين[1]، ويحني جبهته، فيجعل عينيه في موضع سجوده، ثم يتوجه لله ـ جلَّ ثناؤه ـ بهذا الثناء العاطر الذي يفرده فيه بكل أنواع التعظيم والإجلال، ويجعلها له على طريق الاستحقاق والملك دون سواه من الخلق، "وهذه الجلسة على هذه الهيئة تمثل في الخدمة بين يدي ربه جاثيًا على ركبتيه، كهيئة الملقي نفسه بين يدي سيده، راغبًا راهبًا، معتذرًا إليه، مستعديًّا إليه على نفسه آتيًا بأكمل التحيات وأفضلها، وأسنى الثناء، ثم بالشهادة له بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة، ثم بالصلاة عليه، متخيرًا من الدعاء أحبه إليه"[2].

واختلف الفقهاء في هيئة جلسة التشهد، فأبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ يرى أن الجلوس في الصلاة يكون مفترشًا في كل جلسات الصلاة، والإمام مالك قال: يسن متوركًا؛ بأن يخرج رجليه من جانب، ويفضي بإليتيه إلى الأرض في القعدتين جميعًا، ويفضي بوركه إلى الأرض، وحجته: ما كان أشق فهو

---

[1]) ينظر: البناية شرح الهداية، ٢/ ٢٧١.

[2]) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، ٢/٦٦.

أفضل، وقال الشافعي: السنة أن يجلس كل جلسات الصلاة مفترشًا إلا التي يعقبها السلام فالسنة فيها التورك[١]، واختلاف الفقهاء في هيئة المتشهد مرده إلى أي الجلسات أبلغ في الأدب، وأشق على البدن؛ لذا صرح صاحب الهداية في شرح بداية المبتدي بترجيح الافتراش على التورك بقوله: "لأنها أشق على البدن، فكان أولى من التورك الذي يميل إليه مالك"[٢].

وقيل: أفضلها التورك؛ لأنه أهون، وهو ما مال إليه الإمام مالك، ويروي عن رسول الله ﷺ أنه قعد متوركًا، وقد ضعفه الطحاوي . رحمه الله . أو يحمل على حالة الكبر[٣]، وقيل . واختاره بعض أئمتنا .: أفضلها أن ينصب ركبته اليمنى، ويجلس على رجله اليسرى؛ لأنه أبلغ في الأدب، كذا ذكره ابن حجر، والمعتمد في مذهب أبي حنيفة أن الأفضل هو الافتراش، فإنه لو كان هيئة أحسن وأفضل وأبلغ في الأدب وأكمل لداوم . عليه السلام . عليها، وحيث لم يثبت عنه . عليه السلام . غيرها إلا التربع، وهو يحتمل أن يكون عن عذر، فالعدول عن هيئة جلوسه إلى نوع آخر في غاية من قلة الأدب[٤]، واختير هذه الهيئة؛ لأنها أكمل الهيئات في الأدب والخضوع بين يدي الله . جلَّ وعلا.

ونهى النبي ﷺ عن عقب الشيطان، وعن فرشة السبع، فعن عائشة . رضي الله عنها . قالت: " وكان إذا جلس يفرش رجله اليسرى، وينصب رجله اليمنى،

---

١)) ينظر: شرح النووي على مسلم، ٤/ ٢١٥.

٢)) الهداية في شرح بداية المبتدي، ٥٣/١.

٣)) ينظر: السابق، الصفحة نفسها.

٤)) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٦٥٤/٢.

وكان ينهى عن عقب الشيطان[1]، وعن فرشة السبع، وكان يختم الصلاة بالتسليم"[2].

المطلب الثاني

سياق التشهد

نظرة في مناسبة الحديث:

روى البخاري عن شَقِيقٍ عَنْ عَبْدِ الله ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: "كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلاَةِ، قُلْنَا: السَّلاَمُ عَلَى الله مِنْ عِبَادِهِ، السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَقُولُوا السَّلاَمُ عَلَى الله، فَإِنَّ الله هُوَ السَّلاَمُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِله، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو»[3].

---

[1]) والمراد بعقب الشيطان: الإقعاء، وهو نوعان أحدهما: أن يلصق ركبتيه بالأرض وينصب ساقيه ويضع يديه على الأرض كإقعاء الكلب، هكذا فسره أبو عبيدة معمر بن المثنى وصاحبه أبو عبيد القاسم بن سلام وآخرون من أهل اللغة، وهذا النوع هو المكروه الذي ورد فيه النهي، والنوع الثاني: أن يجعل أليتيه على عقبيه بين السجدتين، وهذا هو مراد ابن عباس **بقوله** سنة نبيكم ﷺ، وافتراش السبع: أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع. ينظر: شرح النووي، ٢١٥/٤، ١٨/٥.

[2]) سنن أبي داود، أبواب: تفريع استفتاح الصلاة، باب: من لم ير الجهر بـ "بسم الله الرحمن الرحيم"، رقم: ٧٨٣، ٢٠٨/١.

[3]) صحيح البخاري، كتاب: أبواب صفة الصلاة، باب: التشهد في الآخرة، رقم: ٨٣٥، ١٦٧/١.

إن سبب ورود حديث التحيات بينه سيدنا عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . بين يدي الحديث، بقوله: "كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة، قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: "لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله ".

فبين أنهم كانوا في جلسة التشهد يسلمون على الله . تعالى . وعلى بعض عباده، أشخاص معينين من الملائكة والناس، كجبريل وميكائيل . عليهما السلام . فصحح لهم النبي بالتحيات ما يقولون، وأرشدهم إلى الأتم الأكمل، فالتحيات قائمة على تصحيح هذا الأمر؛ إذ إنهم بسلامهم على الله . جلَّ شأنه . وعلى بعضٍ من عباده الصالحين قد أدوا حقًّا لله، وحقًّا لبعض من عباد الله، وأغفلوا ثلاثة، ومن أدوا حقًّا لههم لم يبلغوا فيه حد الكمال، وذلك في حق الله، وحق بعض عباده؛ إذ سلموا على الله . جلَّ شأنه . وعلى بعض عباد الله الصالحين، وأهملوا ثلاثة هم: النبي ﷺ والنفس، وعموم عباد الله الصالحين، ولم يبلغوا حد الكمال في حق المولى؛ إذ سلموا عليه . جلَّ جلاله . كسلامهم على الناس، ولم يبلغوا حد الكمال في حق الصالحين من عباده؛ إذ سلموا على بعضهم دون بعض، ثم إنهم جمعوا بين الله، وبين بعض عباده في السلام، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك كله، وعلمهم التحيات.

وقام النبي ﷺ يعلمهم بالتحيات ما يجب أن يقال، ولم يشأ رسول الله ﷺ أن يكبح جماح تطلعات نفوس صحابته في تضرعهم إلى ربهم، وتوجهم إلى خالقهم، فقال لهم: "ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه، فيدعو" فأعطاهم ﷺ حرية الاختيار من الدعاء ما شاءوا، وبيّن بها حسن ظنه فيهم.

والصحابة . رضوان الله عليهم . كان مقصدهم بما يقولون تعظيم الله . جلَّ وعلا .؛ بدليل أنهم كانوا يقولون في رواية: (قَبْلَ عباده)، فعلمهم النبي ﷺ ما

يجوز في حق الله، وما لا يجوز، ولم ينكر عليهم نياتهم، فبين لهم أن السلام لا يصح في حق الله . عز وجلَّ .، وعلمهم كيفية الثناء على الله . تعالى ..

أما ما كانوا يقولونه: (السلام على الله) فنهاهم عنه: "لا تقولوا السلام على الله"، وعلل لهذا النهي: "فإن الله هو السلام"، وأحل محله غيره على سبيل الوجوب، فقال: "ولكن قولوا: التحيات لله، والصلوات، والطيبات"، فبين أن ما كانوا يقولونه لا يناسب تعظيم المولى . جلَّ وعلا .؛ إذ لا يدعى بالسلامة لمن كان السلام من العدم والنقص ذاتيًّا له.

والجملة الثانية: "السلام على فلان وفلان" أو "السلام على جبريل وميكائيل""، لم ينكر عليهم السلام عليهم، بل أقرهم على سلامهم على خواص الخلق؛ فجميع الخلق يطلب السلام من الله . تعالى . لكن مع تعديله، فأحل محله: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"، فصرف أصحابه عن سلامهم في التشهد على جبريل وميكائيل . عليهما السلام . وأمرهم أن يسلموا على عموم عباد الله الصالحين، وقصد بذلك جوامع الكلم واختصاره، وهذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ.

كما لفتهم إلى أن الخلق لا يتمايزون بذواتهم، وإنما يتمايزون بمقدار عبوديتهم، وصلاحهم، فعدل بهم من السلام عليهم بذواتهم إلى السلام عليهم بصفاتهم وأعمالهم.

وطمأنهم بقوله: " فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء أو بين السماء والأرض"، وبيّن أن قولهم بتخصيص بعض عباد الله بالسلام لا يناسب رسالة الصلاة التي هي قائمة على بث روح الجماعة، فالأمر بإقامتها لم يأت مفردًا بل أتى للجماعة، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ

ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال: ﴿ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الحجر: ٩٨]، والعبادة فيها لا تجري على لسان العبد منفردًا، وإنما بروح الجماعة، فيقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥ – ٦]، وبيّن لهم أن سلامهم على جبريل وميكائيل . عليهما السلام . سلام على بعض الأفراد دون الجميع، فعلمهم أن الدعاء ينبغي أن يكون شاملًا للمؤمنين جميعًا، لا يخصوا به أحدًا.

ثم أتى بجملة في ختام التشهد يعلمهم بها أن هذا أحق وأوجب ما يقوله العبد، وهو: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله"، وهي أساس الإيمان، ومنبع الكمال.

وأتى في التحيات بما لم يقولوا، بالسلام على النبي ﷺ، وعلى النفس، ولم يعلل لهما رسول الله ﷺ، سوى بصيغة التحيات نفسها بتقديم النبي ﷺ على النفس، وتقديم النفس على عباد الله الصالحين.

وعلمهم أن يقدموا الدعاء له ﷺ على الدعاء لجبريل وميكائيل . عليهما السلام . فأقرهم أن يسلموا على النبي ﷺ بخصوصه ابتداء؛ لشرف نبوته، وتنويهًا بذكره؛ فإنه أشرف المخلوقين وأفضلهم، وحقه على الأمة أوجب من سائر الخلق؛ لأن هدايتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة كانتا بتعليمه وإرشاده ﷺ[١]، كما علمهم أن يقدموا الدعاء لأنفسهم قبل الدعاء للمؤمنين؛ لأن الاهتمام بها أهم.

---

١)) ينظر: فتح الباري، لابن رجب، ٣٢٨/٧.

صيغة التشهد:

إن (التحيات) إقرار بالتوحيد، واستشعار لعظمة الله، ونسبتها إليه . سبحانه . وكمال الاعتزاز بجلال المولى، والتصريح بعزته، واعتراف بالعبودية، إنها كلمة بليغة جامعة . واختيارها لتكون ختام أعظم شعائر المسلمين (الصلاة) دليل على بلاغتها . نثني بها على الله، ونعلن بها أنه لا عظيم إلاه، ولا أحد يستحق التعظيم سواه، ونظهر بها الأدب معه . سبحانه . ونثبت بها خلو قلوبنا من تعظيم غيره، وهي كذلك تأديب للنفس، وكسر حظها، وفطم لها عن تعظيم غيره . سبحانه . فالعظمة كلها ملك لله . تعالى . إنها عصمة لذوي العظمة، وملجأ لهضم النفس؛ بما جمعته من معاني مباركة.

والتحيات إجمال . كما سبق القول . لأفعال وحركات وأذكار الصلاة، علمهم النبي ﷺ إياها؛ لتكون شعارًا لهم، وليترسخ في ضمائرهم ما فعلوه في صلاتهم من تعظيم الله . جلَّ وعلا . من قيام وركوع وسجود له . سبحانه . فالعمل وهي حركات الصلاة ولدت يقينًا راسخًا في ضمير المصلي بأن العظمة كلها لله . تعالى . ثم صار اليقين لسانًا ناطقًا بقول المرء: "التحيات لله"، فالاعتقاد يقوى بالتصريح؛ فاستحضار النفس للمدركات المعنوية ضعيف يحتاج إلى التقوية بشيء من الحس، وفي التصريح إعلان بالاعتقاد، وإظهار له، وبيان بإدراك العبد مقصد الصلاة الأعظم وهو تعظيم الله . جلَّ وعلا . فإن المرء إذا اعتقد أمرًا بلا قول حصل له مراده، وإن قال بلا اعتقاد فلا فائدة من قوله، ولا فضل له به، وإن قال معتقدًا حصل له مراده، وترسخ معتقده في قلبه، وتقوى بالقول.

وإذا كان من شرط اللفظ العمل بمقتضاه، فإن العمل في الصلاة وهو تمجيد الله . تعالى . بحركات الصلاة، قد سبق قولنا: التحيات لله، فالقول هنا لم يكن

ادعاء غير مطابق للاعتقاد، وإنما سبق القولَ الاعتقادُ والعملُ؛ ولذا كان معتبرًا.

فلا بد وأن يداوم العبد بعد صلاته على ما ختم به صلاته من تمجيد الله . جلَّ ثناؤه . فلا يعظم غيره . سبحانه .، فإن فعل كان قوله بلا ثمرة؛ إذ الكلام إنما يكون معتبرًا إذا كان تعبيرًا عما في الضمير، صادرًا عن اعتقاد جازم، ويقين راسخ، وترجم إلى فعل.

ولأهمية التحيات بما تحمله من تمجيد الله . جلَّ وعلا . ودعوات مباركات لعباد الله الصالحين كانت عناية رسول الله ﷺ بها عظيمة، ففي البخاري عن عبد الله بن سَخْبَرَةَ أبو معمر، قال: "سمعت ابن مسعود . رضي الله عنه . يقول: علمني رسول الله ﷺ وكفي بين كفيه التشهد، كما يعلمني السورة من القرآن: «التحيات لله..."[١]، ولم يقل ذلك في غيره من الأحاديث، وفي هذا تعظيم لشأن التشهد؛ ولفت الانتباه إلى مزيد العناية والاهتمام بتعلمها وتعليمها، فعبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . لم يقل: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وإنما قال: علمني، وهي أقوى من سمعت، وقال، وغير ذلك مما يأتي في صدر الحديث؛ لأنها ليست نصًّا في التعليم، فكان النبي ﷺ يعلم أمته التشهد حتى علمه ابن مسعود . رضي الله عنه . على هذه الهيئة كفي ابن مسعود بين كفيه ﷺ من أجل أن يتيقظ ويتنبه ويكون على أهبة الاستعداد، ويتطلع إلى ما يعلمه إياه بشوق ونهم، فإذا بدأ تعليمه تمكن ما يعلمه إياه في قلبه وعقله، وأخذ يكرر عليه التشهد، بضبط ألفاظه، وتثبيته، كما يعلمه السورة من القرآن.

---

[١]) صحيح البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: الأخذ باليدين، رقم: ٦٢٦٥، ٨/٥٩.

وكان النبي ﷺ يعلمهم التشهد بألفاظه، ويحرص على تحفيظهم إياه كما أوحاه الله . تعالى . إليه، وكما يعلمهم السورة من القرآن الكريم؛ وذلك لدقة صيغة التشهد؛ لفظًا، ومعنى، وترتيبًا؛ فهي من معين الوحي الإلهي، ولا طاقة لهم بالإتيان بنظيرها إلا على الوجه الذي أتى به رسول الله ﷺ؛ فلذا حرص على تلقينهم إياها، ولم يكل إليهم معناها فيؤلفوا لفظًا يوافقها، حتى يصيبوا معناها تامًّا؛ فينالوا بركتها وفضلها عند الله . تعالى . فتعليمهم النبي ﷺ إياها، وعدم إغناء غيرها عنها، دلالة على أنها أكمل الصيغ وأبلغها.

وأخر المفعول (التشهد) عن الجملة الحالية (وكفي بين كفيه)؛ للعناية والاهتمام بإظهار الهيئة التي حرص عليها رسول الله ﷺ أثناء تعليمه إياه التشهد، مما يبرز مدى عنايته ﷺ بتعليمه التشهد، وسعيه إلى تحفيظه، فأخذ بكفيه، وأخذ يلقنه، ويكرر عليه، كإحدى سور القرآن، وحين يأخذ النبي ﷺ بكفي أحد من أصحابه أو بمنكبه يكون للفت انتباه المخاطب، وحضور قلبه، ونقل ابن مسعود . رضي الله عنه . ذلك يشير إلى حرصه على نقل المشهد كاملًا بما فيه من عناصر التشويق والتهيئة التي فعلها المعلم ﷺ قبل درسه التعليمي، فقد أخذ بكفه قبل أن يعلمه، هكذا كان، وهكذا نقل، وضبط صحابة رسول الله ﷺ لما ينقلون عنه ﷺ آية عظيمة في التحري والضبط.

وقوله: (وكفي بين كفية) يفيد المبالغة في الأخذ بيديه، وإظهار الاهتمام بما يعلمه إياه حتى يتلقاه على هذا الوجه من الاهتمام، فيزيد حرصه عليه.

وفي قوله: (وكفي بين كفيه) إشارة إلى شدة الاتصال، ومدى القرب، ونفي الواسطة، وعدم المزاحمة؛ أي تعلمه منه مباشرة على جهة الانفراد، وقيل: قوله: "كفي بين كفيه" جملة بيّن بها شدة الاحتفاء، وأشار بها إلى أنه يريد

أن يحبوه بأفضل مما يحبى وبأحسن وبأجمل، وكونه يعتنى في هذه الحالة ببيان أن كفه بين كفيه يدل على أنه قصد شيئًا[١].

وكون ابن مسعود . رضي الله عنه . يخبر بهذا يدل على حفظه ودقته في نقله وضبطه لما سمعه من رسول الله ﷺ؛ لأن من يتقن الهيئة التي كان عليها عند تلقي الحديث؛ فإن ذلك يدل على أنه قد ضبط الحديث الذي علمه إياه رسول الله ﷺ ضبطًا صحيحًا[٢].

ولإبراز زيادة العناية بتعليمه ﷺ، وإفادة تمام الاعتناء والاهتمام، أكده بقوله: "كما يعلمني السورة من القرآن"، فلا مزيد أكثر من هذا على الاعتناء بالتشهد، وتأكيد أمرها؛ لذا ينبغي على كل مسلم الاعتناء به.

وعن ابن عباس . رضي الله عنهما .: "كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن"، وفي رواية ابن رمح: كما يعلمنا القرآن[٣]، وقال مثله جابر . رضي الله عنه . وقال أبو سعيد الخدري . رضي الله عنه .: كنا نتعلم التشهد كما نتعلم السورة من القرآن، وقال ابن عمر . رضي الله عنهما .: كان أبو بكر . رضي الله عنه . يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب، وقد علم عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . الناس على المنبر التشهد بحضرة المهاجرين والأنصار[٤]،وقوله: «أَخَذْتُ التَّشَهُّدَ مِنْ فِي رَسُولِ

---

١)) ينظر: دروس عمدة الفقه للشنقيطي، ٣٧٩/٢.

٢)) ينظر: شرح سنن أبي داود، ٤/١٢٢.:

٣)) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة، رقم: ٤٠٣، ٣٠٢/١.

٤)) ينظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٤٤٧/٢.

اللهِ ﷺ وَلَقَّنَنِيهَا كَلِمَةً كَلِمَةً»[1]، وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه، قال: "حدثنا عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ علمه التشهد في الصلاة، قال: وكنا نتحفظه عن عبد الله كما نتحفظ حروف القرآن: الواو والألف"، أخرجه البزار، ورجاله رجال الصحيح[2]، وقولهم: "كما يعلمنا السورة من القرآن"؛ أي بكمال الاهتمام؛ لتوقف الصلاة عليه إجزاء وكمالًا[3]، فهذا التشبيه يؤكدون بها كمال اهتمام واعتناء رسول الله ﷺ بتعلميهم ألفاظ التشهد، وشدة حرصه على تعليمهم إياه على وجه الدقة والضبط، بلا زيادة أو نقص، حتى كان يعلمه إياه بالحرف، كاهتمامه ﷺ بتعليم القرآن؛ ليحفظوه ويعوه.

وتوارث أصحابه هذا الاهتمام، يقول ابن عمر . رضي الله عنهما .: "كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب"، جملة تؤكد حرص الصحابة من بعد رسول الله ﷺ على التشهد، وكمال اهتمامهم وعنايتهم بتعليمه، والعبارة تشير إلى أنهم كأنهم توارثوا الاهتمام به من رسول الله ﷺ، فلم يحرصوا على حفظ ألفاظه ونقلها فحسب، بل حرصوا على نقل اهتمام رسول الله ﷺ به.

وقيل: وجه الشبه حفظ حروفه، وترتب كلماته، ومنع الزيادة والنقص منه، والدرس له، والمحافظة عليه، ويحتمل من جهة الاهتمام به، والتحقق لبركته، والاحترام له، ويحتمل من جهة كون كل منهم علم بالوحي[4]، يعطي هذا

---

[1]) شرح معاني الآثار، كتاب: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة، كيف هو؟، رقم: ١٥٦٢، ١/ ٢٦٢.

[2]) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢٣٧/٣.

[3]) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه، ١/ ٢٩٢.

[4]) ينظر: كوثر المعاني الدراري في شرح صحيح البخاري، ١٠٤/١١.

التشبيه (كما يعلمنا السورة من القرآن) أنه لا يجوز للإنسان أن يزيد في التشهد، أو ينقص منه، أو يغير لفظه، فالمراد: حفظني نطق ذلك، ولذلك قال: "فإذا فعلتم ذلك فقد سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض) فليس لنا أن نغير هذا النطق إلى غيره، ولا أن نرويه بالمعنى[١]. أو يهتم بالتشهد كما يهتم بالقرآن، يهتم به، بحفظه من قبل الصحابة بلفظه؛ لأنه متعبد به كالقرآن[٢]، أو بكمال الاهتمام لتوقف الصلاة عليه أجرًا أو كمالًا؛ تعظيمًا لأمر الصلاة[٣]، وضم التشهد في ضميمة مع سور القرآن يعطي إشارة إلى اشتراكهما في كونهما وحيًّا لا قبل لأحد به؛ فلذا يتعين عليهم حفظه كما هو لا بالمعنى؛ لعدم قدرتهم عن الإتيان بألفاظ توفي بمعناه.

وقولهم: "كما يعلمنا السورة من القرآن" والتي وردت في روايات مختلفة تشير إلى أن عناية رسول الله ﷺ وأصحابه كانت مصروفة إلى القرآن الكريم، ولم يكن شيء يعلو هذا الأمر في دائره اهتمامهم وعنايتهم؛ حتى إنهم إذا أرادوا تشبيه شديد عنايتهم وزيادتها بشيء شبهوها بعنايتهم واهتمامهم بتعلم القرآن الكريم، فيقولون: كان النبي ﷺ يعلمنا التشهد، كما يعلمنا السورة من القرآن، ويعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن.

ويفيد أيضًا تكرار تعليمه ﷺ التشهد لهم، ككثرة تعليمه إياهم السورة من القرآن، التأكيد والاهتمام بأمر التشهد.

---

١)) ينظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ٣٧/٢.

٢)) ينظر: شرح المحرر في الحديث، ٢٩/١٨.

٣)) ينظر: حاشية السيوطي والسندي على سنن النسائي، ٣٧٠/٢.

وقد حرص الصحابة على تعلمه، رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ الشَّامِ إلَى عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – فَقَالَ: مَا أَقْدَمَك قَالَ: قَدِمْت لِأَتَعَلَّمَ التَّشَهُّدَ فَبَكَى عُمَرُ حَتَّى ابْتَلَّتْ لِحْيَتُهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاَلله إنِّي لَأَرْجُو مِنْ الله أَنْ لَا يُعَذِّبَك أَبَدًا"[1].

قدسية التشهد: فعند الفقهاء أن التشهد نص متعبد بلفظه في الصلاة، يقوله المصلي بلسانه، ويتدبره بقلبه، فلفظه متعين، فلا يكفي معناه، ولا يجوز تغيير ألفاظه بإحلال غيره محله، كأن تقول: السلام عليك أيها الرسول، ولا السلام على سيدنا، ولا الإتيان بالسلام منكرًا في رواية وردت بالتعريف، ولا بالسلام على النبي، ولا أعلم بدل أشهد، بل تأتي باللفظ الثابت؛ لأنه متعبد به، فلو أبدل لفظه بمعناه لم تصح صلاته، فلو قال: أعلم أن لا إله إلا الله موضع أشهد، فالصحيح المشهور أنه لا يجزئه، كسائر الكلمات [2]، ويكره أن يبتدئ قبله بشيء، أو بحرف فيه قبل حرف، فيلزم ترتيبه على اللفظ المنقول، فإن أخل بترتيبه، فتغير تغيرًا مبطلًا للمعنى، كأن يقول: التحيات المباركات الصلوات عليك، السلام لله، وذلك لأن لله خبر التحيات، وعليك خبر السلام، لم تصح صلاته، وتبطل إن تعمده؛ لأنه كلام أجنبي عنه، وتشترط وجوبًا الموالاة بين كلمات التشهد بأن لا يفصل بين كلماته بغيرها، ولو من ذكر أو قرآن، ويكره تحريمًا أن يزاد فيه شيء؛ أي في أثناء كلماته، أو عليه بعد تمامه، أو ينقص منه شيء من كلماته، أو يستبدل بغيره، ولو بالقرآن؛ لأنه ذكر منظوم، لا يجوز أن يزاد فيه أجنبي عنه، فأذكار الصلاة محصورة لا يزاد عليها، قاله أبو حنيفة، وكذا عند المالكية، وقيل: التشهد في نفسه واجب، ويجب له القعدة الأولى، ولا يترك نقصًا منه، أو زيادة فيه، أو عليه، فهذه

---

[1]) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ٢/١.

[2]) ينظر: شرح الموطأ، ١٣/١٤، والمجموع شرح المهذب، ٤٦٠/٣.

خمس واجبات... حتى قيل: وإتمامه واجب؛ لأن بعض التشهد ليس بتشهد فيتمه، وإن فاتت المتابعة في القيام والسلام؛ لأنه عارضها واجب تأكد بالتلبس به قبلها، فلا يفوته لأجلها، وإن كانت واجبة[١]، وعند الحنابلة لو ترك واوًا أو حرفًا أعاد الصلاة؛ لقول الأسود: فكنا نتحفظه عن رسول الله ﷺ كما نتحفظ حروف القرآن[٢].

وقول ابن مسعود: "كان يأخذ علينا الواو والألف" يعطي دلالة واضحة على أنه لا تجوز الزيادة على التشهد، ولا النقص منه، ونُقل عن الطحاوي: أن الزيادة على التشهد مخالف للإجماع، وكفى بمخالفة الإجماع فسادًا[٣].

وقيل: ينبغي في قراءة التشهد مراعاة ما يلي:

أ . أن يسمع نفسه إذا كان سمعه معتدلًا.

ب . موالاة القراءة، فلو فصلها بفاصل سكوت طويل، أو ذكر آخر بطلت ووجب أن يعيد.

ج . أن يقرأ التشهد وهو قاعد، إلا أن يكون معذورًا.

د . أن يكون باللغة العربية، فإن عجز عنها أتى بأي لغة شاء، ووجب عليه التعلم؛ لأنه من فروض الأعيان، أو يأتي بما يمكنه ويجزئه للضرورة، ولو قاله بلغة أخرى قادرًا على العربية بطلت صلاته.

---

١)) ينظر: المجموع شرح المهذب، ٣/ ٤٦٠، وتحفة الحبيب على شرح الخطيب، ١٨٦/٢، وحاشية رد المختار على الدر المختار، ١٠/٢، والدر المختار وحاشية ابن عابدين، ٤٧٣/١.

٢)) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ٣٧/١٢.

٣)) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ١١/ ٢١٣.

هـ . مراعاة المخارج والشدات، فلو غير مخرج حرف، أو تساهل في تشديده، أو لحن في كلمة، واستلزم ذلك تغير المعنى، بطل التشهد، ووجبت الإعادة، فلو أظهر النون المدغمة في اللام في (أن لا إله إلا الله) أبطل لتركه شدة منه، كما لو ترك إدغام دال محمد في راء رسول الله.

و . ترتيب كلماته حسب النص الوارد[١]، وأن تعمد الإخلال بترتيبه، فتغير المعنى بطلت صلاته[٢]، ويؤيد ما اشترطه الفقهاء من وجوب عدم الزيادة على التشهد أو النقص منها ما ورد عن ابن مسعود . رضي الله عنه .: "كان رسول الله ﷺ يأخذ علينا التشهد بالواو والألف"، فهذا نص على أنه لا تجوز الزيادة عليه؛ لأنه ليس موطن دعاء، ونقل ابن رجب عن القاضي أبي يعلى: إذا أسقط من التشهد ما هو ساقط في بعض الروايات دون بعض صحت صلاته، وإن أسقط منها ما هو ساقط في جميعها لم تصح[٣].

إخفاؤه: سنة التشهد فهي الإخفاء لما روي عن ابن مسعود . رضي الله عنه . أنه قال: "مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُخْفِيَ التَّشَهُّد"[٤] رواه الترمذي، وقال: والعمل عليه عند أهل العلم، وعنه: "أَرْبَعٌ يُخْفِيهِنَّ الْإِمَامُ وَعَدَّ مِنْهَا التَّشَهُّدَ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الثَّنَاءِ، وَالْأَصْلُ فِي الْأَثْنِيَةِ وَالْأَدْعِيَةِ هُوَ الْإِخْفَاء[٥]؛ ولأنه ذكر غير القراءة، فاستحب إخفاؤه كالتسبيح، وقيل: يخفي التشهد؛ لأنه دعاء، والأصل

---

١)) ينظر: فتح المعين شرح قرة المعين، ١٩٨/١، والفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، ١٣٩/١، والفقه الإسلامي وأدلته، ٨٥٦/٢، ٨٥٧.

٢)) ينظر: تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي، ٨٢/٢.

٣)) ينظر: فتح الباري، لابن رجب، ٣٣٣/٧.

٤)) سنن الترمذي، باب: ما جاء أنه يخفي التشهد، رقم الحديث/ ١٠٥، ١٠/٢.

٥)) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ٢١٤/١.

في الأدعية الإخفاء[١]، ولا خلاف في ذلك، وأجمع العلماء على إخفاء التشهد، وكراهة الجهر به، بل جاء في الاستذكار: "وإخفاء التشهد سنة عند جميعهم، والإعلان به جهل وبدعة"[٢]، "قال السرخسي: "فإنه لم ينقل الجهر بالتشهد عن رسول الله ﷺ والناس توارثوا الإخفاء بالتشهد من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، والتوارث كالتواتر "[٣].

فالمصلون جميعًا يقولون التشهد، يقولونه سرًّا، يخفيه الجميع، لا ينوب فيها إمام عن مأموم، ولا يرفع بها أحد صوته؛ حتى يكون ذلك أعون على الخشوع، والتدبر لما تحمله ألفاظه من معانٍ، ولا تتم الصلاة إلا به، حتى ذكر الفقهاء أن المأموم لو لم يتشهد حتى سلم الإمام، فإنه لا يصير خارجًا بسلام الإمام، ولكن ينبغي له أن يتشهد ثم يسلم؛ لأنه قد بقي عليه واجب من واجبات الصلاة[٤]، وهو ذكر فيه الثناء على الله . جلَّ ثناؤه . والسلام على رسول الله ﷺ، والدعاء للمسلمين.

وفي إخفائه ترسيخ لمراقبة الله في قلب العبد، وتربية لليقين بإله يعلم السر وأخفى، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧ ﴾ [طه: ٧]، فالتشهد يقال سرًّا لا يسمع فيها المأموم الإمام، ولا الإمام المأموم، ولا يسمع فيه المأموم من بجواره، فلو لم يكن المصلي مؤمنًا بإله يراقبه، ويسمع نجواه، لما قاله، وتضرع إلى ربه به، ولا يكتفى فيه بقول الإمام، فلا ينوب فيه الإمام عن المأموم، كالقراءة بعد الفاتحة، بل يقوله جميع المصلين حتى يستشعر

---

١)) ينظر: شرح أبي داود للعيني، ٤/ ٢٧١.

٢)) الاستذكار، ١/ ٤٨٨.

٣)) المبسوط للسرخسي، ٣٢/١.

٤)) السابق، ٢/ ٩٣.

الجميع معانيه، ويتدبروا ما في ألفاظه من مناجاة وضراعة لرب العالمين، والتشهد تلخيص تام للصلاة، وتحقيق لغايتها، وهو مناجاة العبد لربه، فكل عبد بمفرده يناجي ربه فيه دون إنابة، وفيه الاستسلام لله، والخضوع لذاته، فيشتمل على كل ما تغرسه الصلاة، من تمجيد الله، والاقتداء برسول الله ﷺ، وبث روح الجماعة، ونشر الألفة.

المطلب الثالث

وقفة تحليلية لسياق التشهد

قوله: "كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا"، وفي موطن آخر: "كنا إذا صلينا خلف النبي ﷺ قلنا"، وفي رواية: "كنا إذا صلينا مع النبي ﷺ قلنا"، "وكنا نقول في الصلاة"، "وكنا نصلي خلف النبي ﷺ فنقول"، وجميعها في البخاري[1]، وفي مسلم: "كنا نقول في الصلاة خلف رسول الله ﷺ" وفي رواية: "كنا إذا جلسنا مع النبي ﷺ في الصلاة"[2].

قوله: "كنا إذا كنا مع النبي، وصلينا خلف النبي، وغير ذلك من الروايات" يشير إلى أنهم ـ رضوان الله عليهم ـ ما كانوا يتخلفون عن الجماعة مع رسول الله ﷺ، بدلالة "كنا"، ودلالة المضارع "نصلي" الذي يشعر بالتجدد، و "مع النبي" و "خلف النبي".

وقوله: "كنا نقول" يحتمل أن يكون بتوقيف أو اجتهاد منهم، وعلى سبيل الوجوب أو الندب، والأظهر من نهي رسول الله ﷺ لهم (لا تقولوا) أنه لم يكن

---

[1]) صحيح البخاري، الأحاديث أرقام: ٨٣٥، ٨٣١، ٦٢٣٠، ٦٣٢٨، ٧٣٨١.

[2]) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة، رقم: ٤٠٢، ٣٠١/١.

بتوقيف، بل كان باجتهاد منهم من غير تشريع، ولم يكن على سبيل الوجوب، بل كان استحسانًا منهم، ولما سمعه رسول الله ﷺ منهم أنكره عليهم[١].

وقيل: كان ابن مسعود . رضي الله عنه . قد هاجر الحبشة، وعهده وعهد أصحابه . رضوان الله عليهم . أن الكلام في الصلاة جائز، فوقع النسخ في غيبتهم ولم يبلغهم، فلما قدموا فعلوا العادة في أول صلاة صلوها معه ﷺ فلما سلم نهاهم في المستقبل، وعذرهم لغيبتهم وجهلهم بالحكم، فلم يلزمهم الإعادة، مع أن إمكان العلم كان يتأتى في حقهم بأن يسألوا قبل الصلاة: أحدث أمر أم لا؟[٢]، وهذا كلام لا يستند إلى دليل لا من لفظ الحديث، ولا من خارجه، فلو كان ذلك لنص عليه ابن مسعود . رضي الله عنه . بل إن لفظه على ما سيأتي يعطي خلاف ذلك من الدلالات، فالتعبير بصيغة الجمع تدلّل على أن ذلك كان من جموعهم، والتعبير بالفعل (كان) يشير إلى وجود ذلك زمنًا، وغير ذلك مما يشتمل عليه الحديث، وينطق بخلاف ما قيل.

وفي التعبير بالفعل "كان" إشارة إلى ما مضى؛ أي كنا قبل أن يعلمنا رسول الله ﷺ التشهد نقول: "السلام على الله قبل عباده..."، وتتفق الروايات كلها في بناء الجملة بضمير الجماعة، وهذا يشير إلى أن هذا كان إجماعًا من صحابة رسول الله ﷺ، ولم يكن قولًا لأحدهم، كما يشير إلى أنهم استحسنوا هذا القول.

ولم يكن هذا اجتراءً منهم على فعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ فالنبي ﷺ كان يقر ما جاءوا به ويستحسنه، ويثني عليه، كما جاء في قول الصحابي الذي رفع رأسه من الركوع، فقال: "ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما فرغ النبي ﷺ من صلاته، قال: من المتكلم؟ قال: أنا، قال: رأيت

---

١)) ينظر: تحفة الحبيب على شرح الخطيب، ١٨٣/٢.

٢)) ينظر: شرح القسطلاني إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٣٥٢/٢.

بضعًا وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها الأول"[1]؛ فالنبي ﷺ كان يقرهم على ما يصدر منهم إن وافق صوابًا يليق بجلال الله . جلَّ وعلا . ويليق بمقام الصلاة.

وقولهم هذا الكلام، دلالة على أنهم . رضوان الله عليهم . كانوا يرون أنه لا يصح أن ينصرف المرء من صلاته حتى يحيي ربه، وخواص عباده بعده، ثم ينصرف، ثم يسلم؛ لأن المصلي يناجي ربه ما دام يصلي، فلا ينصرف حتى يختم مناجاته بتحية تليق به، ثم يحيي خواص خلقه، ثم يدعو لنفسه، ثم يسلم على الحاضرين معه، ثم ينصرف، وقد أقرهم النبي ﷺ على ما قصدوه من ذلك، لكنه أمرهم أن يبدلوا كلامهم (السلام على الله) بقولهم: (التحيات لله)[2]، وهذا من عظيم دقة فطنتهم، وشدة ذكائهم . رضوان الله عليهم .؛ إذ أدركوا أن الصلاة مناجاة تفتح بتعظيم الله بقول المصلي: "الله أكبر"، فأدركوا أنها لا بد أن تختم بتعظيم الله والثناء عليه، فقالوا: "السلام على الله".

كما أدركوا بعظيم فطنتهم أنهم يسلمون من الصلاة، بقولهم: السلام عليكم على من على يمينهم، وعلى من على يسارهم، كذا عند الفقهاء، فاستحبوا أن يقدموا على سلامهم السلام على الله . جلَّ شأنه . قبل عباده، وقيل: كأنهم رأوا أن السلام تعظيم لله من قبيل الحمد والشكر فجوزوا ثبوته لله . تعالى .[3]، قياسًا عليهما، فلما علم النبي ﷺ بأمرهم منعهم من ذلك، ومن عظيم فطنتهم . رضوان الله عليهم . أنهم التفتوا إلى أن التقديم بين الخلق يكون وفق الأفضلية

---

[1]) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: فضل اللهم ربنا ولك الحمد، رقم: ٧٩٩، ١٥٩/١.

[2]) ينظر: فتح الباري، لابن رجب، ٣٢٦/٧، ٣٢٧.

[3]) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه، ٢٩١/١.

عند الله، فقدموا أمين الوحي جبريل على ميكائيل . عليهما السلام . وقدموهما على سلامهم على بعضهم بعضًا؛ إدراكًا منهم لشرفهم وفضلهم.

وقول ابن مسعود . رضي الله عنه .: "كنا لا ندري ما نقول" يعطي دلالة على أنهم . رضوان الله عليهم . كانوا يجتهدون في البحث عن صيغة تحسن للثناء على الله . جلَّ ثناؤه . كما تعطي دلالة أخرى على دقة حسهم؛ إذ أدركوا أن ما جاءوا به لا يحسن ثناء على الله . تعالى .؛ فلذا تحيروا، وقالوا: "كنا لا ندري".

وتقييد فعل الشرط بـ (إذا) يفيد أنهم كانوا يفعلون ذلك في كل صلاتهم على التحقيق والقطع ما تخلفوا عن هذا الأمر، وهذا يشير إلى شدة انشغالهم بإيجاد صيغة تحسن للثناء على الله . تعالى .، وأنهم لم يكونوا يدخلون الصلاة وهم سكارى بالدنيا ذاهلون عن رسالتها، أو ذاهلون عما يقولون.

وقولهم: "كنا إذ صلينا" يشير إلى أنهم ظلوا زمنًا يفعلون ذلك إلى أن سمعهم النبي ﷺ فنهاهم وأمرهم بالتحيات، وفيه دليل على أن التشهد لم يكن مشروعًا أول ما فرضت الصلاة، لا فرضًا ولا نفلًا[١].

وسر التعبير بالفعل "كان" هو توكيد معنى المضي، وإنما أفادت "كان" تأكيد المضي؛ لأنها عريقة في الدلالة على المعنى؛ لأنهم خلعوا منها معنى الحدث، ولم يبق فيها إلا معنى الزمان[٢].

والأظهر من الروايات أنهم كانوا يقولون من عند أنفسهم باجتهاد منهم، وليس تكرر ذلك منهم، ومداومتهم عليه زمنًا أنه ﷺ سمعه منهم، فإنه ﷺ لم

---

[١]) ينظر: التعليق الممجد على موطأ محمد، ٤٧٣/١.

[٢] ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش، ١٠٠/٧، وبدائع الفوائد لابن القيم، ٢٩١/٢.

يسمعه منهم؛ لأنه في التشهد، والتشهد سر، فرسول الله ﷺ لم يسمعهم إلا حين أنكر عليهم[1]، فلما سمعه التفت إليهم على الفور بعد انتهاء الصلاة وعلمهم ماذا يقولون.

ولكون النبي ﷺ علمهم أن السلام هو تحية الإسلام، وتحية أهل الجنة، وورود السلام في القرآن الكريم ظنوا أن السلام يحيى به الجميع، فجاء هنا التفصيل بعدم السلام على الله. تعالى. بتعليمهم أن السلام تحية تليق بالخلق، ولا تليق بالخالق.

قوله: "قلنا: السلام على الله من عباده"، وفي رواية: "السلام على الله قَبْلَ عِبَادِهِ"[2]؛ أي قبل السلام على عباده، أو "قِبَلَ عباده"؛ أي من جهة عباده، فهو بمعنى: السلام على الله من عباده.

وقولهم: "قلنا: السلام على الله" أرادوا بذلك تعظيم الله. تعالى. الذي هو لازم السلام، "قَبْلَ عباده"؛ أي قلنا هذا اللفظ قبل السلام على عباده، فـ (قَبْلَ عباده) من مقول القول، ينطقون بها تعظيمًا لجلال الله. جلَّ وعلا. وليست ظرفًا للقول، وتدلل على تمجيد الله في نفوسهم؛ إذ لم يقدموا عليه أحدًا من خلقه، لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلًا.

وقيل: "قبل عباده" ليس الغرض أنهم يقولون هذا العنوان، بل هو بيان لرتبة التسليم على الله. عز وجلَّ .؛ أي كانوا يقدمون ما يتعلق بالله. سبحانه وتعالى. على ما يتعلق بعباده، لا أنهم كانوا يقولون هذه العبارة؛ أي: كنا

---

[1]) ينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/٣٣١.

[2]) صحيح البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: السلام اسم من أسماء الله تعالى، رقم الحديث: ٦٢٣٠، ٨/٥١.

نسلم على الله قبل أن نسلم على عباده؛ فنقول: السلام على الله قبل أن نقول: السلام على جبريل[١].

فالسلام هنا معناه التحية لله، كما يحيي بعضهم بعضًا بالسلام، وقيل: السلام على الله، بمعنى الاعتراف بسلامته ـ تعالى ـ من كل نقص؛ أي السلام لله، فعلى فيه بمعنى (اللام)[٢].

قوله: "السلام على فلان وفلان"، يعنون الملائكة[٣]، وفي رواية "فنعد الملائكة"، وفي أخرى: "فنعد من الملائكة ما شاء الله"[٤]، وفي رواية: "قلنا: السلام على جبريل وميكائيل، السلام على فلان وفلان" "السلام على جبريل، السلام على ميكائيل، السلام على فلان وفلان "[٥]؛ بيان لعباده، فيسلمون على الملائكة بأسمائهم واحدًا واحدًا، وجميع الروايات تجمع على اختلافها أنه كانوا يسلمون على عباد الله الصالحين، وكانوا يجتهدون في ذكر أفراد منهم بقدر ما يسعه المقام، وهذه الرواية تنبئ عن أنهم كانوا يذكرون أفرادًا من المؤمنين بعد الملائكة، ولهذا القول ما يؤيده من الروايات، ففي البخاري عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: "كنا نقول التحية في الصلاة،

---

١)) ينظر: حاشيتا قليوبي وعميرة، ٣٨٣/١، وحاشية البيجرمي، ٢١٦/١.

٢)) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٧٣١/٢.

٣)) سنن ابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب: ما جاء في التشهد، رقم: ٨٩٩، ٢٩٠/١.

٤)) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٣١٢/٢.

٥)) صحيح البخاري، كتاب: أبواب صفة الصلاة، باب: التشهد في الآخرة، رقم: ٨٣١، ١٦٦/١، وكتاب: الاستئذان، باب: السلام اسم من أسماء الله تعالى، رقم: ٦٢٣٠، ٥١/٨.

ونسمي، ويسلم بعضنا على بعض"[1]، ومعنى ويسلم بعضنا على بعض: نقول: السلام على فلان، وليس المعنى أنه يخاطبه؛ لأنه لو خاطبه بطلت الصلاة، والإمام البخاري قد وضع الحديث تحت باب: من سمى قومًا أو سلم في الصلاة على غيره مواجهة وهو لا يعلم، وقد أجاد . رضي الله عنه . في موضعين:

الأول: تسمية الباب بقوله: "من سمى قومًا أو سلم في الصلاة على غيره مواجهة وهو لا يعلم"، ولو اقتصر على جزء منه لأخل بما كان يفعل من صحابة رسول الله ﷺ إذ إن قوله: "من سمى قومًا" يريد ما كانوا يفعلونه من مواجهة بعضهم بعضًا ومخاطبتهم، وقوله: "أو سلم في الصلاة على غيره مواجهة وهو لا يعلم"؛ أي لا يعلم المُسلم عليه، ولا يسمع السلام عليه.

الآخر: اختيار هذه الرواية دون غيرها؛ لصلتها بالباب.

وقولهم: "السلام على فلان وفلان" تبين مدى حيرتهم وترددهم في الإتيان بعدد غير قليل من الملائكة . عليهم السلام . وأنهم كانوا يأتون بأسماء متعددة من عباد الله الصالحين، كما في رواية ابن ماجه، "فنعد من الملائكة ما شاء الله"، ونقل: أنهم كانوا يذكرون بعض الصالحين من المؤمنين[2]، كان يسلم بعضهم على بعض عند انتهاء الصلاة، ويشير بعضهم على بعض، فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي

---

[1]) صحيح البخاري، أبواب: العمل في الصلاة، باب: من سمى قومًا، أو سلم في الصلاة على غيره مواجهة، وهو لا يعلم، رقم: ١٢٠٢، ٢/٦٣.

[2]) ينظر: حاشية البيجرمي، ١/٢١٦.

أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟ أُسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ»[١]، وفي سنن أبي داود قَالَ: "دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ رَافِعُوا أَيْدِيهِمْ – قَالَ زُهَيْرٌ: أُرَاهُ قَالَ – فِي الصَّلَاةِ...الحديث"[٢]، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك، وأبدلهم بقوله: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين".

قوله: "فقال النبي ﷺ: "لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات"؛ أي فنهانا ﷺ عن هذا القول؛ لأنه موهم أنه . تعالى . مفتقر إلى إزالة ما هو منزه عنه وهو الخوف.

والفاء في (فقال النبي ﷺ) تدل على الترتيب، وتشير إلى أنه ﷺ قال عقب سماعهم على الفور؛ أي في أثناء الصلاة، سمعهم، فقال، ويؤيده ما جاء في رواية أخرى لابن مسعود: "فالتفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: إن الله هو السلام، فإذا صلى أحدكم، فليقل"، وفي رواية: "فسمعه رسول الله ﷺ فقال" [٣]، وعند ابن ماجه: "فسمعنا رسول الله ﷺ فقال: لا تقولوا: السلام على الله، فإن الله هو السلام"[٤].

---

[١]) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد، ورفعها عند السلام، وإتمام الصفوف الأول والتراص فيها والأمر بالاجتماع، رقم الحديث/ ٤٣٠، ٣٢٢/١.

[٢]) سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: في السلام، رقم الحديث/ ١٠٠٠، ٢٦٢/١.

[٣]) صحيح البخاري، كتاب: أبواب صفة الصلاة، باب: التشهد في الآخرة، رقم: ٨٣١، ١٦٦/١، وكتاب: أبواب العمل في الصلاة، باب: من سمى قومًا، رقم: ١٢٠٢، ٦٣/٢.

[٤]) سنن ابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب: ما جاء في التشهد، رقم: ٨٩٩، ٢٩٠/١.

لكن الراجح أن الفاء هنا تمطل زمن الفعل، وتجعل الفعل متصلًا ببعضه؛ أي (فقال) فور انتهائه من الصلاة بلا فاصل، وهذا ما رجحه ابن حجر مستشهدًا ببيان المحل الذي قال فيه النبي ﷺ برواية حفص ابن غياث أنه بعد الفراغ من الصلاة، ولفظه: "فلما انصرف النبي ﷺ أقبل علينا بوجهه، فقال: إن الله هو السلام"[1]، وبرواية عيسى ابن يونس: "فلما انصرف من الصلاة قال قوله: إن الله هو السلام[2].

أو أن الكلام مبني على الاختصار في الرواية، وحذف بعض الجمل التي لا يحتاج إليها السياق من نحو: ففرغنا من صلاتنا، فالتفت إلينا رسول الله ﷺ وهذا من أثر القرآن فيهم.

وفي قوله: (أقبل علينا بوجهه) أي: رسول الله ﷺ لا بمجرد الكلام، إظهارٌ منه ﷺ لمزيد العناية والاهتمام بما يعلمهم إياه في هذا الموطن، وذكره من الراوي يؤكد به مزيد تثبته من نقله.

قوله: (لا تقولوا السلام على الله)؛ لأنه ليس من الكلمات التامات، أنكر السلام على الله . تعالى .؛ لعدم استقامة المعنى؛ فاللفظ موهم، وبيّن أن ذلك عكس ما يجب أن يقال، ووجه النهي عن السلام على الله . تعالى . أن قولك لأحد السلام عليك، معناه: أنت آمن مني، وهذا المعنى لا يليق بالله . جلَّ جلاله .؛ إذ لا يبلغ أحده ضره حتى يؤمنه، أو دعاء بالسلامة من المكاره والآفات، وكلاهما لا يجوز في حقه . تعالى . فسبحانه هو المرجوع إليه بالمسائل، المتعالي عن المعاني المذكورة، الذي يعطي السلام لعباده، فكيف

---

[1]) صحيح البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: السلام اسم من أسماء الله تعالى، رقم: ٦٢٣٠، ٨/٥١.

[2]) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٢/٣١٢.

يدعى له، وهو المدعو على الحالات، قاله التوربشتي[١]، وقيل: إذا قلت السلام على الله أوهم ذلك أنه . تعالى . يلحقه نقص، وأنك تدعو له ألا يلحقه نقص، والله سالم من كل نقص وعيب، كامل في ذاته، وصفاته[٢].

أما ما ورد في الدعاء: "اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وإليك السلام"، فقوله: "أنت السلام"؛ أي المختص به لا غيرك، فالأسلوب يفيد القصر بتعريف الطرفين، وقوله: "ومنك السلام"، أي حصوله منك، لا من غيرك، قصر بتقديم الخبر على المبتدأ، وقوله: "وإليك السلام"، يعود إليك، أما ما صدر من غيرك من السلام وإعطاء الأمان للغير، فإنما لهم صورة، وأما حقائقه فراجعة إليك، وإلى توفيقك إياهم؛ لذا قدم المعمول على عامله؛ لإفادة القصر[٣]، وقيل: (وإليك يرجع السلام) فمعناه قصر السلام على ما يصح إضافته إليه مما يبغى به وجهه، ويتوسل به إليه، وما عدا ذلك فليس من السلامة في شيء، وإن عده الناس منها[٤].

وقيل: قوله: "ومنك السلام، وإليك السلام" هو في موقع البيان لقوله: "أنت السلام"؛ لأن الموصوف بالسلام هو الذي وجد بعرضة آفة ممن يصيبه بضرر، أو مما يلحقه منه ضرر، وهذا لا يكون في حقه . تعالى . فأبان بهذه العبارات أن وصفه . تعالى . بالسلام لا يشبه وصف المخلوقين، فإنهم

---

١)) ينظر: السابق، الصفحة نفسها.

٢)) ينظر: الشرح المختص على بلوغ المرام، ١٥٢/٣.

٣)) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٧٣١/٢، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، ١٠٣٣/٢.

٤)) ينظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ٢٦١/١.

مفتقرون، . وسبحانه . متعالي عن ذلك، فهو السلام الذي يعطي السلامة، ويمنعها، ويبسطها، ويقبضها، لا تبدأ إلا منه، ولا تعود إلا إليه[١].

قوله: "فإن الله هو السلام" هذا هو محل الشاهد الذي سيق من أجله الحديث، أما المراد بكونه . تعالى . هو السلام . والتي جعلها علة للنهي، وعليها مدار الحديث .: هو أن كل سلام ورحمة له ومنه، وهو مالكها ومعطيها، فكيف تسألونه له؟ قاله البيضاوي، فهو . سبحانه . الذي يخلص عباده، ويحفظهم من الآفات، ولا تصل إليه آفة ولا ضرر[٢]، وقيل: الله هو السالم من أن يلحقه حاجة، أو يناله تغير أو آفة، بل هو الكامل في أوصافه العليا وأسمائه الحسنى، وهو الغني بذاته عن كل ما سواه، سالم من جميع العيوب والنقائص التي تلحق الخلق، فإذا سمى ذاته باسم، أو وصف ذاته بصفة، وتسمى به، أو اتصف بها بعض خلقه، فإن المعاني التي يدل عليها اسمه وصفته لا يشاركه فيها مخلوق، وكل نقص في المخلوق فهو . سبحانه . سالم منه[٣]، أو هو من وضع المصدر موضع الاسم؛ للمبالغة، فهو السلام وصف مبالغة في وصف كونه سليمًا من النقائص، أو في إعطائه السلامة[٤].

أو أن الله هو ذو السلام، فلا تقولوا: السلام على الله؛ فإن السلام منه بدأ، وإليه يعود، ومرجع الأمر في إضافته إليه أنه ذو السلامة من كل آفة وعيب، ويحتمل أن يكون مرجعها إلى حظ العبد فيما يطلبه من السلامة من الآفات

---

١)) ينظر: السابق، الصفحة نفسها.

٢)) ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح، ٢/ ١٥٧.

٣)) ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ١/ ١٣١.

٤)) ينظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ١/ ٢٥٣.

والمهالك، قاله الخطابي[١]؛ ولذلك جعل هذا الاسم تحية بين المسلمين وشعارًا عند التلاقي؛ ليتحروا به السلامة بعضهم من بعض، فيعمهم الأمن والسلامة، ولما وجدهم النبي ﷺ يستعملونه في الثناء على الله. تعالى. أمرهم أن يصرفوه إلى خطاب الخلق لحاجتهم إلى السلامة والعدول به عن معنى الثناء بذلك على الله. تعالى .؛ لغناه وافتقارهم إليه، وأمرهم أن يقولوا في الثناء على الله: التحيات لله، فإنها لا تليق بغيره، ولا تبتذل في تحية من سواه[٢].

وقال النووي: معناه أن السلام اسم من أسماء الله. تعالى .؛ يعني السالم من النقائص، ويقال: المسلم أولياءه، أو المسلم عليهم[٣]، وعقب السندي على النووي بأن كون السلام اسمًا من أسمائه لا يصلح تعليلًا للنهي، إلا أن يكون مبنيًّا على أن يكون السلام عليك حفيظًا ورقيبًا، فلا يخفى أن مجرد كونه اسمًا من أسمائه لا يمنع عن كون السلام بمعنى آخر ثابت له، أو مطلوب الإثبات له، والأقرب: أن الله معطي السلامة، فلا يحتاج إلى أن يدعى له بالسلامة، أو أنه. تعالى. هو السالم عن الآفات التي لأجلها يطالب السلام عليه، ولا يطلب السلام إلا على من يمكن له عروض الآفات، فلا يناسب السلام عليه. تعالى .[٤].

وقوله: "فإن الله هو السلام" لذاته، لا يحتاج إلى الدعاء، وأكد الجملة بـ (إن) وخرج بالكلام عن مقتضى الظاهر؛ بتنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد، لأن جملة النهي جعلت نفس المتلقي مستشرفة ومتطلعة إلى علة

---

١)) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٣١٢/٢.

٢)) ينظر: أعلام الحديث شرح صحيح البخاري، ٥٤٩/١.

٣)) ينظر: شرح النووي على مسلم، ١١٦/٤.

٤)) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه، ٢٩٢/١.

النهي، فجاءت الجملة مؤكدة؛ لتجيب عن هذا التطلع، ولو جاء الكلام على ظاهر؛ لقال: فالله هو السلام، وإنما بناها أعرابية تشبة الفطرة الصادقة، وخرج الكلام عن مقتضى الظاهر كذلك بالتعبير باسم الجلالة موضع الضمير، (فإن الله هو السلام)، ومقتضى الظاهر التعبير بمثل: (لا تقولوا السلام على الله، فإنه هو السلام)؛ للإشارة إلى إن سلامة الله من الآفات والنقائص كلها واجب له لذاته؛ لأنه (الله)، فمنه يطلب السلامة لعباده؛ فإنهم محتاجون إلى السلامة من عقابه وسخطه[1]، فلقصد إبراز هذا المعنى عبر باسم الجلالة، وجاء بالحكم في أسلوب قصر، وأتى بضمير الفصل؛ لتوكيد الحكم.

أنكر عليهم التسليم على الله؛ لأنه دعاء له ـ سبحانه ـ بالسلامة، وهو غني عنه، مالك ذلك ومعطيه، وأمرهم أن يصرفوا الدعاء بالسلامة إلى الخلق لحاجتهم إليهم، ولكون السلام تحية الناس فيما بينهم، وما يليق خطابًا للخلق لا يليق خطابًا لجلال الخالق، فالخالق له خطاب يليق بمقامه، ولا يكون لغيره.

وقوله: "ولكن قولوا التحيات لله" جاء معطوفًا على النهي، لا تقولوا: السلام على الله، وقولوا: التحيات لله، فالله يحيا، ولا يسلم عليه، وبينهما فرق كبير، فالسلام دعاء، والتحيات تعظيم وتوقير وعبادة؛ ولأجل ذلك تسمى جميع التعظيمات عبادة، وتسمى تحيات[2]، وكانوا إذا نال أحد الملك، قيل: نال فلان التحية؛ أي نال الملك الذي يستدعي له التحية، فهو ـ سبحانه ـ المستحق أن يحيى بأعلى التحيات؛ لتمام ملكه، ولا يسلم عليه؛ لكماله وغناه المطلق[3].

---

[1]) ينظر: فتح الباري، لابن رجب، ٣٢٦/٧.

[2]) ينظر: شرح عمدة الأحكام لابن جبرين، ١٩/ ٣.

[3]) ينظر: حاشية الروض المربع، ٦٦/٢.

ولفظ السلام مشترك بين اسم الله والتحية، فالسلام على الله معناه: التحية؛ أي الثناء على الله . جلَّ ثناؤه . وقد نهاهم النبي ﷺ عن السلام مع صحة معناه، وأمرهم بالتحية؛ تحاشيًا عن اللفظ الموهم، وإن كان المراد منه ما ذكر[١]، فهذا غاية التعظيم والثناء على الله . تعالى . بأن يكون اللفظ الذي يثني به العبد على الله . جلَّ شأنه . لا يحتمل أي إيهام مما لا يليق بجلال الله . تعالى . ولا يكون مما يصلح لخطاب البشر؛ حتى يكون الله . عز وجلَّ . مختصًّا بخطاب دون سواه من البشر.

وقوله ﷺ: "قولوا التحيات لله"، وفي رواية: "فإذا صلى أحدكم، فليقل" بيّن النبي ﷺ محلها بقوله: "فإذا جلس أحدكم في الصلاة" "فإذا قعد أحدكم في الصلاة"[٢]، والأمر للوجوب، وقد استدل جمهور المحدثين، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، به على وجوب التشهد في القعدتين، فقراءة التشهد واجبة، ومحلها قبل الفراغ من القعدة[٣]، ولم يأت القائلون بعدم وجوب التشهد بحجة مقبولة إلا قولهم: إنه لم يذكر في حديث تعليم المسيء صلاته، وقولهم صحيح، فهو لم يذكر في حديث المسيء، ولكن قولهم يصح حجة إذا تقرر أن حديث المسيء متأخر عن مشروعية التشهد، أما إذا كان متقدمًا فلا مانع من أن يتجدد إيجاب واجبات لم يشتمل عليها، وإن جهل ذلك كان القول

---

١)) ينظر: حاشية البيجرمي على الخطيب = تحفة الحبيب على شرح الخطيب، ٣٩/٢.

٢)) صحيح البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: السلام اسم من أسماء الله تعالى، رقم: ٦٢٣٠، ٥١/٨، وكتاب: الدعوات، باب: الدعاء في الصلاة، رقم: ٦٣٢٨، ٧٢/٨.

٣)) المحيط البرهاني في الفقه النعماني، ٥١٦/١.

بالوجوب أرجح؛ لأنه قد وجد ما يقتضي الوجوب، ولم يتيقن ما يصرفه عن ذلك[1].

وقد جاء التصريح بفرضية التشهد، وذلك في رواية النسائي عن شقيق بن سلمة من حديث ابن مسعود: "كنا نقول في الصلاة قبل أن يفرض التشهد"[2]، فقوله: "يفرض" دليل على الإيجاب، وخالف الإمام مالك وجمع من العلماء في ذلك بحجة أن التسبيح في الركوع والسجود مأمور به، ولم يقل أحد بوجوبه، بل هو مندوب عند الشافعي وغيره، ولم يقم عنده فرضه بفعله . عليه السلام . وأمره به، وكذلك فعله التشهد، وأمره به ليس بفرض؛ لأن كليهما عنده ذكر ليس من عمل بدن، وقد يأمر . عليه السلام . بالسنن، كما يأمر بالفرائض، وأجابه الكرماني: بأن الأمر حقيقته الوجوب، فيحمل عليه، إلا إذا دلَّ دليل على خلافه، ولولا الإجماع على عدم وجوب التسبيح في الركوع والسجود لحملناه على الوجوب، وهذا قصور منه، فالإمام أحمد يقول بوجوب التسبيح والتشهد [3].

والروايات على اختلافها، وعلى اختلاف العلماء فيما يحمله لفظ الأمر من الوجوب أو الاستحباب، تعطينا أن التشهد حكمه لا يختلف في صلاة العبد جماعة أو منفردًا، بدليل قوله: "إذا صلى أحدكم"، وأن الجميع يقولها سواء أكان منفردًا أم في جماعة، ولا تقتصر على الإمام كالقراءة في القيام، بقوله ﷺ: "قولوا" بضمير الجمع.

---

[1]) ينظر: السيل الجرار، ١/ ٢١٩.

[2]) سنن النسائي، كتاب: السهو، باب: إيجاب التشهد، رقم: ١٢٧٧، ٣/٤٠.

[3]) ينظر: شرح النووي على مسلم، ٤/٢١٤، وفتح الباري، لابن حجر، ٢/٣١٢، و شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٢/٤٤٦.

وقوله: "قبل أن يفرض التشهد" مشعر بفرضية التشهد، وظاهره أن ما كانوا يقولونه لم يكن مفروضًا، ويشير إلى أن فرض التشهد متأخر عن فرض الصلاة، وأنه فرض بعد أن لم يكن مفروضًا، وصلاة جبريل بالنبي ﷺ الجلوس كان فيها مستحبًا، أو واجبًا بغير ذكر[١].

ونهاهم أن يقولوا: السلام على الله من عباده، وأمرهم أن يقولوا: التحيات لله، والفرق بينهما: أن السلام هو الأمان، وليس على الله خوف، فنهاهم؛ لأنه . تعالى . يطلب منه الأمان، وهو الذي يؤمن[٢]، أما التحيات فتعظيم . وسبحانه وتعالى . يحيا، ولا يسلم عليه، يعظم، لا يدعى له، والذي يدعى له المخلوق المحتاج، والسلام تحية تليق بالبشر، ولا تليق بالله . جلَّ شأنه . وكأنه قال لهم: الله لا يسلم عليه؛ لكماله وغناه المطلق، ولكن قولوا: التحيات لله؛ لأنه هو المستحق كل التحايا لتمام ملكه.

ثم أقرهم ﷺ على سلامهم على عباد الله الصالحين، ولم ينكره: "وإنما أنكر عليهم تسميتهم للناس بأسمائهم؛ لأن ذلك يطول على المصلي، ويخرجه مما هو فيه من مناجاة ربه إلى مناجاة الناس شخصًا شخصًا، فجمع لهم هذا المعنى في قوله: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"، فهو وإن خاطب نفسه، فقد خاطب أيضًا غيره معه، لكنه بما يرجى بركته فيها، فكأنه منها"[٣].

فعلمهم أن يكون الدعاء شاملًا لجميع عباد الله الصالحين، فقال: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"، ثم قال: "فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد صالح في السماء أو بين السماء والأرض"، وفي موطن آخر عن شقيق بن

---

١)) ينظر: حاشية الجمل على شرح المنهج، ١/٣٨١.

٢)) ينظر: التعليق الممجد على موطأ محمد، ١/٤٧٤.

٣)) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩/ ٢٧٥.

سلمة، قال: "فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض، "[1].

وروى الإمام مسلم عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله . رضي الله عنه . قال: فإذا قعد أحدكم في الصلاة، فليقل: فإذا قالها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض، ثم يتخير من المسألة ما شاء"[2]

وقوله: "فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء أو بين السماء والأرض" فإنكم معشر المصلين؛ جملة اعتراضية بادر بها النبي ﷺ قبل إتمام كلمات التشهد؛ أي إذا قلتم: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" انتفع بهذا السلام كل عبد صالح في الأرض أو السماء؛ أي: عمتهم كلهم فشملت كل أجناس الخلق: الملائكة، والإنس، والجن، فتستغنون عن قولكم: السلام على فلان وفلان، وقيل: أصاب ثوابه أو بركاته كل عبد[3]، وقدمت هذه الجملة على التشهد؛ للاهتمام بها، وللإجابة عما يحوم في صدورهم، ولتثبيت ما تحمله جملة (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) في نفوسهم، حتى يحلوها محل ما أنكره عليهم من عد الملائكة واحدًا واحدًا، ولا يمكن استيعابهم.

وقيد فعل الشرط بإذا الذي يفيد القطع بتحقق وقوع الشرط؛ للإشارة إلى عظيم ثقته ﷺ في التزامهم . رضوان الله عليهم . بما يعلمهم إياه.

وقوله: "قلتم" حذف مقول القول استنادًا إلى فقه أصحابه، ودقة فطنتهم، وإن جاءت روايات أخرى تثبت مقول القول بإثبات ضمير يعود على قوله:

---

[1]) صحيح البخاري، كتاب: أبواب صفة الصلاة، باب: التشهد في الآخرة، رقم: ٨٣١، ١٦٦/١.

[2]) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة، رقم: ٤٠٢، ٣٠١/١.

[3]) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه، ٢٩٢/١.

"السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين"، وهو ما رواه البخاري: "فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض"[١]، "فإنكم إذا فعلتم ذلك فقد سلمتم على كل عبد لله صالح في السماء والأرض"[٢].

وآثر التعبير بلفظ من ألفاظ العموم (كل) لإفادة العموم، ولم يكتف بقوله: "أصاب كل عبد صالح" بل قال: "في السماء والأرض"؛ للشمول والعموم، وليرفع توهم قصره على أحدهما، وهم كانوا يسلمون على أصناف من السماء والأرض.

وعبر بالماضي (أصاب)؛ للإشارة إلى أن الأمر واقع محقق، وفيه ترفيع لهم باستجابة الله . سبحانه . لهم، وقوله: "فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء أو بين السماء والأرض" يؤخذ منه أن (أل) التي للجنس (الصالحين) تعم أهل السماء والأرض إذا وجدت في وصف كهذا، الدعاء لجميع الملائكة، وجميع المؤمنين من مضى، ومن سيوجد إلى يوم القيامة، وفيه تنويه بشأن أهل الصلاح، وما لهم من الفضل المدخر بدعوة المصلين، وفيه تنويه بعظيم حرمان الفاسقين والمنافقين والكافرين؛ حيث حرموا من دعوات المصلين، واستغفار الملائكة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ﴾ [غافر: ٧]، فما أعظم خسارتهم، وأفدح خسارتهم لو علموا؟[٣]

---

[١]) صحيح البخاري، كتاب: أبواب صفة الصلاة، باب: التشهد في الآخرة، رقم: ٨٣١، ١٦٦/١.

[٢]) السابق، كتاب: أبواب العمل في الصلاة، باب: من سمى قومًا، رقم: ١٢٠٢، ٦٣/٢.

[٣]) ينظر: تأسيس الأحكام، ١٨٨/٢.

وقوله: "أصاب كل عبد" أي أصابه ذلك السلام، وهذا دليل على أن السلام عليهم دعاء لهم، ولو كان خطابًا؛ لقال: فإنكم إذا قلتموها سمعكم كل عبد، أو أجابكم كل عبد"، وبهذا يستدل على أن "السلام عليك أيها النبي" دعاء لا خطاب، ولا نحتاج فيها إلى القول بالخطاب في حياته وبالغيبة "السلام على النبي" بعد موته.

وجاءت الروايات بإضافة العبد إلى الله، وتقييده بالصالح، ففي البخاري: "فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض"[١]، "فإنكم إذا فعلتم ذلك فقد سلمتم على كل عبد لله صالح في السماء والأرض"[٢]، وفي مسلم: "فإذا قالها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض"[٣]؛ لبيان أن عبوديته لله، وصلاحه سببا اختصاصه بالدعاء.

وقوله: "في السماء أو بين السماء والأرض" يزيل به ما عسى أن يقع من غموض أو لبس بالمراد بقوله: "كل عبد" أمن المؤمنين، أم من ملائكة السماء؟ فبين أن مراده كل عبد صالح في السماء والأرض.

و (أو) في قوله: في السماء أو بين السماء والأرض للتنويع، وليست للشك، وعدل عن "في السماء والأرض" إلى "أو بين السماء والأرض؛ ليعم ما بينهما، وقيل: للتفنن، وحاصلهما واحد، وهو شك من الراوي[٤].

---

١)) صحيح البخاري، كتاب: أبواب صفة الصلاة، باب: التشهد في الآخرة، رقم: ٨٣١، ١٦٦/١.

٢)) السابق، كتاب: أبواب العمل في الصلاة، باب: من سمى قومًا، رقم: ١٢٠٢، ٦٣/٢.

٣)) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة، رقم: ٤٠٢، ٣٠٣/١.

٤)) ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ٥/ ١٨٦.

ورواية: (في الأرض) تشمل الجن، ممن يسكنون باطن الأرض، ولو اقتصر على ما بين السماء والأرض؛ لكان الحديث عن العبد الصالح على الأرض دون فيها.

وقدم السماء على الأرض في قوله: "كل عبد في السماء والأرض"؛ لشرفها، وفضل مجموع من فيها على مجموع من في الأرض؛ لعموم صلاح من في السماء؛ فالدعاء للصالحين، وهم في السماء أكثر، ولكون أهل السماء هم المخصوصون بالمقام، فقد كان الصحابة . رضوان الله عليهم . يسلمون على جبريل وميكائيل . عليهما السلام . قبل السلام على من في الأرض.

قوله: "ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو"، جملة بيّن بها ﷺ ثقته في حسن مقصد صحابته . رضوان الله عليهم . حتى أوكل إليهم أن يأتوا بما شاءوا من الأدعية في أشرف المواطن وأجلّها، ففتح لهم بابًا يدعو فيه كل منهم بما شاء، على سبيل الاستحباب، ففيها الإذن بمطلق الدعاء.

وإباحته الدعاء لهم على هذا النحو الواسع لا يتناقض مع إنكاره ما جاءوا به قبل أن يعلمهم التحيات؛ إذ إنه ﷺ قد أباح لهم بعد ما علمهم ما يقولونه في حق الله، وأباح لهم بعدها ما يدعون به لأنفسهم والصالحين من عباد الله.

وفي رواية: "ثم ليتخير" بلام الأمر، والأمر قد خرج عن حقيقته إلى معنى الإباحة، فيجوز لهم الفعل مع عدم الحرج من الترك، والمعنى أبحت لكل منكم ما يشاء من الدعاء مما يحبه العبد من خيري الدنيا والآخرة، وأحسنه إليه، ومجيء الكلام في صورة الأمر دلالة على أن الأمر مطلوب ومرغوب فيه.

ومما ينبه على أن الأمر للإباحة دون الوجوب ردُّ رسول الله ﷺ الأمر إلى اختيار المرء، وإعجابه، ومشيئته، فقال ﷺ: "ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو".

والأمر للإباحة لا للإيجاب، أما في (قولوا: التحيات لله) فالأمر للوجوب، وبينهما (الوجوب، والإباحة) ما لا يخفى من الفرق، فما بين الوجوب والإباحة من الفرق هو ما بين التشهد الذي علمهم إياه ﷺ وما يختاره العبد من الدعاء من الفرق؛ فالتشهد أعظم الأذكار، وأتمها، وأكملها؛ ولذا أوجبه رسول الله ﷺ.

وقوله: "أعجبه إليه"، وفي رواية أبي داود: "ثم ليتخير أحدكم من الدعاء أعجبه إليه فيدعو به"[1]، وعند النسائي: "وليتخير أحدكم من الدعاء أعجبه إليه فليدع الله . عز وجلَّ ."[2]؛ أي يختار كل مؤمن، على كثرة المؤمنين، وتفاوت هممهم، واختلاف مقاصدهم، يختار كل منهم ما يعجبه، فيدعو به، وفيه دلالة على أنه يجوز للعبد الدعاء بما شاء من أمور الدنيا والآخرة، وبما لم يوافق ألفاظ القرآن، ما لم يكن إثمًا، ويؤيد هذا الرواية التي جاء فيها: "ثم يتخير من المسألة ما شاء"، و "ثم ليتخير بعد من المسألة ما شاء . أو ما أحب ."[3]، فالاسم الموصول (ما) يفيد العموم، قال النووي: هذا مذهبنا ومذهب الجمهور، وعند مالك والشافعي يجوز أن يدعو بما شاء، وقال أبو حنيفة وأحمد: لا يجوز إلا بالدعوات الواردة في القرآن والسنة، أو بما يوافق

---

[1]) سنن أبي داود، أبواب: تفريع استفتاح الصلاة، باب: التشهد، رقم: ٩٦٨، ٥٤/١.

[2]) سنن النسائي، كتاب التطبيق، باب: الإشارة بالأصبع في التشهد الأول، رقم: ١١٦٣، ٢٣٨/٢.

[3]) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة، رقم: ٤٠٢، ٣٠٣/١.

لفظ القرآن، فإن خالف بطلت صلاته[١]، ولعل النووي ناظر إلى أسلوب العموم الذي أفادته الجملة، وأبو حنيفة ناظر إلى الأحاديث التي أتت ببعض الأدعية الواردة عنه ﷺ بعد التشهد، فقيد الدعاء بها، وعلل العيني لرأي أبي حنيفة أن الدعاء بأمور الدنيا من كلام الناس، وقد صح في الحديث: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس"[٢]. وقيل: ويختار منها ما يكون أوفق لحاجته، والأحب أن يختار الجوامع من الأدعية[٣]، وهذا هو ما علمهم إياه رسول الله ﷺ بعد ذلك، وقال ابن رجب: "والصحيح ـ المنصوص عن أحمد ـ: أنه يجوز الدعاء بما يعود بمصلحة الدين بكل حالٍ، وهو قول جمهور العلماء"[٤].

ولم يقتصر إباحة رسول الله ﷺ لهم على الدعاء، بل جاء بأسلوب الأمر، "ثم ليتخير بعد ذلك من الكلام ما شاء"[٥].

وقد علمهم رسول ﷺ أدعية جاءت بها الأحاديث الصحيحة عنه غير أنها لم تأخذ مأخذ التشهد من العناية والاهتمام، ومن ذلك ما روي عن جامع بن أبي راشد عن أبي وائل، قال: "وكان يُعَلِّمُنَا كَلمات ولم يكنْ يُعلمُنَاهُنَّ كما يُعلِّمُنا التشهد"[٦].

---

١)) ينظر: شرح النووي على مسلم، ١١٨/٤، وفتح الباري، لابن رجب، ٧/ ٣٤٤.

٢)) ينظر: شرح أبي داود للعيني، ٢٤٠/٤.

٣)) ينظر: فيض الباري على صحيح البخاري، ٣٩٧/٢.

٤)) فتح الباري، لابن رجب، ٧/ ٣٤٤.

٥)) سنن النسائي، كتاب: التطبيق، باب: كيف التشهد، رقم: ١٢٧٩، ٤١/٣.

٦)) سنن أبي داود، أبواب: تفريع استفتاح الصلاة، باب: التشهد، رقم: ٩٦٩، ٢٥٤/١.

وقوله ﷺ: "أعجبه إليه"، "وما شاء" ربما فهمت على إطلاقها منزوعة من سياقاتها الثلاثة: "المقام، والقائل، والمتلقي"، وهذا ما أحدث خلافًا بين الفقهاء فيما يجوز وما لا يجوز من الأدعية.

ولو التفتوا إلى السياقات الثلاثة لما حدث اختلاف، فسياق المقام اثنان: السياق الداعي إلى تعليم التحيات، وهو قولهم: السلام على الله، السلام على فلان وفلان، فالسياق يقول: إنه لا ينكر عليهم ذلك، ويبيح لهم ما دون ذلك مما لا يليق بمقام الله، ثم ما ظنه ﷺ في قوم حرصوا على الدعاء لعباد الله الصالحين دون أنفسهم؟! وسياق القول: وهو جلسة الصلاة وما فيها من ثناء على الله، لا يليق بالعبد أن يشفعه بدعاء فيه دنو همة، أو بكلام لا يليق بمقام الله، والقائل النبي ﷺ لا يبيح لهم أن يدعو بما لا يليق، وقد أنكر عليهم ما جاءوا به من سلام على الله، وجمعه مع بعض خلقه في خطاب، والمتلقي هو المؤمن المصلي، همته عالية بقدر إيمانه وصلاته، وعلى هذه السياقات يفهم قوله: "أعجبه إليه"؛ أي أحبه إليه وأرضاه من أمور الدين والدنيا.

ودلالة الفعل: "يتخير" والاختيار الاصطفاء؛ أي يصطفي من الدعاء أعجبه إليه، تشير إلى أن الفعل "يتخير" وهو الاصطفاء كالشرط والقيد لما يدعو به المرء، فلا يدعو إلا بما يصطفيه ويتخيره، والاصطفاء موقوف على عقل ناضج يفاضل ويوازن بين الأمور؛ فيختار أوفقها لمقامه وحاجته.

وقوله: "ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه" جملة يلفت بها ﷺ أذهانهم إلى أن موطن الفراغ من الصلاة موطن إجابة بعد الوقوف بين يدي الله، والثناء عليه بما هو أهله، والسلام على نبيه ﷺ، ومن ذلك ما قاله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ ﴾ [آل عمران: ٣٩]، تقرب إلى الله

تأتك البشريات؛ ولذا قال أعجبه إليه؛ أي ما تتوق إليه نفسه، وتتطلع إليه، بكل ما شاء من أمور الدين والدنيا.

وفي رواية للبخاري: "ثم يتخير بعد من الكلام ما شاء"[١]، فبين بهذه الرواية أن كلام المرء بعد التشهد لا يكون محصورًا في الدعاء، بل يمكن أن يكون ثناء على الله ـ تعالى ـ وقد أنبأ وضع هذه الرواية عند الإمام البخاري في هذا الموطن عن دقته وفطنته ـ رضي الله عنه ـ في وضع الروايات المختلفة بما يتناسب مع موضوع الباب والكتاب؛ فقد أتى بهذه الرواية في كتاب الاستئذان، باب: السلام اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ وقيل: المراد بالكلام الدعاء بدليل الرواية السابقة[٢]، وفي باب الدعاء جاء برواية: "ثم يتخير من الثناء ما شاء"[٣]، وأحسن الإمام حين أثبت هذه الرواية في باب الدعاء، الذي عبر فيها بالثناء؛ للإشارة إلى أن ثناء العبد على ربه أعظم ضراعة، تحقق له مقصوده عن توجهه إلى الله بالدعاء.

---

١)) صحيح البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: السلام اسم من أسماء الله تعالى، رقم: ٦٢٣٠، ٨/٥١.

٢)) ينظر: ذخيرة العقبى، ١٤، ١١٢.

٣)) صحيح البخاري، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء في الصلاة، رقم: ٦٣٢٨، ٨/٧٢.

المطلب الرابع

نظرة في سياق التشهد

لمحات بلاغية في كلام النبوة:

بدا واضحًا جليًّا اللمحات البلاغية عنده ﷺ في حديث التشهد؛ إذ قام حديث التشهد على رد جملتين، فبيّن النبي ﷺ خطأ جملة، وعلق عليها بالنهي عنها، وعلل للنهي، ثم أحل غيرها محلها، وتعليقه على الجملة الأولى دليل على أنها الجملة الأم في التشهد.

وصحح الثانية لقصورها عن أداء حق جميع العباد، ولأنها لا تناسب الروح التي تبثها الصلاة، ولا جاءت مشاكلة لنصوص الصلاة التي تقوم على روح الجماعة، ولجمعهم العباد مع الله بالعطف في أمر واحد.

فلم يعلق على جمعهم في قرن مع الله . جلَّ وعلا . وإنما فصلهم وأخرهم، واختص المولى بأمر مغاير، وترك التعليق على هذا الأمر؛ لثقته في تعظيم أصحابه لرب العزة . جلَّ جلالُه . ومما يؤيده قولهم: "قبل عباده".

ولم يعلق على إفراد بعضهم دون بعض؛ لسلامة طويتهم، وصفاء نفوسهم، فما كان اختصاص أحد من خلق الله بالأمر الذي يوغر صدورهم، أو يزرع الأحقاد في نفوسهم، أو ينبت العداوة في ضمائرهم؛ فلذا لم يعلق عليه.

وعلق على الثالث وهو إرادة سلامهم على الصالحين من خلق الله؛ لإدراكه ﷺ مقصدهم، ووقوفه على ما في ضمائرهم؛ فلذا طمئنهم بقوله: "فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء والأرض"، وأتى بما أغفلوه، ورتب الجمل على هذا النحو: حق الله، ثم حق النبي، ثم حق النفس، ثم حق عباد الله الصالحين.

ردَّ المعنى لأنه لا يليق بجلال المحدث عنه . جلَّ جلاله . وردَّ التركيب بجعل العباد مع الله . عز وجلَّ . في قرن واحد، وأدرك غايتهم من سلامهم على الله . جلَّ وعلا . وهو تعظيم الله . سبحانه . والثناء عليه، فقال: "التحيات لله" كل أنواع التعظيم والثناء مستحق وواجب لله . سبحانه . وأدرك إرادة العموم في سلامهم على الصالحين من عباد الله، فجاء بلفظ جامع يشملهم جميعًا، أنكر عليهم تسميتهم الناس بأسمائهم لمخالفته المقام، فالمقام مقام مناجاة لله . عز وجلَّ . لا مناجاة للناس.

فقام رده على مرتكزات هي: النظر إلى المقام، فالمقام مناجاة لله . تعالى . ونظر إلى جلال المحدث عنه وهو الله . عز وجلَّ . ونظر إلى قصور العبارة عن الوفاء بحق المعنى "على جبريل وميكائيل . عليهما السلام"، ونظر إلى ما يتطلبه المقام من إيجاز "أنكر عليهم تسميتهم للناس بأسمائهم؛ لأن ذلك يطول على المصلي، ويخرجه مما هو فيه من مناجاة ربه إلى مناجاة الناس شخصًا شخصًا، فجمع لهم هذا المعنى في قوله: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"، فهو وإن خاطب نفسه، فقد خاطب أيضًا غيره معه، لكنه بما يرجى بركته فيها، فكأنه منها"[١].

ومما يؤكد معنى أن الصلاة مناجاة لله . تعالى . أنها تختم بالتسليم (السلام عليكم ورحمة الله) على من حضره من الإمام والمأمومين، وقيل: إن الحكمة فيه أن السلام سنة لمن حضر القوم بعد غيبة عنهم، والمصلي يسلم على من حضره من الخلق؛ لأنه كان غائبًا عنهم بقدومه على حضرة رب العالمين،

[١]) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩/ ٢٧٥.

واشتغاله بمناجاته، فعندما ينتهي من مناجاة ربه يحضر الخلق بعد التحليل بالسلام[1].

أسلوب النبي في التعليم:

نحن أمام موقف تعليمي، توافرت فيه كل الأساليب التربوية، وظهر ذلك واضحًا جليًّا في النقاط الآتية:

١ . لفت المعلم ﷺ انتباه المتعلمين باهتمامه بالمادة العلمية: "أقبل علينا بوجهه"، وجعل كف ابن مسعود . رضي الله عنه . بين كفيه؛ ليكون ذلك أدعى إلى الاهتمام، وإلى إقبال ابن مسعود . رضي الله عنه . بقلبه وقالبه، ولأجل ذلك حفظ التشهد وأتقنه كما يحفظ السورة، دون أن يزيد فيه، أو ينقص منه، ونقله كما تلقاه من رسول الله ﷺ.

٢. اهتمام المعلم بالمتعلم بتلقينه ما هو في طريق تعليمه إياه، فقد ورد عن ابن مسعود . رضي الله عنه .: «أَخَذْتُ التَّشَهُّدَ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَقَّنَنِيهَا كَلِمَةً كَلِمَةً»[2].

٣ . التلقين والتكرار: "كما يعلمنا السورة من القرآن".

٤ . المراجعة والتقويم، لما روي عن ابن مسعود . رضي الله عنه . أنه قال: "كان رسول الله ﷺ يأخذ علينا التشهد بالواو والألف".

٥ . الإيضاح والتبين "فإن الله هو السلام"، فقد بيّن ﷺ علة النهي.

---

[1]) ينظر: البناية شرح الهداية، ٢/ ٢٨٣.

[2]) شرح معاني الآثار، كتاب: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة، كيف هو؟، رقم: ١٥٦٢، ١/ ٢٦٢.

٦ . الرفق: لم يرد في إنكاره ﷺ تعنيف، وإنما علمهم برفق ولطف، فما انتهرهم، ولا أمرهم بإعادة الصلاة، وفي قولهم اجتهاد منهم لم يسمعوه من رسول الله ﷺ فما لامهم على هذا، أو عنفهم، فالمعلم ينبغي أن يكون رفيقًا لا يواجه من يرشده إلا بما يحبه، فصحابة رسول الله ﷺ جاءوا بأمر هو في حق الله عظيم، فنظر إلى نيتهم، ونهاهم عنه، وعلمهم برفق.

٧ . تسليط الضوء على الإيجابيات: فرسول الله ﷺ ما لام صحابته . رضوان الله عليهم . على عدم الإتيان بالعموم في دعائهم، بل ركز وسلط الضوء على حسن نيتهم وهو رغبتهم في الدعاء للصالحين، فقال: "فإذا قلتم أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض".

٨ . الإيماء والإشارة: كما لم يعنفهم على تركهم السلام عليه، وإنما جاء به، وقدمه؛ لينبههم إلى حق عظيم قد أغفلوه.

٩ . التقدير والإعجاب: ختم بما ينم عن تقديره لهم، فقال: "ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه".

١٠ . مهارات متعددة للعرض: وفي فعل رسول الله ﷺ إشارة إلى أن العالم إذا أراد من المتعلم زيادة حفظ لشيء يلقنه إياه أن يزيد من عاداته معه شيئًا يعرف به مكان نفاسة ذلك العلم الملقى إليه، إما بأخذ يده، كما ذكر ابن مسعود . رضي الله عنه . أو بتقديم القول له من زيادة الإيقاظ والإنباه أو غير ذلك[١].

١١ . إدراك الفروق الفردية: والاعتناء بالمتميز، فقوله: "وكفي بين كفيه" يشير إلى عناية رسول الله بأصحابه . رضوان الله عليهم . وقربه منهم، وفيه

---

١)) ينظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ٣٧/٢.

مزيد فضل لابن مسعود . رضي الله عنه . وعناية رسول الله به؛ حيث علمه ﷺ التشهد وكفه بين كفيه، ويشير إلى وجوب عناية المربي بمن يربيه، ووجوب عناية المعلم بمن له تميز، أو يلمس فيه نجابة[1].

١٢ . إدراك الميول والاتجاهات: "فإذا قلتم أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض".

١٣ . أخذ المعلم ببعض جسد المتعلم كيده، كفعله ﷺ مع عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . هنا، أو كتفه كفعله ﷺ مع ابن عمر . رضي الله عنه .: "أخذ رسول الله بمنكبي"[2] فيه تأنيس وتنبيه للمتعلم، وتذكير له، فمحال أن ينسى ما يقال له.

١٤ . روح الود بين التي يجب أن تسري بين المعلم والمتعلم، فلا يفعل المعلم ذلك إلا مع من يميل إليه، وفيه دليل على محبته ﷺ لراوي الحديث.

١٥ . الابتداء بالنصيحة والإرشاد لمن لم يطلب ذلك.

١٦ . حرص المعلم النبي ﷺ على إيصال الخير لأمته، فمهمة المعلم إصلاحية، فرسول الله ﷺ يعلم الناس الأذكار النافعة، والدعوات الجامعة.

أدب المتعلم:

١ . التنبه لكل ما يقوله المعلم، والدقة في النقل عنه، فقد روى الإمام أبو جعفر الطحاوي عن عبد الله ابن مسعود . رضي الله عنه .: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

---

[1]) ينظر: شرح عمدة الأحكام، ٣٦٤/١، ٣٦٥.

[2]) صحيح البخاري، باب: قول رسول الله ﷺ: كتاب: الرقاق، "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"، رقم: ٦٤١٦، ٨٩/٨.

بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: "كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَأْخُذُ عَلَيْنَا الْوَاوَ فِي التَّشَهُّدِ"[١]؛ أي: إنه كان إذا علم أصحابه التشهد يأخذ عليهم الحرف الواحد؛ فإذا زاد حرفًا، أو نقص حرفًا، يقول له: لا، ارجع وقلها كما تلقيتها عن الرسول ﷺ.

٢ . إجلال المعلم، فصحابة رسول الله ﷺ أدركوا الفرق بين قولهم، وما علمهم إياه رسول الله ﷺ فقالوا: "كنا لا ندري".

٣ . الانتهاء عن شيء صححه لهم المعلم، فبعد أن تعلموا التحيات ما عادوا إلى قولهم وكرروه؛ بدليل قولهم: "كنا نقول"؛ أي: قبل التعلم، أما بعده فالتزموا بما علمه إياهم رسول الله ﷺ.

١)) شرح معاني الآثار، ١/٤٦٠.

المبحث الثاني

دقائق الأسرار في صيغة التشهد، وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دقائق الأسرار في صيغة تمجيد الله في التشهد.

المطلب الثاني: دقائق الأسرار في الدعاء في التشهد.

المطلب الثالث: دقائق الأسرار في صيغة الشهادتين.

المطلب الأول

دقائق الأسرار في صيغة تمجيد الله في التشهد

"التَّحِيَّاتُ لِله، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ".

المعنى اللغوي للفظ: (التحيات):

(التحيات لله) التحيات جمع تَحِيَّةٍ، وقِيلَ معنى التَّحِيَّة: السَّلَامُ، حَيَّاهُ تحِيَّةً...ويُقَالُ: حَيَّاك الله؛ أَي سلَّم عَلَيْكَ، والبقاءُ، والدوام، والمُلْك، والعظمة، والسلامة من الآفات والنقص[١]...وقيل: التحية التعظيم، وهي كل قول أو فعل دال على التعظيم[٢]، وقيل: معناه البقاء لِله، وجائزٌ أن يُقال للبقاء تحية؛ لأَنَّ من سلم من الآفات فهو باقٍ.

وقيل: التحية الملك؛ فالتحيات لله؛ أي: الملك لله، قال الأزهري: جائزٌ أن يُسمَّى الملك في الدنيا تحية؛ لأن التحية لا تكون إلا للملك...قال أبو سعيد الضرير: ليست التحية الملك نفسه، لكنها الكلام الذي يحيا به الملك، فقد كانوا يخصون الملوك بتحية مخصوصة بهم، كقولهم: أبيت اللعن، واسلم، وانعم، فلما كان الملك موجبًا للتحية المخصوصة المذكورة على نعت التعظيم سمي بها، وإنما جمعت على إرادة الاستيعاب لجماع الممالك، وسائر النعوت المشعرة بالعظم والجلال[٣]، وقال ابن قتيبة: ولم يكن يحيا إلا الملك خاصة، وكان لكل ملك تحية تخصه، فلهذا جمعت....كما قال الفرَّاء وأبو عمرو؛ لأن الملك يُحَيَّا بتحيَّة الملك المعروفة للملوك التي يباينون فيها غيرهم، وكانت

---

١)) ينظر: فتح الباري، لابن رجب، ٣٢٧/٧.

٢)) ينظر: منحة العلام شرح بلوغ المرام، ١٢٦/١.

٣)) ينظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ٢٥٤/١.

تحيَّةُ ملوك العجم نحْوًا من تحية ملوك العرب، كان يُقال لملكهم: زِهْ هَزَارْ سَالْ؛ المعنى: عِشْ سَالمًا ألف عام، فكان لكل ملك تحية تخصه.

وقيل: السلام من الآفات والنقص، ونحو ذلك، والمعنى: السلامات من الآفات كلِّها، وجمعها؛ لأنه أراد السلامة من كل آفة، والتحية: تَفْعِلةٌ من الحياة...وروي عن أبي الهيثم أنه يقول: التحية في كلام العرب ما يُحَيِّي بعضهم بعضًا إذا تلاقوا، قال: وتحيَّةُ الله التي جعلها في الدُّنيا والآخرة لمؤمني عبادِهِ إذا تلاقوا، ودعا بعضهم لبعضٍ بأجمع الدعاء أن يقولوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قال الله . تعالى .: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ ﴾ [الأحزاب: ٤٤][1]، وقال المحب الطبري: يحتمل أن تكون لفظ التحية مشتركًا بين هذه المعاني كلها، وكونها بمعنى السلام أنسب[2].

وقيل: "التحيات جمع تحية، والتحية التكريم قولًا وفعلًا، وهو في الصلاة قول، وتشمل كل عبارات التحية من الحمد والثناء والعرفان بالجميل والتكريم، كل أنواع التحيات لله . تعالى . وحده، والتحيات لله موقعها موقع الحمد لله، فهو لا يكون إلا لكامل الذات والصفات، وليس ذلك إلا لله . سبحانه .؛ لكمال ذاته وصفاته، وكذلك التحيات لله، وموجب ذلك موجود؛ لأن الله . سبحانه وتعالى . صاحب الإنعام"[3].

---

١)) لسان العرب، مادة: حيا، ٢١٥/١٤، ٢١٦.

٢)) ينظر: فتح الباري لابن حجر، ٣١٣/٢، وشرح أبي داود، للعيني، ٢٣٧/٤.

٣)) شرح بلوغ المرام، ٥/٦٦.

فإذا حملت التحية على السلام، فالمعنى: التحيات التي تعظم بها الملوك مستمرة لله، أو مستحقة لله، وإذا حمل على البقاء، أو الملك الحقيقي، أو العظمة التامة، فالمعنى على اختصاص الله بها[١].

وقولهم: التحيات لله؛ أي البقاء، يقال: حياك الله؛ أي أبقاك، هذا كان يصح لو كان التحية موضع التحيات، أما تأويل التحيات على معنى البقاء، فلا معنى للجمع؛ إذ إن بقاء الله سرمدي لا يعتوره الأزمنة والساعات، ولا يطلق عليه الجمع والتثنية[٢].

وقولهم: التحيات لله: السلام على الله، مردود بنهي رسول الله ﷺ عنه بقوله: لا تقولوا السلام على الله، وبرد السيدة خديجة . رضي الله عنها .[٣]. ففي السنن الكبرى للنسائي عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ خَدِيجَةُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يُقْرِئُ خَدِيجَةَ السَّلَامَ» فَقَالَتْ: «إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلَامُ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ»[٤].

فدل ذلك على وفور فقه السيدة خديجة . رضي الله عنها . وصحة فهمها؛ لأنها لم تقل: وعلى الله السلام . كما قال صحابة رسول الله ﷺ في التشهد، فنهاهم النبي ﷺ . بل علمت لصحة فهمها أن الله . عز وجلَّ . لا يرد عليه السلام، كما يرد على المخلوقين؛ لأن السلام اسم من أسمائه . سبحانه . ودعاء له بالسلامة، وكلاهما لا يصلح ردًّا على الله . جلَّ شأنه . فكأنها قالت: لا

---

[١]) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٣١٣/٢.

[٢]) ينظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ٢٥٤/١.

[٣]) ينظر: السابق، الصفحة نفسها.

[٤]) السنن الكبرى، للنسائي (ت: ٣٠٣ هـ)، كتاب: المناقب، مناقب خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، رقم الحديث: ٨٣٠١، ٣٩٠/٧.

يليق أن أقول: عليه السلام؛ لأن السلام اسمه، ومنه يطلب، ومنه يحصل، فالله . سبحانه . لا يليق به إلا الثناء؛ فلذا جعلته مكان ردها.

والراجح: أن التحية التعظيم، فكل لفظ يدل على التعظيم فهو تحية، ومنها ما يحيي الناس بعضهم بعضًا عند اللقاء، وهي أعم من السلامِ، فيدخل فيها: حياك الله، ولك البشرى، ولقيت الخير، ولا يقال لذلك سلام، أما السلام، فهو السلام عليكم[١]، فالسلام الذي نتبادله يسمى تحية؛ لأنه يحيي به بعضنا بعضًا، قال تعالى: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٦١][٢]، وفي المنتقى: "قال ابن حبيب: التحيات جمع تحية والسلام منه"[٣]، وقيل: المراد بالتحية هنا . من جملة أقسامها . السلام؛ لأنه موضوعه وسببه، كما جاء في رواية ابن مسعود في البخاري[٤]، وقيل: من حيا فلان فلانًا عند ملاقاته، والمراد هنا أعز الألفاظ التي تدل على الملك والعظمة[٥]، وقيل: أصل التحية: كل لفظ دل على الإكرام والتعظيم؛ إذًا كل لفظ للتعظيم والإكرام مستحق لله . جلَّ شأنه . جميع التعظيمات لله، لا أحد يستحق أن يعظم غاية التعظيم إلا الله[٦]، وقيل: التحيات: جمع تحية، وهي ما يحيا به من سلام وغيره، والقصد الثناء على الله . تعالى . بأنه مالك لجميع التحيات من الخلق[٧]،

---

١)) ينظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ٥٩/١.

٢)) ينظر: شرح عمدة الأحكام لابن جبرين، ٢/١٩.

٣)) المنتقى شرح الموطأ، ١٦٧/١.

٤)) ينظر: المسالك في شرح موطأ مالك، ٣٩٠/٢.

٥)) ينظر: مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، ١/ ١٠٨.

٦)) ينظر: جلسات رمضانية للعثيمين، ٥/١٨.

٧)) ينظر: المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية، ٩٤/١.

وجمعت؛ لتشمل معاني التعظيم كلها لله . تعالى . ففيها الثناء المطلق لله . تعالى . وأنواع التعظيم له . جلَّ وعلا .[١].

فالتحية التعظيم، ويدخل فيها السلام باللفظ المعروف؛ فقد سماه القرآن الكريم تحية، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، ويدخل فيها الفعل كما يحيى الملوك بالإشارات المختلفة، والمراد بها هنا: كل قول أو فعل دال على التعظيم لله . تعالى .؛ أي: جميع التعظيمات لله . تعالى . ملكًا واستحقاقًا، وخلقًا وتقديرًا، فجميع ما يعظم به من تكبير، وتبجيل، وتسبيح، كل ما فيه وصف له بالرفعة والعلو فهو من التعظيمات التي يعظم بها، ويحيا بها[٢]، وما أعظم أن يبدأ العبد صلاته بقوله: (الله أكبر)؛ أي أكبر من كل كبير، وأجلَّ من كل جليل، (الله أكبر) يفتتح بها العبد صلاته، ويعلن بها تجرده من الدنيا، وما فيها، ثم بعد أن ينتهي من صلاته، وقبل سلامه منها يختمها بالتعظيم لله، فيقول: التحيات لله.

معنى (أل) في (التحيات):

وعرف المسند إليه (التحيات) بـ (أل) وهي لام الجنس، أو لام الحقيقة التي يشار بها للحقيقة من حيث هي، أو التي يكون مدخولها مرادًا به الحقيقة نفسها دون ما ينطوي تحتها من أفراد؛ أي حقيقة جنس التحية، أو كل ما ينطوي تحت هذا الاسم ملك لله . تعالى . وثابت له حقيقة، فالمقام للإطلاق

---

١)) ينظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، ٢٦٨/٢.

٢)) ينظر: شرح عمدة الأحكام لابن جبرين، ٤/١٩.

والعموم، والفطن اللبيب يشعر بدور (أل) في السياق، وما تشيعه من معنى العموم لكل أفراد الجنس، وسر التعريف بـ (أل) دون سواه من ألوان المعارف أنها تغني عن القرائن التي تحدد المعنى أو توضحه، فذات التحية وحقيقتها لله حقيقة، ولغيره جزءًا، كما أغنت (أل) عن الاستقراء والتفصيل؛ إذ يتعذر على المتكلم أن يعدد أفراد التحية فردًا فردًا.

ويتولد من (أل) الجنس معنى لطيف هو أن التحية الكاملة في التعظيم هي لله . سبحانه . فهي ذات التحية، وما عداها فليس بشيء، كما يتولد منها معنى آخر هو أنه لا يراد بها جمع وتناول أفراد التحية واستيعابها، أو ما يصدق عليه هذا مما يتعارفه الناس من صنوف التحية وضروبها، وإنما يراد به الحقيقة نفسها، مما يشير إلى أن التحية بأفرادها المعهودة ملك لله . جلَّ شأنه . وبعينها مما لا يعهدونه ملك لله . تعالى ..

كما يتولد من معنى الجنس أن المراد بالتحية ليست تحية مبهمة من أفراد التحية، أو أنها أمر غير متعين إلا بقرينة تدل عليه، بل المراد أن الحقيقة نفسها لله . تعالى . فيتشرب من معنى (أل) أن جنس التعظيم وحقيقته عند المصلي مما يعلم، ومما لا يعلم ملك ثابت لله، أما تعظيم غيره فهو تعظيم ناقص.

ولو قلنا: إن (أل) للاستغراق لتناول اللفظ جميع الأفراد المندرجة تحت الحقيقة بالقرينة الدالة عليه، ولأفادت (أل) الشمول لما تحتها من أفراد؛ أي لكل ما يحيى به البشر، ومنه ما لا يليق بجلال الله . تعالى ..

سر جمع (التحيات):

جمعت التحيات لتشمل كل المعاني التي يتناولها لفظ التحية قولًا أو فعلًا، دون أعيانها، وما كان بمعناها، وما هو أحسن، والمعنى: أن كل هذه المعاني ثابتة لله . تعالى . واجبة لذاته[١].

قال الخطابي والبغوي: التحيات كل أنواع التعظيم، وقيل: "التحيات لله" بالجمع؛ لأنه كان في الأرض ملوكٌ يُحَيَّوْنَ بتحيات مختلفة، كل واحد منهم تحييه أصحابُهُ بتحية مخصوصة، فجمعت لتشمل كل أنواع التحيات التي كانت للملوك قولًا، وفعلًا، فقد كان للملوك تحيات مختلفة، قولًا وفعلًا، يقال لبعضهم: أَبَيْتَ اللَّعْنَ، ولبعضهم: اسْلَمْ، وانْعَمْ، وعِشْ أَلْفَ سنةٍ، ولبعضهم: انْعِمْ صباحًا، ومما ورد أن ملك العرب كانت رعيته تحييه بانعم صباحًا قبل الإسلام، وبعده بالسلام عليكم، وملك الأكاسرة كانت رعيته تحييه بالسجود له، وتقبيل الأرض، وملك الفرس كانت رعيته تحييه بطرح اليد على الأرض قدامه، ثم تقبيلها، وملك الحبشة كانت رعيته تحييه بوضع اليدين على الصدر مع السكينة، وملك الروم كانت رعيته تحييه بكشف الرأس وتنكيسه، وملك النوبة كانت رعيته تحييه بجعل اليدين على الوجه، وملك حمير كانت رعيته تحييه بالإيماء بالدعاء بالأصابع، وملك اليمامة كانت رعيته تحييه بوضع اليد على كتفه، فإن بالغ رفعها ووضعها، والقصد من ذلك التعظيم لله . تعالى . والثناء عليه بأنه مالك لجميع التحيات الصادرة عن الخلق للملوك[٢].فقيل لنا: قولوا التحيات لله؛ أي: الألفاظ التي تدل على الملك والبقاء، ويُكنَّى بها

---

١)) ينظر: فتح الباري، لابن رجب، ٣٢٧/٧.

٢)) ينظر: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، ١٩٧/١، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي، ٨١/٢.

عن الملك فهي لله . عز وجلَّ . أو التحيات التي كانوا يسلمون بها على الملوك كلها مستحقة لله . عز وجلَّ .، جميع تحياتهم لله . تعالى . وهو المستحق لذلك"[1]. وقيل: جمعت لاختلاف أنواعها من التحيات القولية والفعلية، فإنه . سبحانه . أولى بجميع التحيات من كل من سواه[2].

وقيل: التحيات لله، التحيات جميع ما يلقى، وما تعارف عليه الناس من أنواع التحايا بمجموعها لله . جلَّ وعلا . بمجموعها بأل الجنسية مع الجمع، فهي بهذه الصيغة خاصة بالله . جلَّ وعلا . لأن (أل) للاستحقاق: التحيات لله يعني لا لغيره، وإذا اجتمع الجمع مع أل الجنسية (التحيات) فإنها لله، فلا يجوز لك أن تقول: التحيات لزيد، لكن إذا أفردت جاز، فتقول: "التحية لزيد، أو تحيتي لك"، أما التحيات الموجودة على ألسنة الناس كلهم بمجموعهم خاصة بالله . جلَّ وعلا . كما جاء الحصر بالحمد، الحمد لله يعني لا لغيره، فجميع أنواع التحايا التي لا محظور في لفظها بمجموعها لله . جلَّ وعلا[3].

وليس الغرض من جمع التحيات جمع أعيانها الموجودة، وإنما الغرض حصر جنس التعظيم بكل معانيه ما يعلم منه، وما لا يعلم، وإيجابه لله . تعالى . فالجمع للتوكيد والمبالغة، لا مجرد جمع حقيقة، والتكثير، بمعنى أن كل ما يحي به الخلائق مما يعلمون، وما لا يحيون به مما لا يعلمون هو مستحق لله . تعالى . وثابت له، وملك له . سبحانه . فكل ثناء فهو له، وكل تعظيم فهو ملكه، غلبت عظمته العظائم كلها، فالجمع أشد توكيدًا.

---

[1]) شرح النووي على مسلم، ١١٦/٤.

[2]) ينظر: منحة العلام شرح بلوغ المرام، ١٢٦/١.

[3]) ينظر: شرح عمدة الأحكام، لعبد الكريم خضير، ٢٣/١٤.

ومن أسرار الجمع أنه لا يستحق التحيات مجموعة إلا الله . سبحانه وتعالى . وفي ذلك إشارة للعبد ألا يغتر بما حباه الله . تعالى . من بعض المظاهر التي يعظمه الناس من أجلها، ولا يفتن بما عند غيره من مظاهرها، فهي ناقصة، وزائلة، قال تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ ﴾ [آل عمران: ١٩٦ – ١٩٧].

ولما لم يكن في تحياتهم شيء يصلح ثناء لله . تعالى . على التعيين تركت أعيان تلك الألفاظ، واستعمل منها معنى التعظيم، فقال: قولوا: التحيات لله؛ أي أنواع الثناء، والعظمة، والتمجيد لله كما يستحق، ويجب له، وليس المراد منها أعيان الألفاظ التي كانوا يخاطبون بها الملوك؛ لأن فيها ما لا يصح إطلاقًا لله، كقولهم: عش ألف سنة، واسلم، وانعم، بل المراد منها المعنى الذي ذكرنا.

الإيجاز في (التحيات): يتميز لفظ (التحيات) بالإيجاز؛ إذ جمع كل أنواع التعظيم والثناء القولي والفعلي، فهو على وجازته يتضمن: التحية، والثناء، والتعظيم، والتزام الخضوع ودوامه، والرهبة، وغير ذلك من المعاني التي سبق ذكرها في معنى التحيات.

بين التحيات والسلام: كل سلام تحية، وليس كل تحية سلام، فالتحية أعم من السلام؛ لأنها تشتمل على معنى السلام مع زيادات من نحو: تعظيم الله، وإعلان الخضوع له من العبد، وليس هذا المعنى قائمًا في معنى السلام، والسلام يستحقه الأعلى والمساوي والأقل، أما التحيات على هذا النحو لا يستحقها إلا من اكتملت فيه الألوهية، وكانت التحيات واجبة له لذاته؛ ولذا عدل عن السلام إلى التحيات مع جمعها.

بين التحيات والحمد والمدح والشكر: يستعمل الحمد في مقابلة الإحسان الذي يصل إلى الحامد، فالحمد الثناء بالجميل على جهة التعظيم، وهو أخص من المدح، وأعم من الشكر، ويصح على النعمة وغير النعمة، أما الشكر فلا يكون إلا في مقابلة نعمة، وهو الثناء على المحسن فهو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم، فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكر، و المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره، ومما يقال منه وفيه بالتسخير، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول، فكل حمد مدح، وليس كل مدح حمد[1]، وآثر التعبير بالتحيات دون الحمد والشكر مع اشتمالهما على معنى الثناء والتعظيم، وقد استفتح المولى الكتاب المجيد بالحمد؛ لأن التحيات تعظيم، وهو الذي استدعاه المقام.

بين التحيات والمدح والثناء:

وزادت التحيات على عبارات المدح والثناء بما فيها من إعلان الخضوع لله؛ فلذا آثر التعبير بها دون سواها من ألفاظ المدح والثناء، وإن كانت تشتمل في طيات معانيها على المدح والثناء.

دقائق الأسرار في جعل (التحيات لله) صدر التشهد:

وتبدأ صيغة التشهد بـ (التحيات لله) دون تقديم شيء عليها من تسمية، أو حمد، أو ثناء، أو صلاة، وإنما صدرت بالجملة الأم (التحيات لله)؛ أي جميع التعظيمات لله، وورودها في ختام الصلاة يشعر أن الإشارة إلى كل ما مضى مما اشتملت عليه الصلاة من التعظيم من الوقوف، والانحناء، والركوع،

---

[1]) ينظر: المفردات، ١/١٣١.

والسجود، والقعود، والذكر، والثناء، والخضوع، والدعاء، وغيره من جنس ما يحيا به الملوك، وجميع ما يعظم به رب العالمين دون ما سواه مستحق لله . تعالى .؛ لتمام ملكه، حتى قيل: فمن صرف شيئًا من ذلك لغير الله فهو مشرك كافر[١]، وقيل: إنه لا يصح أن تقول لشخص: التحيات لك، فالتحيات على سبيل العموم والكمال لا تكون إلا لله[٢]، ولا بأس أن تحيي شخصًا؛ شريطة عدم المبالغة والمغالاة.

وتصدير هذا الذكر بجملة: (التحيات لله) . وهي ثابتة في كل الروايات، بخلاف المباركات والزاكيات . براعة استهلال؛ إذ إن هذه الجملة هي أم السياق وأصله الذي عليه مدار التشهد كله وهو تمجيد الله . تعالى . بل هو غاية العبادة التي تشتمل عليها، وتلخيص لكل ما فيها من حركة وذكر .

و (التحيات لله) إقرار واعتراف، ومعناها إجمالًا: أقر إقرارًا يقينيًا لا شك فيه أو تردد أن التعظيم التام والثناء الكامل بعمومه وشموله يستحقه الله . جلَّ جلاله . لذاته، وأن كل ما يكون من تعظيم مصروفًا إلى الله، وأبرأ من تعظيم غيره، وهذه الجملة تجمع أمرين: التعظيم التام لله . جلَّ شأنه .؛ باعتراف العبد بعظمة ربه الذاتية، والافتقار التام لذاته؛ باعتراف العبد ضمنًا بنقصه وعجزه وقصور ذاته، وكلاهما عين العبودية وحقيقتها على الوجه الذي يرضيه . جلَّ وعلا . فغاية مراد الله . تعالى . من خلقه هما هذين الأمرين؛ ولذا اشتملت أم الكتاب على هذين المعنيين: التعظيم لله في قوله تعالى:﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾، والعبودية والافتقار التام له في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ

[١]) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، ٣٥٩/١، المخصص لابن سيده، ٢١٦/٥.

[٢]) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، ١٤٧/٣.

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾، وبدئ بالتحيات دون الصلوات والطيبات؛ لأنها رأس الأمر، وعليها مدار الحديث.

أسرار تعريف المسند إليه بـ (أل): عرف المسند إليه بأل الجنس التي يراد بمدخولها جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ على وجه الحقيقة، لإفادة العموم؛ أي كل جنس التحية لله، وأتى بها جمعًا مع (أل) لتناول جميع أفراد التحية؛ فتشمل كل أنواع التحايا التي يحيا بها، وهي لا تحد، ولا تعد؛ أي كل ما يحيا به الملوك من أنواع التحايا المختلفة لله، وكل أنواع التحايا التي تصدر من البشر على اختلافهم وتنوعهم لله؛ أي فجميع الجميع لله، قيل: وجيء بلفظ الجمع ليدل على أن الله . تعالى . يستحق جميع الكمالات[1]، أي إنه المنفرد بجميع المحامد؛ لأن الكمال المطلق له وحده[2].

ولم يعرف المسند إليه بالإضافة نحو (تحياتي لله) على نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]؛ لقصورها عن إفادة العموم الذي يفيده التعريف بأل، فما أقصى ما يحيي به الشخص من أنواع التحايا، بجانب ما يحيي به جميع البشر ملوكهم وعظماءهم على اختلاف ثقافاتهم، ودياناتهم؟

دقائق الأسرار من اسمية الجملة:

وصيغت الجملة على هذا النحو (التحيات لله) جملة اسمية دون أن يصوغها ﷺ في ثوب الجملة الفعلية على نحو (نحيي الله)؛ ليلبس المعنى مصير الجملة الاسمية بما تفيده من دلالة على الثبوت والدوام للمعنى، وللطيفة

---

[1]) ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ١/١٣٢.

[2]) ينظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ٢/٢١٠.

أخرى أنه ﷺ لو قال: (أحيي الله) أو (نحيي الله) لم يفد ذلك ما أفاده (التحيات لله) من العموم؛ إذ ينصرف الضمير في الفعل (أحيي) إلى المتكلم خاصة، وفي الفعل (نحيي) إلى المؤمنين خاصة، وليس ذلك مرادًا، وإنما المراد إثبات استحقاقه ـ تعالى ـ كل أنواع التعظيم، فيعم كل تحية من المؤمنين، ومن غيرهم، وإن شئت فقل: الفرق بين صوغ الجملة بالفعل (أحيي، ونحيي الله)، والاسم (التحيات لله) هو الفرق بين من يثبت تحيته لله، ومن يثبت تحيته وتحيات الخلائق جميعًا لله ـ عز وجلَّ ..

ثم إنه لم يقدم شيئًا من أجزاء الجملة على قوله: "التحيات" ليفيد هذا التقديم الاهتمام بـ "التحيات" وجعلها مدار الحديث، فتنصب عليها عناية القائل، وتلتفت إليها نفسه، فتستشعر ما تحمله من معانٍ، ويأتي الاهتمام به مع كونه مبتدأ، وليس من باب تقديم ما حقه التأخير حتى يكون تقديمه مشعرًا بالاهتمام، من أن الجملة كان يمكن صوغها على نحو تكون فيه التحيات مؤخرة على نحو: "لله التحيات"، فيقدم فيها اسم الله ـ جلَّ وعلا ـ إذ لا يقدم عليه شيء لا من المعاني، ولا الذوات؛ ولكن قدم رسول الله ﷺ التحيات؛ للاهتمام بشأنها؛ إذ إنها أم السياق، والمقام مقامها؛ فلذا قدمت، ولم تؤخر، ولو أخرت لزال الاهتمام بها، ولا ينافي تقديم التحيات الاهتمام باسم الله ـ سبحانه ـ وتقديمه؛ إذ إن الاهتمام بالتحيات وتقديمها أمر عارض استدعاه المقام، أما تقديم اسم الله ـ جلَّ وعلا ـ فثابت لا يزول، والأمر العارض يقدم لعلته على الأمر الأصلي، يقول الطاهر بن عاشور: "وَالْأَهَمِّيَّةُ الْعَارِضَةُ تُقَدَّمُ عَلَى الْأَهَمِّيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا أَمْرٌ يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ وَالْحَالُ، وَالْآخَرُ يَقْتَضِيهِ الْوَاقِعُ، وَالْبَلَاغَةُ هِيَ الْمُطَابَقَةُ لِمُقْتَضَى الْحَالِ وَالْمَقَامِ، وَلِأَنَّ مَا كَانَ الِاهْتِمَامُ بِهِ لِعَارِضٍ هُوَ الْمُحْتَاجُ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى عَارِضِهِ؛ إِذْ قَدْ يَخْفَى، بِخِلَافِ الْأَمْرِ الْمَعْرُوفِ الْمُقَرَّرِ،

فَلَا فَائِدَةَ فِي التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ، بَلْ وَلَا يُفِيتُهُ التَّنْبِيهُ عَلَى غَيْرِهِ"[١]، ولأن التحيات لما تعلقت بالله كان الاهتمام بها اهتمامًا بشأن من الشؤون المتعلقة بجلال الله.

دقائق الأسرار في التعبير بـ (لام) الملك:

اللام في (لله) للملك، يقول سيبويه: "ولام الإضافة، ومعناها الملك واستحقاق الشيء، ألا ترى أنك تقول: (الغلام لك، والعبد لك) فيكون في معنى: (هو عبدك) و (هو أخ له) فيصير نحو: (هو أخوك)، فيكون مستحقًّا لهذا، كما يكون مستحقًّا لما يملك"[٢].

بل لقد جزم المرادي أن المعنى الأصلي للام هو الاختصاص؛ إذ يقول: "التحقيق أن معنى اللام، في الأصل هو الاختصاص، وهو معنى لا يفارقها، وقد يصحبه معان أُخر، وإذا تُؤمِّلت سائر المعاني المذكورة وُجدت راجعة إلى الاختصاص"[٣].

واللام في (لله) للاختصاص والاستحقاق، فلا يستحق أي نوع من التحيات إلا لله. عز وجلَّ. فـ: (التحيات لله)؛ أي ملكًا واختصاصًا، قال العيني: "قوله: (لله) اللام فيه لام الملك والتخصيص، وهي للأول أبلغ، وللثاني أحسن"[٤]، وقيل: اللام في لفظ (لله) للاستحقاق، والمعنى: أن جميع التعظيمات، وكل ما يدل على السلام والملك والبقاء، فهو لله. تعالى. ملكًا واستحقاقًا، يختص به لا يستحقه على الإطلاق والعموم سواه، ومن ذلك الخضوع والركوع والسجود

---

١)) التحرير والتنوير، ١/١٥٩.

٢)) الكتاب، ٤/٢١٧.

٣)) الجنى الداني في حروف المعاني، ص ١٠٩.

٤)) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٦/١١١، وشرح أبي داود للعيني، ٤/٢٣٧.

والخشوع، فكله لله . تعالى . وحده[١]،كما أن له الحمد بجميع أنواع المحامد ملكًا واستحقاقًا، وقيل: (لله) لا يجوز أن يقصد بها غيره، أو هو عبارة عن قصد إخلاصنا له[٢]، أما أن يحيي شخصٌ شخصًا بنوع من أنواع التحية لكرامته عليه فلا بأس.

ومعنى الاختصاص الذي تفيده لام الملك هو انحصار أفراد التحية في التعلق بذات لله . تعالى . استحقاقًا لذاته؛ لأن (أل) في التحيات للجنس، وإذا اختص الجنس اختصت الأفراد، أما ما يتعلق بغيره . سبحانه . من أفراد التحية، فإنه يتعلق بمن تعلق به لعلة لا استحقاقًا لذواتهم، وعلى هذا فمعنى اختصاص الجنس بجميع أفراده وتعلقها بذات الله قائم، ولو تعلق أي من أفراد التحية بغير الله . سبحانه . لذاته لما تم معنى اختصاص الجنس المستفاد من لام الاختصاص، فلام الجنس في (التحيات) مع لام الاختصاص في (لله) أفادتا انحصار أفراد التحيات في التعلق باسم الله . تعالى ..

ومن معنى (اللام) الذي هو الملك تتفجر المعاني في قوله ﷺ: "التحيات لله"، فاللام جعلت التحيات ملكًا لله لا يشاركه في ملكه لها أحد سواه، وليس لأحد مع الله . جلَّ وعلا . شيء من جنس التعظيم.

وهذه الملكية للتحيات التي أُثبتت له . سبحانه . باللام يجري عليها له . سبحانه . ما يجري لكل مالك في ملكه من معانٍ منها:

---

١)) ينظر: منحة العلام شرح بلوغ المرام، ١/١٢٦.

٢)) ينظر: شرح الزرقاني على الموطأ، ١/٣٤٠.

١ . كمال التسليم لله بالعظمة، وعدم منازعته في شيء منها، فكما أنه لا ينازعك أحد في ملك، فكذلك التحيات ملك لله . سبحانه . لا ينازعه أحد في ملكيتها، فهي له ابتداء بالملكية.

٢ . وكما أنه لا يطلب منك أحد شيئًا مما تملك إلا على سبيل الفضل، فلا تطالب المولى بما هو ملكه، إن شاء أعطاه فضلًا، وإن شاء أمسك.

٣ . وكما أنه لا يجرؤ أحد على أن ينتزع منك ما تملك ويمنحه لغيرك، فكذلك ليس لك أن تأخذ حقًّا واجبًا، وأمرًا مستحقًّا، وملكًا ثابتًا لذات الله . تعالى . لتمنحه لمن لا يستحق، فالتعظيم والثناء كله لله لا لسواه.

٤ . كما أن من إشارات (لام) الملك أن قولنا: التحيات لله، يجب له علينا فرضًا، لا نفلًا، ولا فضلًا، فنحن ننسب له ما هو ملك لذاته.

وما دامت التحيات والعظمة ملك لله . تعالى . فله فيها تصرف المالك على النحو الآتي:

١ . (التحيات لله) الثناء والتعظيم ملك لله، واقع تحت أمره وتصريفه يمنحه من يشاء، وينزعه ممن يشاء، فليس لأحد استحقاق أو ملكية فيه، وإنما يمنحه فضلًا وجودًا، فمن مُنح منه شيئًا فلا يتعاظم به، أو يدعي لنفسه علوًّا، أو يطلب لها من الحظوظ ما ليس لها، بل من كمال عبودية العبد علمه أن ما هو فيه مما خوله الله منحة من الرحمن الرحيم؛ فيوجب له ذلك ذلًّا واستكانة وخضوعًا بين يدي مولاه.

٢ . (التحيات لله) ملكه، فلا ظلم فيما يفعله في ملكه من منحها لأناس، وسلبها من آخرين، فهو المتصرف فيها كيف يريد؛ لأنه ليس لأحد استحقاقٌ فيها فسلبه إياه.

٣ . (التحيات لله) العظمة بكل أنواعها وألوانها ملك لله . عز وجلَّ . حقيقة يجعل بعضها عارية عند بعض خلقه، فلا يجوز للمستعير أن يغفل عن حقيقة الأمر، فعظمته من قبل كانت عدمًا، وستؤول إلى عدم، وليس هو الذي أوجد لنفسه العظمة حتى تكون ملكًا له حقيقة، ولا هو الذي يحفظها، أو يبقي عليها، فليس له فيها تأثير أو ملك حقيقي، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾ [آل عمران: ٢٦]،فعظمة العبد عطاء من المولى، يسأل عنها، ويحاسب عليها، فيتصرف فيها تصرف العبد لا تصرف الملاك، فلا يباح تعظيمه إلا وفق مراد المولى . سبحانه .؛ ولذا قال النبي: " لا تطروني كما أطرت النصارى.." [١]. وأمرنا ألا نغالي في شأنه؛ لأن تعظيمه وفق أمر المولى . سبحانه.

٤ . (التحيات لله)؛ أي كلها مملوكة لله؛ فيجب أن تتنبه لهذا الأمر، وأن تعلم وأنت تقولها أن الله وإن أعطاك حظًّا من شيء يوجب لك تعظيمًا في قلوب الخلق من: علم، أو مال، أو جاه، أو ملك، فإن فوقه أشياء أعطاها لغيرك، وفوق ما أعطاه لك، وما أعطاه للكون بأسره أشياء هي لذاته . سبحانه . ملكًا وحقيقة، وهو جلاله وكماله، جمعت في (التحيات لله).

٥ . (التحيات لله) ملك له، وصاحب الملك يتصرف في ملكه وفق ما ترتضيه حكمته، ووفق مشيئته بما يؤدي إلى صلاح ملكه بمنطق الحكمة

---

١)) صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، رقم الحديث: ٣٤٤٥، ١٦٧/٤.

والصواب، فلا يضع شيئًا في غير موضعه؛ فإن منح أحدًا من خلقه ما يجعله محل تعظيم وثناء فلعلة، فلا تنقم على أحد.

٦. (التحيات لله) ملكه، وما أعطانا من صنوفها فهو من باب جوده وكرمه، ومن مواهبه ومنائحه، ومن عواريه المستردة، غير أنه كريم لا يليق به الرجوع في عطاياه إن أحسنا جوار نعمه، وإلا أخذها لا استردادًا لحاجة، وإنما سلبًا؛ تهذيبًا وتقويمًا لنا.

٧ . (التحيات لله) ملكه، والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء، ويقلبه من حال إلى حال، ولا يسأل: أين وضعه؟ أو لماذا رفعه؟ فيمنح من يشاء، ويسلب من يشاء.

سر التعبير باسم الجلالة (لله):

(الله) هو الاسم العلم على المعبود بحق، الجامع لصفات الكمال، ونعوت الجلال، وهو أعظم الأسماء وأجمعها، وأكثرها استعمالًا، وقد دخل في هذا الاسم جميع أسماء الله الحسنى، وأصله (الإله) بالتعريف، وهو تعريف (إلاه) الذي هو اسم جنس للمعبود، حذفت الهمزة، وجعلت الألف واللام عوضًا لازمًا، وصار الاسم بذلك كالعلم، هذا مذهب سيبويه وحذاق النحويين، وأشهر الأقوال أنه مشتق من أَلَهَ بفتح اللام بمعنى عبد، والألف واللام من بنية الاسم لا للتعريف، ولا لغيره؛ لأن حرف النداء يدخل عليه، ، وهذا الاسم يدل على انفراده . تعالى . بالألوهية؛ إذ لا إله غيره، فلذلك صار علمًا عليه بالانحصار فيه، وليس من قبيل العلم بالغلبة، فاجتمع فيه كونه اسم جنس، وكونه علمًا، ولم يطلق العرب الإله بالألف واللام على أحد أصنامهم، فلما اختصَّ الإله بالإله الواحد واجب الوجود اشتقوا له من اسم الجنس علمًا زيادة في الدلالة على أَنَّه الحقيق بهذا الاسم ليصير الاسم خاصًّا به غير جائز الإطلاق على

غيره، وقد أبدعوا في جعلهم العلم على ذاته . تعالى . مشتقًّا من اسم الجنس المؤذن بمفهوم الأُلوهيَّة؛ للتنبيه على أن ذاته . تعالى . لم تكن في ذهن النَّاطق الأَوَّل بهذا الاسم من أهل اللِّسان إِلَّا بوصف الْأُلُوهِيَّةِ، وللتنبيه على أنه . تعالى . أولى من يُؤَلَّهُ ويعبد؛ لأنه خالق الجميع[١].

ويكفي هذا القدر في ذكر ما قيل في اسم الجلالة، فإنه لن يأتي أهل العلم على ما فيه، بل قد نقل عن العلماء بوجوب التوقف عن الكلام في معنى اسم الجلالة، قال الطاهر بن عاشور: " وَمِنْ أَعْجَبِ الْآرَاءِ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ «الْمَنْهَلِ الْأَصْفَى فِي شَرْحِ الشِّفَاءِ» التِّلْمِسَانِيُّ: عَنْ جَمْعٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْقَوْلُ بِأَنَّ اسْمَ الْجَلَالَةِ يُمْسَكُ عَنِ الْكَلَامِ فِي مَعْنَاهُ؛ تعظيمًا وَإِجْلَالًا، وَلِتَوَقُّفِ الْكَلَامِ فِيهِ عَلَى إِذْنِ الشَّارِعِ"[٢].

وأتى بالمسند (لله) متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، تقديره: كائنة أو مستقرة لله؛ ولم يأت الكلام على نحو: التحيات لربي، وإنما أتى بالاسم الأعظم (لله) للإشعار بعلة استحقاقه . جلَّ وعلا . لكل أنواع التحايا؛ إذ إنه الإله المعبود، المستحق للتمجيد والتعظيم، والتقديس لذاته.

أو أتى باسم الجلالة (لله) دون غيره من الأسماء؛ للإشارة إلى أن كل ما يحيا به من الثناء والمدح هو . سبحانه . مستحق له لذاته لا لعلة توجبه له، ولو أتى باسم آخر من أسمائه لربما استشعر منه استحقاقه للمدح والثناء لأجل ما يحمله ذلك الاسم من معانٍ يفيض به المولى على الخلق، كالرحمن والملك وغيرها، فلو قال: التحيات للرحمن، لكانت رحمانيته علة لاستحقاقه المدح

---

١)) ينظر: النجم الوهاج في شرح الوهاج، ١/ ١٩٠، والتحرير والتنوير، ١٦٢/١، ١٦٣.
٢)) التحرير والتنوير، ١٦٦/١.

والثناء؛ أو التحيات لمالك الملك؛ لكان ملكه علة لاستحقاقه التعظيم، فلذا عبر باسم الذات لاستحقاقه التعظيم لذاته، تقدس عن كل نقص في ملكه وذاته، فالعظمة حقيقة ثابتة لذاته، لا لعرض، ولا حتى لصفة دائمة مستقرة له . سبحانه . أما غيره فعظمتهم لا لذواتهم، ولا لأمر ثابت دائم لهم، وإنما لغرض يزول ويفنى، ويداخله التغيير والتحول، ومن يستحق التعظيم منهم يستحقه لعلة أوجبت تعظيمه، كملك، أو أبوة، أو تعليم، أو غير ذلك، فهو تعظيم مستمد من الله فضلًا منه . سبحانه . وتكرمًا، ثم إنه تعظيم ناقص، وغير دائم، ولا يطاول عظمته . سبحانه . أو يضاهيها، أو يدانيها لا كمًّا، ولا كيفًا، ولذا صدرت الفاتحة بقوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾، فالحمد واجب له لذاته.

ولم يعقب اسم الجلالة بأي صفة تعظيم، كالتحيات لله رب العالمين، أو التحيات لله مالك يوم الدين، كما جاء مع إثبات الحمد له . سبحانه . في صدر الفاتحة؛ لأن قوله: (التحيات لله) هو تمام الكمال لتعظيم لله . جلَّ وعلا . ولا زيادة عليه، فلا حاجة لصفة يتصف بها المولى توجب له تعظيمًا فوق ما يستحقه لذاته، وما جاء في صدر الفاتحة من إثبات الحمد لله لذاته أولًا؛ تنبيهًا على استحقاقه الذاتي لذلك، ثم لصفاته ثانيًا؛ تنبيهًا على استحقاقه ذلك لصفاته كما استحق ذلك لذاته، إنما كان لأجل تقرير المعنى وتوكيده للعالمين، وأنه يستحق ذلك لذاته وصفاته، أما المصلي فقد امتلأ قلبه بتعظيم لله، مما لا يستدعي به توكيدًا وتقريرًا للمعنى يجتلب بصفة من صفاته.

سر التعبير باسم الجلالة دون الخطاب:

(التحيات لله) دون (التحيات لك) بضمير الخطاب الذي هو أصل في الخطاب، كما أتى بعدها: (السلام عليك أيها النبي) تعظيمًا لشأن المولى،

وتنويهًا بقدره، ولفتًا للأذهان إلى أن من يستحق أنواع التحايا المختلفة التي يحيى بها الملوك هي لمن لا تدرك العقول كنه عظمته، ولا تقف النفوس على حقيقته، وهو (الله) ذو الجلال؛ وللإيذان بأن المصلي قد استقر في قلبه مقام الألوهية، فجعل التحيات لله . تعالى . استحقاقًا لذاته، والتعبير باسم الجلالة (الله) يضفي على الإسناد قوة، ويمنحه تصديقًا وقبولًا، ولا يجعل للشك مكانًا، فالتحيات لله استحقاقًا.

أو سر التعبير باسم الجلالة (لله) هو أنه يحيي الله بألوهيته المتضمنة كماله، واستحقاقه لكل ما يجب له من الصفات والأسماء والكمالات، وفيه إشارة إلى أنه ليس في الوجود ما يستقل بالعظمة، أو يستحقها لذاته سوى الله، لا نبي مرسل، أو ملك مقرب إلا بانضمام سبب آخر إلى ذاته وهو نبوته، أو صلاحه، فكل ما يعظم من الأشخاص والمعاني غايته هو التعظيم الناقص، فهو تعظيم لعلة، إن زالت علته زال التعظيم، أما التعظيم الكامل فهو لذات الله . تعالى . فحين يقول العبد: (التحيات لله) يعلم أن العظمة لذات الله، ويقطع من قلبه استعظام غيره بيقينه أنه لا عظمة لهم لذواتهم، وإنما لعلة، وهي زائلة.

أسرار ترك توكيد الخبر في (التحيات لله):

التوكيد فيها تولد من داخل أجزاء الجملة لا بعناصر التوكيد المعروفة؛ وذلك بأل الجنسية، وجمع التحيات، ولام الملك، فما اشتملت عليه الجملة جعل التعظيم كله لله . تعالى . على نحو لا يستحقه غيره.

إن التوكيد كثير الفوائد، لطيف النكات، لا يخفى موقعه البليغ في الكلام، ولا مكانه الرفيع، وله مقامات يأتي لها في الكلام غير التوكيد للمنكر، أو تنزيل غير المنكر منزلة المنكر، وإنما هي مقامات تتعلق بالمتكلم، أو بذات الخبر، وهي مقامات جليلة، ودواعيها أجلّ، وحاجتها إلى التوكيد عظيمة.

ومن هذه الدواعي: انفعال المتكلم بالمعنى وامتلاء نفسه به، فهو يصوغ الخبر كما أحسه وانفعلت به نفسه حتى يقرره في النفوس كما أحسه، أو تقوية مضمون الخبر وتقريره في نفوس مخاطبيه، أو إظهار اعتقاد المتكلم، وهذه الدواعي يجتمع أكثرها في قول المصلي: "التحيات لله"، وقد جرت عادات العرب في كلامهم أن يؤكدوا عظائم الأمور؛ لتثبيتها في نفوس الجماعة، وإقرارها في قلوبهم إقرارًا ينتهي بهم إلى الإيمان بها، فتوكيد الكلام دلالة من دلالات أهمية مضمونه.

إننا حين نقول جاءت الجملة خالية من التوكيد إنما نعني خلوها من مؤكدات الحكم اللفظية، وإلا فالجملة قد أتت في أعلى مقامات التوكيد بالنظر إلى سياقها، فمؤكدات الجمل تكاد لا يشملها حصر، فقد يكون ترك التوكيد أدل على التوكيد، بل يكون عين التوكيد، وقد يتأتى التوكيد من حذف أحد أركان الجملة، كما في حذف المسند في جملتي: "والصلوات، والطيبات"، أو بالعطف، أو تركه، إلى غير ذلك من صور التوكيد التي يبين عنها السياق.

وجملة: "التحيات لله" صورتها صورة الخبر الابتدائي لخلوها من عناصر التوكيد، وأتت على هذا النحو مع أنها حقيقة ضخمة، وخبر يشهد واقع الناس بخلافه من تعظيم ملك، أو أمير، بل هو منكور في دنيا كثير من الناس بمشاهدة أحوالهم؛ بخضوعهم وتعظيمهم غير الله، لكن رسول الله ﷺ لم يعبأ بهذا، وساق الخبر بهذا النفس الهادئ، والنبرة الهامسة الخالية من التوكيد؛ للإشارة إلى أن استحقاق ذات الله. جلَّ جلاله. للتعظيم المطلق من المسلمات، وأمر ثابت مقرر لا مراء فيه، ولا ينكره أحد، أو حتى يتردد في استحقاقه. جلَّ وعلا. إياه، فلماذا يُصْحِبُ الحكم إذن مؤكدات، فخلوها من التوكيد هو عين توكيدها، وهمسها ناطق برسوخها، وقوة اعتقاد القلب بها، واليقين التام

بمضمونها حتى أن قلب الناطق يوقن أنها لا يمكن أن تنكر حتى تكون بحاجة إلى أن تؤكد، ويستشعر أن الدنيا كلها تنطق بها معه، فكان ترك توكيدها، هو قلادة الجيد، وعين التجويد، وقاعدة التحسين لمضمونها؛ لأنه أدل على توكيدها من توكيدها.

إن ترك التوكيد يعكس يقين المصلي وامتلاء قلبه بتعظيم الله . سبحانه . فبعد هذه الأذكار والقراءة، والقيام والركوع والسجود والقعود بين يديه، استشعر قلبه كل هذا، فاستقر فيه تعظيم الله . جلَّ وعلا . ورسخ عقيدة ويقينًا أن الله . تعالى . بما له من صفات الجلال والكمال الذاتي هو المستحق للتعظيم، فصار لا يعظم سواه . سبحانه وتعالى . ولو أن هذه الجملة قالها العبد في سياق زمني غير الصلاة لاستوجب سياقها توكيدها، أما المصلي وقد أقبل بكليته على الله، واستشعر جلاله وعظمته ليس بحاجة أن يؤكدها؛ لأنها أصبحت يقينًا وعقيدة ثابتة.

وقد تولد من ترك التوكيد، ومجيء الجملة على هذا النحو عظيم المعاني، والتي منها:

١ . خلو الجملة من التوكيد يؤكد على أن تعظيم العبد لربه أصبح يقينًا راسخًا، وعقيدة ثابتة في قلب المؤمن، مما يؤكد صدق العبد، وعظيم محبته لربه، وامتلاء قلبه بتعظيمه، والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه، وتشعر المؤمن بأنه مخلوق أمام خالق، وعبد أمام إله، ومحتاج أمام منعم، فالعظمة لله . عز وجلَّ.

٢ . دلت الجملة بصيغتها على تمام تجرد العبد في تعظيمه لله، وعدم التفاته إلى أحد من المخلوقين، فهو يقينًا لا يعظم إلا الله . تعالى.

٣ . ترك التوكيد يورث المرء سموًّا، ويخلع عليه جلالًا؛ إذ إنه يشير إلى أن المرء بتعظيمه لله . تعالى . على هذا النحو يعلن فراره إلى تعظيم الله . تعالى . وتخلصه التام من تعظيم غيره؛ فكأنه يقول: لا أعظم إلا الله، فكأن قوله: "التحيات لله" عنوان سموه، وشعار عظمته.

٤ . من دلالات ترك التوكيد في هذه الجملة الإشارة إلى قوة المؤمن؛ إذ صار لا يخشى ملكًا أو أميرًا أو عظيمًا، بل انتزع بها كل معاني التعظيم، وألوان الثناء من ملوك الأرض وأمرائها وعظمائها دون تهيب لأحد منهم، وجعلها مستحقة لله . جلَّ وعلا . وكأنه يقول: لا أعظم غير الله، ويواجه العالم كله بهذه الحقيقة، ويعلن رأيه في تعاظمهم صراحة بلا خوف منازعة، أو إنكار منكر، أو شك أو تردد من سامع، وكأن الكون أجمع يسلم له بما قال، ويقر به إقرارًا يقينيًّا، ويعتقده اعتقادًا راسخًا، ويبين بها العبد أنه غير هياب، ولا مستكين لأحد، أو مخدوع بأيٍّ من مظاهر العظمة الزائفة لأيّ أحد من البشر.

٥ . تعطي الجملة معنى جليلًا هو أن العبد يتقرب إلى الله . عز وجلَّ . بما يملك وما لا يملك من ألوان التعظيم، وعبارات الثناء، وأفعال الخضوع.

٦ . جمع التحيات واختصاص الله . تعالى . بها توحيد لأمر العبد، وجمع لشتات نفسه بين تعظيم هذا وذاك، والتذلل لهذا وذاك، فكأنها جمعت أمر العبد، وجعلت ذله وافتقاره وتعظيمه لله دون سواه، فقد نفض بها عن نفسه تبعات الهموم التي يحملها جراء تعظيم غير الله.

٧ . جمع تحياته المندرجة تحت عموم التحيات وحصرها في مصدر واحد وهو (لله) يخرج العبد من رحاب الذل إلى رحاب العز والكرامة، وكأنه يهتف قائلًا: لا ذل بعد اليوم مع تعظيمي لله، ولا ضيق ولا هموم.

٨ . "التحيات لله" ترجمة لمنزلة وصل إليها العبد في نهاية صلاته، وهو أنه خلع من رقبته جميع البشر، فلا يعظم غيره، ومن ثم فإنه لا يستعين بهم، فيحقق بذاك مقام: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة: ٥]، وكأنه يقول: أحيك ربي دون سواك بكل تحايا الأرض لاستحقاقك ذلك لذاتك.

٩ . "التحيات لله" علاج لكل من أصيب بداء العظمة، أو تعاظم عنده غيره من البشر، بل هي أبلغ علاج وأنفعه، فإذا ما تحقق العبد أن الملك والعظمة والبقاء ملك لله، وأن ما خوله الله . تعالى . إياه قليل من كثير، وغيض من فيض، وقطرة من بحور عظمته؛ لأورثه ذلك استكانة وخضوعًا، وأورث المفتون بغيره عقلًا واتزانًا.

١٠ . "التحيات لله" جملة تملأ نفس المصلي عزة، وتقلل تهيبه للمخلوقين، وتقطع طمع الشيطان في أن يوسوس له بسلطان زائف يورثه كبرًا، أو اغترار بأحد يورثه ذلًا؛ فتطيب نفسه، وتهون عليه الدنيا بما فيها ومن فيها؛ إذ يعلم أن الكون كله صغير ذليل لا عظمة له، وإنما العظمة لله . جلَّ شأنه . كما قال المولى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠]، فتنجي الإنسان من الوساوس التي تسيطر عليه حين يكبر في عينيه متاع من أمتعة الدنيا عند إنسان، أو يستعظم إنسانًا لعطاء امتن الله به عليه، فهي تقول للإنسان كل ما أعطيه عموم الخلق من تعظيم هو تعظيم ناقص، أما التعظيم الكامل فإنه لله . جلَّ وعلا.

١١ . يستشعر الإنسان بها الأمان، وتنزع منه الخوف، وتبدده، ويصغر في ناظريه العظيم، فلو تذكرها الإنسان حين يدخل على ملك من ملوك الدنيا لزالت هيبته.

١٢ . "التحيات لله" تسلم صدر المرء من الأحقاد حين يعلم أنه لا عظمة حقيقة كاملة لغير الله . عز وجلَّ . أما عظمة غيره فلعلة، وهي زائلة.

١٣ . في بناء الجملة على هذا النحو بترك التوكيد إشارة للمسلم ألا يغتر بأي مظهر من مظاهر عظمته، وأن يكسر نفسه للكبير المتعال، من بيده مجامع العظمة، ويثني على الله . تعالى . بما هو أهله، ويعرف أين هو وجميع الخلق من الله . عز وجلَّ . فكأنها تخاطب كل متعاظم: أنت بجانب عظمة الله لا شيء، فإذا استحضر المؤمن أن التعظيم والثناء كله لله . تعالى . علم أن ما منحه الله له، أو منحه بعض خلقه من مظاهر العظمة إنما هو ابتلاء يظهر الله به صدق المؤمنين، وقوة يقينهم، وصدق الاعتقاد بأنه لا عظيم سواه . سبحانه . وأنه لا عظمة إلا له، وأنه مالك الملك، فالله . عز وجلَّ . يبتلي عباده المؤمنين؛ ليرى مقدار إيمانهم، ويرى ذلَّ عبوديتهم التي لا تظهر إلا على هذا النحو، ولا تحصل إلا بوجود أضدادها.

كل هذه المعاني وغيرها مما لم نأت عليه يدركها المصلي، أما ضعاف الإيمان الذين لا يصلون فلا يدركون هذه الحقائق، ولا تعرفها قلوبهم؛ فلذا فإنهم يعظم في عينيهم الصغير، ويهابون الحقير؛ لأن قلوبهم لم تتشبع بـ "التحيات لله".

سر ترك تقديم المسند:

ولم يأت بها على نحو: "لله التحيات" بتقديم المسند على المسند إليه، مما يفيد قصر التحيات على الله دون غيره، وتكون على غرار قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [المائدة: ١٢٠]، وقوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦]؛ للإشارة إلى أن المعنى: وهو استحقاقه

للتحيات مما يجب ألا يكون فيه نزاع منازع، ولا يتوهم لغيره فيه نصيب، حتى تأتي الجملة بقصرها عليه، ونفيها عن غيره، ولأن المقام هو للثناء على الله بإثبات التحيات لله . تعالى . ابتداء، وليس قولنا: (التحيات لله) أنه في حاجة إليها، فهو . سبحانه . أهل لكل تعظيم؛ وإنما نعظمه لحاجتنا إلى ذلك، قال تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾[الزمر: ٧] (١).

(التحيات لله) بين الخبرية والإنشائية:

جملة (التحيات لله) هي نظيرة جملة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾في صدر الفاتحة، وقد اختلف العلماء في جملة (الحمد لله) هل هي إخبار عن ثبوت الحمد لله، أو إنشاء ثناء عليه إلى فريقين:

الفريق الأول: ذهب إلى أنها جملة خبرية، وهم على فريقين:

أحدهما: يرى أنها خبر باقٍ على الخبرية ليس فيه معنى الإنشاء، واعترض عليهم: بأنها لو كانت خبرًا محضًا لما كان فيه معنى ثناء المتكلم على الله . جلَّ ثناؤه . والقصد أن يثني المتكلم على الله . تعالى . وأجيب: بأن الخبر بثبوت المعنى له . تعالى . اعتراف بأنه . تعالى . موصوف به، ويكفي أن يحصل هذا المعنى من الناس، وينقله المتكلم، وأجيب أيضًا: بأن كون المتكلم مثنيًا على ربه قد يحصل بالالتزام من الخبر؛ لأن شأن الأمر الذي تضافر عليه الناس قديمًا أن يقتدي بهم فيه غيرهم مِن كل مَن علمه، فإخبار المتكلم بعلمه بذلك يدل على إنه مقتدٍ بهم في ذلك، فيكون مثل حصول لازم الفائدة من الخبر، ولا يكون ذلك إنشاء، ويكون التقدير على هذا القول: إخبار المتكلم بثنائه على

(١)) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، ١٤٧/٣.

الله، وإخباره عن ثبوت الثناء لله من جميع المخلوقين، فهي خبر لا إنشاء، والمستفاد منها بطريق اللزوم معنى إخباري، ويرد على هذا أن ثناء المتكلم يصير غير مقصود لذاته، بل حاصلًا بالتبع، مع أن المقام مقام ثناء المتكلم لا ثناء غيره، وأجيب: بأن ثناء المخلوقين اجتلب لقصد التنصيص على ثناء المتكلم، فثناء المخلوقين وسيلة لإثبات ثناء المتكلم، فقولهم: طويل النجاد، أتوا به ليدل على معنى طول القامة.

ثانيهما: يرى أنها خبر أريد منه الإنشاء مع اعتبار الخبرية، كالأغراض البلاغية المختلفة التي يفيدها الخبر، فيكون المقصد الأصلي هو الإنشاء، وعدل عنه إلى الخبر لما يتأتى بواسطة الإخبار من الدلالة على الاستغراق، والاختصاص، والدوام والثبات، ووجه التلازم بين الإخبار عن ثناء الناس، وإنشاء الثناء واضح كما مر، ولأن الأخبار عن ثناء الناس لله. تعالى. منشئ لا محالة ثناء المتكلم عليه، فالمعنى الالتزامي في الكناية هو المقصود.

الفريق الآخر: يرى أنها إنشاء محض لا إشعار فيها بالخبرية، نقلت من الخبرية إلى إنشاء الثناء على الله. تعالى.

والراجح: أنها خبر مستعمل في الإنشاء؛ لأن القصد هو الإنشاء لا محالة، وعدل إلى الخبرية لتحمل الجملة من الخصوصيات ما يليق بجلال الله من الدلالة على الثبوت والدوام، والاستغراق، والاختصاص، والاهتمام، والجملة الإنشائية لا تعطي شيئًا من ذلك[1].

[1]) ينظر: التحرير والتنوير، ١/ ١٦١، ١٦٢.

دقائق الأسرار في (والصلوات والطيبات):

معنى الصلوات: الصلوات: إن كانت (أل) للعهد، فالمراد الصلوات الخمس المعروفة، وإن كانت للجنس، فالمراد ما هو أعم من ذلك من الفرائض والنوافل في كل شريعة، على اعتبار أن المراد حقيقة الصلاة الشرعية، وقيل: المراد العبادات كلها، فجميع الطاعات صلاة، وقيل: الدعوات، والتضرع، والرحمة التي يتفضل الله بها[١]،وقيل: شامل لكل ما يطلق عليه صلاة شرعًا أو لغة، فالصلوات كلها فرضها ونفلها، والدعاء لله . تعالى . حقًّا واستحقاقًا، لا لأحد سواه[٢]، والسياق ينادي بأن يكون المراد أن الصلوات كلها فرضًا ونفلًا التي نتعبد بها لا تكون إلا لله . تعالى . ولا يستحقها سواه، لا ملك، ولا نبي، ولا تصح إلا لله . تعالى . فلا يصلي العبد فرضًا، ولا نفلًا لولي، ولا نبي؛ إذ إن محل قولها ختام الصلاة، كما يقول ابن رجب: "فيكون ختام الصلاة بهذه الكلمة كاستفتاحها بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢][٣]، ولأنها أتت معطوفة على جملة توجب التمجيد لله . تعالى . فأعلى ما يقدمه العبد، ويداوم عليه تمجيدًا، وتعظيمًا، وقيامًا بحق الله . سبحانه . هو الصلاة بأركانها المعروفة؛ بما تحمله من خضوع وخشوع، وبما فيها من قيام، وركوع، وسجود، وقعود.

على أنك لو تأملت في الصلاة حركة، وذكرًا، وهيئة، وحضورًا تيقنت من أن ذلك لا يكون إلا لله . جلَّ وعلا . وإنه إن كان أيّ من حركاتها قد كانت لملك من ملوك الأرض، فإنها لم تكن مجموعة له، ولا اشتملت الحركة في

---

١)) ينظر: شرح النووي على مسلم، ١١٦/٤، وفتح الباري، لابن حجر، ٣١٣/٢.

٢)) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، ١٤٧/٣.

٣)) ينظر: فتح الباري، لابن رجب، ٣٢٧/٧.

تحيتهم على ما اشتملت عليه حركة الصلاة من ذكر، (الله أكبر) في البدء والانتقال، و (سبحان ربي العظيم) في الركوع، و (سبحان ربي الأعلى) في السجود، وإن اشتملت الحركة التي يعظم بها الملك على ذكر يصاحبها إلا أنها لا تكون بالخشوع والخضوع التي تؤدى به الصلاة لله . تعالى . وإن اشتملت على خضوع فإنه يكون رهبة، لا حبًّا، ولا يريد مؤديها الزيادة منها، كما يريد العبد الصلاة لله . جلَّ شأنه . ومن ثم سمي إلهًا؛ أي مألوهًا معبودًا، تألهه القلوب وتوده، وتحبه، وتعظمه، وتقر له بالعبودية، قال ابن منظور: "الإِلَهُ: الله . عز وجلَّ ....وأَصله من أَلِهَ يَأْلَهُ إذا تَحَيَّر، يُرِيدُ إِذَا وَقَعَ الْعَبْدُ فِي عَظَمَةِ الله وَجَلَالِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ وصَرَفَ وَهْمَه إِلَيْهَا، أَبْغَضَ النَّاسَ حَتَّى لَا يَمِيلُ قَلْبُهُ إِلَى أَحد"[1].

وقولهم: الصلوات: الرحمة، لم ينظروا فيه إلى الجمع؛ وقيل: إذا كان معنى الصلاة الرحمة، فكيف عطف الرحمة على الصلاة في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة: ١٥٧]، والشيء لا يعطف على نفسه، قيل: يعطف على نفسه إذا اختلف اللفظان[2]، وإنما المعنى العبادات التي يتضرع بها العبد لله، وأعظمها خشوعًا وخضوعًا الصلاة، قال التوربشتي: "والصلوات...معناها . والله أعلم . العبادات لله؛ أي هو المستحق لسائر العبادات التي تعظم بها المعبود، ويتقرب بها إليه على تنوعها، وتباين أوصافها"[3].

---

١)) لسان العرب، مادة: أله، ٤٦٧/١٣.

٢)) ينظر: اللباب في الجمع بين السنة والكتاب، ٢٤٦/١.

٣)) ينظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ٢٥٤/١.

سر اختيار الصلوات دون غيرها من ألوان العبادات:

اختار الصلوات دون غيرها من ألوان العبادات للتعبير عن القيام بحق لله . تعالى . دون الصوم، أو الحج، أو الزكاة؛ لأن السياق ينادي بها؛ فالتحيات عقب الفراغ من أعمال الصلاة، ولأن الخضوع فيها أعظم، ولأنها أكثر عبادة الناس، فهي لا تسقط عن أحد، بخلاف غيرها يقوم بها بعض الناس دون غيرهم، ولأنها ملء أوقاته، بخلاف الصوم، والزكاة، والحج يفعلها في زمن دون زمن.

حذف المسند في جملة (والصلوات):

إن حذف المسند يفجر معنى لا يقل جلالًا عن المعاني التي فجرتها لام الملك، وخلعتها على جملة (التحيات لله) والتي فجرها كذلك ترك التوكيد لها، فقد أضفى الحذف هنا على الجملة أبهة وجمالًا، وخلع عليها من المعاني رونقًا وجلالًا، لا يوفي بحقه بيان، ولا يبلغ بعبارة كنهه لسان؛ إذ جعل (الصلوات) متعينة له . سبحانه . لا ينازع فيها منازع، ولا مجال فيها لتوهم متوهم على الإطلاق، فكان الحذف هنا على حد قول الإمام عبد القاهر: "رب حذف هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد"[١]، فترك الذكر هنا أفصح من الذكر، والصمت عنه أزيد في الإفادة، وأتم بيانًا، إننا نخلص من هذا الحذف إلى أن الصلوات لله . تعالى . خبر مؤكد، ويقين ثابت لا يقبل شكًّا، فلذا أتى خاليًا من التوكيد، وحذف المسند؛ إذ إنه متعين، لا تنصرف إلا إليه، وهو (الله)، وقال

[١]) دلائل الإعجاز، ص ١٥١.

القاضي أبو الوليد: "وعندي أن معنى الصلوات لا ينبغي أن يراد بها غير الله"[1].

معنى (الطيبات):

والمراد بالطيبات: الطيب في اللغة خلاف الخبيث، وقيل المراد بالطيبات في التحيات الطيبات من الصلاة، والدعاء، والكلام مصروفات إلى الله . تعالى .[2]، أو طيبات القول؛ أي ما طاب من الكلام، وحسن أن يثنى به على الله . تعالى . ويذكر به، كالتسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، دون ما لا يليق بصفاته . سبحانه . مما كان الملوك يحيون به، ففسرت الطيبات كما قال ابن رجب: بالكلام الطيب، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، والمعنى: إن ما كان من كلام فإنه لله، يثنى به عليه، ويمجد به[3]، وقيل: ذكر الله، وقيل: الأقوال الصالحة، كالدعاء والثناء، وقيل: الأعمال الصالحة الزاكية كلها، فإنها توصف بالطيب، وهو أعم، فتشمل الأقوال والأفعال، والأوصاف، وطيبها راجع إلى كمالها بإخلاص العبد فيها لله . تعالى .؛ فالإخلاص هو سر قبول الأعمال؛ يطيبها، وينفي عنها الخبث، ويخلصها من الشوائب، وقيل: الوصف بالطيب يفيد خلوصها من الشرك وشوائبه، وسلامتها من البدع[4]، فشرط قبول الأعمال الإخلاص، والاتباع، جمعها في قوله: "الطيبات"، وقيل: المراد من التحيات العبادات القولية، والصلوات:

---

[1]) المنتقى شرح الموطأ، ١/ ١٦٧.

[2]) ينظر: لسان العرب، مادة: طيب، ٥٦٣/١.

[3]) ينظر: فتح الباري، لابن رجب، ٣٢٧/٧.

[4]) ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ١٣٢/١.

العبادات الفعلية، والطيبات الصدقات المالية[١]، ولا دليل في اللفظ يرجح أن المراد بالطيبات العبادات المالية دون سواها، ودليل ابن رجب بأن الطيبات هي الكلام لقول الله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ليس له حجة قوية؛ إذ جاءت الطيبات وصفًا في كتاب الله. تعالى. لكل ما طاب من الأقوال، والأشخاص، والأرزاق، والبلدان، والأطعمة، والذرية، والمسكن، والريح، والحياة، وتحية الإسلام، والصعيد، فلا دليل يصرفه هنا إلى الكلام دون سواه، وعلى ما ورد في القرآن الكريم، وما يعطينا إياه المعنى اللغوي للفظة الطيب نجزم بأن المراد بالطيبات الأعمال الطيبة كلها؛ قولًا وفعلًا ثابتة لله. تعالى. أو المعنى: أنه. تعالى. يتقرب إليه بكل طيب؛ لأنه. سبحانه. طيب، ولا يقبل إلا طيبًا، و. سبحانه. طيب في كل شيء، في ذاته، وصفاته، وأفعاله، فله من الأوصاف، والأفعال، والأقوال أطيبها، ف. سبحانه. لا يقول إلا طيبًا، ولا يفعل إلا طيبًا، ولا يتصف إلا بالطيب.

وقال ابن القيم: "الطيبات صفة لموصوف محذوف؛ أي الطيبات من الكلمات والأفعال والصفات والأسماء لله وحده، فهو طيب، وكلامه طيب، وأفعاله طيبة، وصفاته أطيب شيء، وأسماؤه أطيب الأسماء...فالطيبات كلها له، ومضافة إليه، وصادرة عنه، ومنتهية إليه"[٢]، فالطيبات: طيبات في وصف الله، فسبحانه طيب الذات، والأسماء، والصفات، والأفعال، وطيبات

١)) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٣١٣/٢.

٢)) الصلاة وأحكام تاركها، ١٥١/١.

باعتبار فعل المخلوق، فما كان خالصًا لوجه الله، ووافق الشرع، فهو طيب، فالله طيب، ولا يقبل إلا طيب الأقوال والأفعال الصادرة من الخلق[١].

وعلى اختلاف الأقوال في تفسير الصلوات والطيبات، وتعدد الروايات بالمباركات، والزاكيات، فإن مقصودها جميعًا "اختصاص العبادات بأنواعها بالله"[٢]، فلا ينبغي أن يراد بها غير الله، فمعنى الحديث أن التحيات؛ أي الأثنية كلها، والتعظيمات القلبية والقولية والبدنية لله. تعالى. ولا يصلح حقيقتها لغيره، فالإنسان عندما يعظم أباه أو شيخه، فإن هذا تعظيم محدود، أما التحية الكاملة والتعظيم الكامل فإنه لله رب العالمين[٣]،وما بعدها مستحقة لله. تعالى. فجميع العبادات له استحقاقًا بمقتضى العقل، وبالشرع، القيام، والركوع، والسجود، والدعاء، وأنواع العبادة له وحده[٤]، وعن ابن عباس أنه قال: "التحيات العظمة، والصلوات الخمس، والطيبات الأعمال الصالحة[٥].

سر اختيار الطيبات دون غيرها من الأوصاف: اختار الطيبات دون غيرها من سائر الأوصاف التي توصف بها الأعمال، كالصالحات، والمباركات، والنافعات؛ لأن العمل لا يوصف بالطيب إلا إذا كان مقبولًا؛ لإخلاص العبد فيه؛ فإن جنس الأعمال الطيبة المقبولة هو لله. سبحانه. قال تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ

---

١)) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، ١٤٨/٣، وجلسات رمضانية للعثيمين، ٦/١٨.

٢)) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه، ٢٩١/١.

٣)) ينظر: نيل الأوطار، ٣٢٥/٢، والشرح المختصر على بلوغ المرام، ١٥٢/٣، ١٥٣.

٤)) ينظر: شرح كتاب التوحيد، ١٣٢/١.

٥)) ينظر: بحر المذهب للروياني، ٢/ ٦٥.

إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [الحج: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، فقال: الطيبات لله ليكون العمل كاملًا تامًّا.

حذف المسند من (الطيبات): إذا كان حذف المسند من الصلوات يشير إلى أن المسند متعين لا حاجة لذكره، فإن حذفه من (الطيبات) يبوح بأسرار أخر، وهي الإشارة إلى أن الطيبات كلها له، ومنه، وإليه لا تنصرف إلى غيره بلا منازعة، وأنه . سبحانه . لا يقبل سواها، ومنه ما رواه أبو هريرة . رضي الله عنه . من قول رسول الله ﷺ: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا..."[١]، أما من سواه فقد يقبل عملًا ناقصًا، أو ينطلي عليه عمل زائف، أو يخدع بعمل فيه مراء.

سر عطف الطيبات على الصلوات: وعطف (الطيبات) على (الصلوات) ولم يفصل بينهما بالخبر، كما فصل بين الصلوات والتحيات بالخبر (لله) للإشعار باقترانهما وتلازمهما، وعدم مفارقة أحدهما للآخر، وعدم قيام الصلوات بالمعنى إلا إذا اقترنت بها الطيبات، فالصلوات تتعلق بالطيبات؛ إذ لا تكون الصلاة لله . تعالى . وتكون مقبولة إلا إذا كانت طيبة، وطيبها يكون بإخلاصها لله، فكأنه قال: الصلوات الطيبات لله، أو لا صلاة طيبة إلا لله، أما التحيات فمستقلة بنفسها؛ فلذا لم يعطف الصلوات على التحيات قبل استكمال الخبر.

سر تقديم الصلوات على الطيبات: وقدمت (الصلوات) على (الطيبات)؛ لأنها أجل القربات، أشرف الطاعات، وهي أم العبادات، فهي القاسم المشترك

---

[١]) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم الحديث: ١٠١٥، ٢/ ٧٠٣.

بين المسلمين جميعًا دون غيرها من العبادات التي تسقط عن بعض المسلمين، أما الصلاة فإنها لا تسقط عن المسلم بحال إلا في أعذار النساء، وقد جاءت في أغلب آيات القرآن الكريم مقدمة على أي نسك، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر: ١ – ٢]، ولأن المقام لتمجيد الله . جلَّ وعلا . وتعظيمه، ولا شيء يقدم على الصلاة تعظيمًا لله، وقيامًا بحقه.

سر عطف (والصلوات والطيبات) على (التحيات لله) بعد استكمال الخبر:

عطف (والصلوات والطيبات)، على جملة (التحيات لله) بعد استكمال الخبر؛ ليكون بناء الكلام على جمل مستقلة، كل جملة قائمة بذاتها توجب لله حقًّا مستقلًّا، أما بناؤها على نحو: (التحيات والصلوات والطيبات لله) فمن باب عطف المفردات؛ أي عطف الصلوات والطيبات على التحيات وتكون كلها جملة واحدة، وإنما بناها على عطف الجمل، لما تمت الجملة الأولى بقوله: "لله" عطف عليها، بتقدير: والصلوات لله، والطيبات لله، فتكون كل جملة منهن مساوية للتحيات لله.

ولو أسقط العطف كما في بعض الروايات، فقال: "التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله" لكانت المباركات صفة للتحيات، والطيبات صفة للصلوات.

وسر آخر هو أنه ﷺ لو أتى بها معطوفة قبل استكمال الخبر، فقال: "التحيات والصلوات والطيبات لله" لجعلها جميعًا بمنزلة واحدة في إثباتها لله، واستحقاقه . جلَّ وعلا . لها، أما العطف على الجملة الأولى بعد استكمال

الخبر، وحذف الخبر من جملتي: "والصلوات والطيبات" فإنه أشار إلى التفاوت بينهما وبين الجملة الأولى في إثبات مضمون كلٍّ منهما لله، وجعل هاتين الجملتين في التوكيد بمنزلة أخرى تغاير الأولى؛ إذ أشار إلى أن "والصلوات والطيبات" مما لا ينازع فيه، وأن ثبوتهما لله أمر مقرر، ولا ينصرف الذهن بهما إلى غيره على الإطلاق.

سر عطف الجمل الثلاث: وعطف الصلوات والطيبات على بعضهما يحتمل كما عند ابن حجر أن تكون (الصلوات) مبتدأ حذف خبره (لله) و (الطيبات) معطوفة عليها، فيكون من عطف المفرد على الجملة[١]، أو من باب عطف الجملة على الجملة لكل منهم خبر محذوف دل عليه المذكور، وهو: (لله) في (التحيات لله)، وهو الأولى والأظهر لما فيه من تكثير المعاني، وجعل كل جملة تقتضي ثناء مستقلًّا لله ـ جلَّ وعلا ـ وهو المقصود الأعظم من التشهد.

ولذا رجح علماؤنا رواية ابن مسعود لثبوت الواو فيها بين الصلوات والطيبات؛ لأنها تقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، فتكون كل جملة ثناء مستقلًّا، بخلاف حذف الواو الذي يجعل الطيبات صفة للصلاة، فيكون جملة واحدة في الثناء، وتعدد الثناء أبلغ، وأولى[٢].

فالواو بين الجمل الثلاث أفادت كمال ثبوت مضمون كل جملة لله ـ جلَّ وعلا ـ على حدة، ولو سقطت الواو، وجاءت الجمل على نحو: التحيات لله، الصلوات لله، الطيبات لله؛ لأفادت كمال اجتماع مضامين الجمل الثلاث لله،

---

١)) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٣١٣/٢.

٢)) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٣١٦/٢.

وكأنها جملة واحدة، فالعطف أفاد كمال ثبوت مضمون كل جملة لله، وتركه يفيد أن مضامينها مجتمعة لله.

سر الإخبار عن اجتماع التحيات والصلوات والطيبات لله:

إن الإخبار بكل جملة على حدة يوجب لله ثناء، ثم الإخبار عنها مجتمعة بعطف بعضها على بعض يوجب لله نوع ثناء آخر غير الثناء بمفردات تلك الجمل، فله . سبحانه . نوعا ثناء، ثناء متعلق بكل جملة على حدة، وثناء متعلق باجتماع مضمون تلك الجمل، وهو كمال، بل هو عامة الكمال.

سر حذف المسند من (والصلوات والطيبات) وذكره في جملة: (التحيات لله):

حذف المسند من الجملة الثانية (والصلوات والطيبات)؛ أي: لله؛ لتعينها لله؛ إذ إن الصلوات لا تكون إلا لله، فلا أحد يصلي لغيره، ومن سجد سجدة لغيره كفر، والطيبات لا تكون إلا لله؛ إذ إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، فالطيب الكامل الخالص من شوائب الشرك لله، فأفاد الحذف ما لم يعطه الذكر من المعاني، فلما كانت الصلوات والطيبات لا تتعين إلا لله حذف المسند، أما التحيات فتصدر من الناس لملوكهم وعظمائهم؛ فلذا قال: "التحيات لله" بذكر المسند.

وهاتان الجملتان مع قصرهما ووجازتهما تجمع حقوق الله . تعالى . على عباده، فالجملة الأولى فيها الإجلال والتعظيم لذاته . سبحانه . والجملة الثانية فيها القيام بعبادته: "والصلوات"، والثالثة فيها إفراده بها بإخلاصها له "والطيبات".

وإذا كان المراد بـ (الصلوات) الصلاة المعهودة فمعنى كونها لله إخلاصًا وعبودية، فالمعنى: أنها واجبة له لا يقصد بها غيره، أو يكون ذلك إخبارًا عن قصد إخلاصنا الصلوات له؛ أي صلاتنا مخلصة له لا لغيره، وإذا كانت بمعنى الرحمة، فالمعنى أنه المتفضل بها، وإذا كانت بمعنى الدعاء، فالمعنى نتوجه به إليه[١].

قال القرطبي: فيه تنبه على الإخلاص في العبادات؛ أي ذلك لا يفعل إلا لله. تعالى. ويجوز أن يراد به الاعتراف بأن ملك ذلك كله لله[٢]، فلفت الأذهان إلى وجوب تعظيم الله، والخضوع له دون سواه.

وقوله: "لله" نص على وجوب إخلاص العبادة لله؛ أي ذلك لا يفعل إلا لله، وهو نظير قول الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، أو كما قال ابن رجب: "يعبد بها، ويتقرب بها إليه"[٣].

التعريف بـ (أل) ومعناها في كلٍّ من: (التحيات) (والصلوات والطيبات):

التعريف بأل، وجمع الصلوات والطيبات أفاد ما أفاده نظيرها في (التحيات) من العموم والشمول؛ أي جنس الصلوات كلها، والطيبات كلها، على اختلاف مصادرها، وتعددها بتعدد من قام بها هي مستحقة لله. تعالى. ولا تصلح حقيقتها لغيره.

واللام في (التحيات لله) للاستحقاق؛ أي يستحقها لذاته دون غيره، ومعناها في (الصلوات لله) عبادة وإخلاصًا، ومعناها في (والطيبات لله) لا يقبل غيرها.

---

١)) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٣١٣/٢، وشرح أبي داود للعيني، ٢٣٧/٤.

٢)) ينظر: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، ٤٢٥/٣، ٤٢٦.

٣)) ينظر: فتح الباري، لابن رجب، ٣٢٨/٧.

التناسب بين التحيات والصلوات والطيبات: بين الألفاظ الثلاثة مراعاة النظير؛ إذ إنها جميعًا مما يعظم به ذات المولى ـ جلَّ وعلا ـ، ولثلاثتها أصل في كتاب الله، فالأولى هي نظير قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، والثانية: وفق قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢﴾ [الأنعام: ١٦٢]، والثالثة: أصلها قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، والصلوات والطيبات هي من جنس التحيات التي يعظم بها المولى ـ جلَّ وعلا.

الزاكيات: (الزاكيات) في رواية سيدنا عمر بن الخطاب، و(المباركات) في رواية ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ بمعنى واحد، فأصل الزكاة الزيادة والنمو الحاصل عن بركة الله ـ تعالى ـ ومنه الزكاة لما يخرجه الإنسان من حق الله ـ تعالى ـ إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النفس؛ أي تنميتها بالخيرات والبركات أولهما جميعًا، فإن الخيرين موجودان فيها، والمراد بالزاكيات صالحات الأعمال التي تنمو، ويضاعف أجرها، ويزكو لصاحبها الثواب في الآخرة[١]، والمباركات جمع مباركة، ومعناها كثيرة الخير، فالبركة هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء[٢]، فيكثر، ويزيد، وينتفع الناس به، ومنه بركة الماء؛ لثبوت الماء فيها، فالمباركات لا تكون مباركة إلا بثبوت الخير الإلهي فيها، وعند ابن منظور: البركة هي: النماء والزيادة، والزكاة هي: النماء والبركة[٣]، فجعل النماء تعريفًا للبركة والزكاة، وجعل البركة تعريفًا للزكاة.

---

١)) ينظر: المنتقى شرح الموطأ، ١٦٧/١، وشرح الزرقاني على الموطأ، ٣٣٧/١.

٢)) ينظر: المفردات، ٤٤/١، ٢١٣.

٣)) ينظر لسان العرب، مادة: برك، ٣٩٥/١٠، ومادة: زكا، ٣٥٨/١٤.

وهذه الجمل الثلاثة: "التحيات لله، والصلوات، والطيبات" أحلها النبي ﷺ محل قولهم: السلام على الله؛ ليعلمهم ما ينبغي في حق الله من إجلال وتعظيم.

وأبطل النبي قولهم: "السلام على الله"، وأحل محله: "التحيات لله"، وعلا قوله ﷺ على قولهم من وجوه:

أولها: نزه المولى، فلم يجعل تحيته . جلَّ وعلاَ . كتحية الخلق فيما بينهم، فلم يوجب "السلام على الله".

ثانيها: لم يجعل معنى من المعاني مستعليًا على الله . جلَّ جلاله .؛ لذا أبطل قولهم: "على الله"، فالمعاني كلها مملوكة له؛ لذا قال: "التحيات لله"، ولن تجد في القرآن معنى من المعاني مستعليًا على الله، بل تجد كل المعاني مملوكة لله، وتجد الله مستعليًا على كل المعاني وقادرًا عليها، ويكفيك أن تقرأ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠].

ثالثها: أبطل عطف عباد الله على الله . جلَّ جلاله . في معنى، وإشراكهم معه في المعنى نفسه، ففصل وجعل لله ما يليق بجلال الله مما لا يشاركه فيه أحد.

رابعها: جعل جلال الله . تعالى . مستحقًّا لذاته، أما غيره فلا يتمايزون بذواتهم، وإنما يتمايزون بقدر عبوديتهم لله؛ لذا أحل محل قولهم: "السلام على جبريل وميكائيل" السلام على عباد الله الصالحين".

خامسها: غاير بين ما يستحقه المولى بالتعبير بلام الملك، وما يستحقه "عباد الله الصالحين" بالتعبير بحرف الاستعلاء على، وألمح الفرق بين "لله" "وعليك، وعلينا، وعلى عباد الله" فالفرق بين لام الملك للمعاني، وعلى التي

تفيد استعلاء المعاني عليهم هو الفرق بينهم وبين الله . جلَّ شأنه . هو الفرق بين مالك ومملوك، وغني وفقير، ومدعو ومدعو له.

سادسها: علمهم أن الله يثنى عليه، ولا يدعى له، وأن عباده يدعى لهم بعد الثناء عليه؛ ليكون دعاؤهم أرجى بالقبول، فقد قيل: "التحيات لله" فيه دليل على تقديم الوسائل بين يدي المسائل، وهي نظير: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، حيث قدم الوسيلة وهي العبادة على طلب الاستعانة[1].

سابعها: بيّن لهم الفرق بين خطاب الخالق وخطاب الخلق، فقال: "التحيات لله" بخطاب الغيبة لله، و "السلام عليك أيها النبي"، والخطاب للنبي ﷺ ولم يجر بهما على نسق واحد؛ كأن يقول: "التحيات لله، والسلام على النبي"، أو "التحيات لك ربي، والسلام عليك أيها النبي"، أو بالخطاب للخالق: "التحيات لك"، والغيبة للنبي ﷺ "السلام على النبي"؛ وسر ذلك أن المقام مقام تمجيد وثناء لله . جلَّ وعلا . فناسبه الإتيان باسم الجلالة وخطاب الغائب حتى يشير إلى أن العقول لا تدرك كنهه، ولا تقوى على خطابه مواجهة.

---

[1]) ينظر: سبل السلام، ١/ ٢٨٦.

المطلب الثاني

دقائق الأسرار في الدعاء في التشهد

الدعاء: "السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ".

قوله: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" فصلت هذه الجملة عن سابقتها؛ لفقدان المناسبة التي تصحح العطف بين جملة (السلام عليك، والتحيات لله)، وهو من صور كمال الانقطاع بلا إيهام؛ إذ إن الأولى ثناء على الله. جلَّ وعلا، والثانية دعاء للنبي ﷺ بأن يسلمه الله. تعالى. من شرور الدنيا والآخرة، فلا مناسبة تصحح العطف بين الجملتين، ولاختلاف المتحدث عنهما، فلجلال المتحدث عنه في الجملة الأولى لم يعطف عليه غيره في معنى.

بعد أن ردَّ ﷺ قولهم بالسلام على الله. جلَّ جلاله. وأحلَّ محله (التحيات لله)، أقرهم بأن يسلموا على خلق الله، كما كانوا يسلمون، ولكنه علمهم أن يخصوه ﷺ بالسلام ابتداء قبل أنفسهم؛ لعظيم شرفه، ومزيد فضله على الخلق، ووجوب حقه على سائر الأمة؛ فهو سبب هدايتهم، وسعادتهم؛ بتعليمه وإرشاده ﷺ[١]، وقد أكد النبي ﷺ على وجوب محبته، وتقديمها على محبة النفس، وما دونها من الوالد والولد بأكثر من حديث في مواطن متعددة، فقد روى البخاري عن قتادة، عن أنس، قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب

[١]) ينظر: فتح الباري، لابن رجب، ٣٢٨/٧.

إليه من والده وولده والناس أجمعين»[1]، وعنه ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما"[2].

وروى البخاري قال: "حدثني أبو عقيل زهرة بن معبد، أنه سمع جده عبد الله بن هشام، قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»"[3].

وعبر بالخبر في موضع الإنشاء (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"؛ إذ الكلام دعاء لرسول الله ﷺ وللنفس، وللصالحين من عباد الله؛ لإبراز غير الحاصل في صورة الحاصل، وكأنه أمر واقع محقق؛ رغبة في تحقق وقوعه، فالعدول من الإنشاء إلى الخبر يبرز قوة الرجاء في وقوع المطلوب.

وقيل: جملة متضمنة للإنشاء والإخبار، فجهة الخبرية فيه لا تناقض جهة الإنشائية، وكذا كل موضع كان المعنى حاصلًا فيه من غير جهة المتكلم، وليس للمتكلم إلا دعاؤه بحصوله ومحبته، فالخبر فيه لا يناقض الإنشاء، وهذا نحو "سلام عليكم"، فإن السلامة المطلوبة لم تحصل بفعل المسلم، وليس

---

[1]) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، رقم الحديث: ١٥، ١/١٢.

[2]) السابق، كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان، رقم الحديث: ١٦، ١/١٢.

[3]) السابق، كتاب: الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ، رقم الحديث: ٦٦٣٢، ٨/١٢٩.

للمسلم إلا الدعاء بها ومحبتها، فإذا قال: "سلام عليكم" تضمن الإخبار بحصول السلامة، والإنشاء للدعاء بها وإرادتها وتمنيها[١].

و (السلام) قيل: جمع سلامة[٢]، وقال أبو الهيثم: السلام والتحية معناهما واحدٌ، وهو السلامة من جميع الآفات... وَقِيلَ: معناه سلمتَ مِنِّي، فاجعلني أسلم منك من السلامة بمعنى السلام[٣]، وقيل: السلام الله ـ عز وجلَّ ـ، اسْمٌ مِنْ أَسمائه؛ لسلامته من النقص، والعيب، والفناء، والشريك، والند؛ أي هو سالم من كل عيب ونقص وآفة، وضع المصدر موضع الاسم؛ مبالغة في كونه سليمًا من النقائص، وقيل: إعطاؤه السلامة، فهو المسلم أولياءه، أو المسلم عليهم، حكاه ابن قتيبة، وقاله الخلخالي وغيره، وقيل: معناه أنه سَلِمَ مما يلحق الغير من آفات الغير والفناء، وأنه الباقي الدائم الذي تفنى الخلق ولا يفنى، وهو على كُلِّ شيْءٍ قديرٌ[٤]، وقد ثبت في القرآن الكريم أن السلام اسم من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقيل: فرق بين السالم والسلام، فجعل السالم من سلم من العيوب، والسلام من سلَّم غيره من العيوب[٥]. وقال السهيلي: "وَتَسَمّى ـ سُبْحَانَهُ ـ بِالسّلَامِ لِمَا شَمِلَ جَمِيعَ الْخَلِيقَةِ، وَعَمّهُمْ مِنْ السّلَامَةِ مِنْ الِاخْتِلَالِ وَالتّفَاوُتِ؛ إذْ الْكُلّ جَارٍ عَلَى نِظَامِ الْحِكْمَةِ، كَذَلِكَ سلم الثّقَلَانِ مِنْ جَوْرٍ وَظُلْمٍ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مِنْ قِبَلِهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ ...فَهُوَ سُبْحَانَهُ

---

[١]) ينظر: بدائع الفوائد، ٢/ ١٤٠.

[٢]) ينظر: تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك، ٨٧/١.

[٣]) ينظر: لسان العرب، مادة: سلم، ٢٨٩/١٢، ٢٩٠.

[٤]) ينظر: شرح النووي على مسلم، ١١٦/٤، وفتح الباري لابن حجر، ٣١٤/٢.

[٥]) ينظر: فيض الباري على صحيح البخاري، ٣٩٦/٢، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٧٣٠/٢.

فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ سَلَامٌ، لَا حَيْفَ وَلَا ظُلْمَ، وَلَا تَفَاوُتَ وَلَا اخْتِلَالَ، وَمَنْ زَعَمَ مِنْ الْمُفَسّرِينَ لِهَذَا الِاسْمِ أَنّهُ تَسَمّى بِهِ لِسَلَامَتِهِ مِنْ الْآفَاتِ وَالْعُيُوبِ، فَقَدْ أَتَى بِشَنِيعِ مِنْ الْقَوْلِ، إنّمَا السّلَامُ مَنْ سُلِمَ مِنْهُ، وَالسّالِمُ مَنْ سَلِمَ مِنْ غَيْرِهِ... إنّمَا يُقَالُ: سَالِمٌ فِيمَنْ تَجُوزُ عَلَيْهِ الْآفَةُ، وَيَتَوَقّعُهَا ثُمّ يَسْلَمُ مِنْهَا، وَالْقُدّوسُ سُبْحَانَهُ مُتَعَالٍ عَنْ تَوَقّعِ الْآفَاتِ مُتَنَزّهٍ عَنْ جَوَازِ النّقَائِصِ، وَمِنْ هَذِهِ صِفّتُهُ لَا يُقَالُ: سَلِمَ، وَلَا يَتَسَمّى بِسَالِمٍ"[1].

وقيل: السلام اسم مصدر من سَلَّمَ، ومصدره التسليم، واسم المصدر وهو السلام يدل على الحدث دون فاعله، والمصدر التسليم يدل على الحدث وفاعله، ولما كان المراد إثبات الحدث دون تقييده بفاعل عبر باسم المصدر؛ لكونه أعم وأشمل من التعبير بالمصدر، يقول ابن القيم: " فإن قيل: فما الحكمة في مجيئه اسم مصدر ولم يجيء على أصل المصدر؟ قيل: هذا السر بديع، وهو أن المقصود حصول مسمى السلامة للمسلم عليه على الإطلاق من غير تقييد بفاعل، فلما كان المراد مطلق السلامة من غير تعرض لفاعل أتوا باسم المصدر الدال على مجرد الفعل، ولم يأتوا بالمصدر الدال على الفعل والفاعل معًا فتأمله"[2].

وقيل: معناه ذو السلام، فحذف المضاف، وأقام السلام مقامه، والسلام التسليم، يقال: سلم سلامًا وتسليمًا، وقيل: معناه السلامة عليكم، فالسلام جمع سلامة[3].

---

١)) الروض الأنف، ٤٣٢/٢، ٤٣٣.

٢)) بدائع الفوائد، ١٣٨/٢، ١٣٩.

٣)) ينظر: المنتقى شرح الموطأ، ١٦٧/١.

وقيل: إن السلام اسم مصدر بمعنى السلامة[١]، وجاء السلام عليك دون السلامة عليك؛ لإرادة جنس السلام لا المرة الواحدة منه، وعرف المسند إليه بأل لجنس؛ لإفادة العموم؛ أي كل أفراد جنس السلام من الله. عز وجلَّ. ومن كل مُسَلّمٍ عليك أيها النبي.

وقيل: معناه: السلام والنجاة لك، كما في قوله تعالى: ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٩١]، وقيل: الانقياد لك، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]، ولا يخلو هذا من ضعف؛ لأن هذه المعاني لا يتعدى السلام إليها بـ (على)[٢].

وقيل: معنى (السلام عليك) السلام الذي هو اسم مصدر سَلَّمْتُ أنه دعاءٌ له ﷺ بأَن يسلم من المكاره، والمذام، والآفات في دينه ونفسه؛ أي السلامة والنجاة من الآفات لك أيها النبي، والسلام لك من مخاوف الدنيا والآخرة، أو معناه الإعلام لصاحبه بالسلامة من ناحيته، والأمن من شره وغائلته، وقيل: معناه اسم الله (السَّلام) عليك، كأنه تبرك عليه باسم الله؛ إذ كان اسم الله. تعالى. يذكر على الأعمال توقعًا لاجتماع معاني الخيرات فيه، وانتفاء عوارض الفساد عنه[٣]، فهو تعويذ وتحصين له باسم الله. سبحانه. وتقديره: الله عليك حفيظ وكفيل، أو نزلت بركة الله عليك، فلا خلوت من البركات والخيرات، وقيل: السلام اسم الله. تعالى. يدل على سلامته من كل نقص وعيب، فيدعى

---

١)) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١١١/٦.

٢)) ينظر: رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، ٤٧٨/٢.

٣)) ينظر: لسان العرب، مادة: سلم.

الله به؛ ليسلم من ذكر عليه هذا الاسم الشريف من المكاره والمخاوف[1]، وأمثل هذه الوجوه الدعاء؛ لأنا إذا ذكرنا السلام لم يكن لنا أن نذهب إلى أن معناه اسم الله عليك، وبالتنكير ورد التنزيل: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ [مريم: ١٥]، وإذا قلنا: السلام علينا، أو سلمنا على بعض الأموات؛ فإنه لا يستقيم أن يكون إعلامًا بالسلامة؛ لأن ذلك يصح في حق غيرنا من الأحياء، فالوجه هو القول بأنه دعاء بالسلامة لصاحبه من آفات الدنيا والآخرة، وضعه الشارع موضع التحية والبشرى بالسلامة، وأمارة للسلم بين الداعي والمدعو له، واختار لفظ السلام تحية لأهل ملته؛ لما فيه من المعاني، ولأنه مطابق للسلام الذي هو اسم من أسماء الله؛ تيمنًا به وتبركًا[2].

وقيل: لا يستقيم أن يكون السلام هنا اسمًا لله. جلَّ جلاله. بمعنى اسم الله. تعالى. عليك؛ لأنه يرد نكرة دون أل (سلام عليك)، ولو كان اسمًا لله. تعالى. لورد في جميع حالاته بـ (أل) معرفًا، كبقية أسماء الله الحسنى، فإن التنكير لا يدل على معين؛ فضلًا عن أن يدل على العظيم. سبحانه. ولعطف الرحمة والبركة عليه، وكلاهما مصدر، فقيل: السلام عليك ورحمته وبركاته، وأنه لو كان اسمًا لله. تعالى. لم يستقم الكلام إلا بتقدير وإضمار، يكون به مقيدًا، ويكون المعنى: بركة اسم الله عليك، فإن الاسم نفسه ليس عليه، وهذا التقدير خلاف الأصل، ولا دليل عليه، وليس المقصود من السلام هذا المعنى، وهو بركة اسم الله عليك، بل المقصود الإخبار عنه بحصول السلامة له، والدعاء

---

[1]) ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ١/١٣٢.

[2]) ينظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ١/ ٢٥٣.

له بها، ولهذا كان السلام أمانًا لتضمنه معنى السلامة، فهذه أدلة متعددة على أن المراد بالسلام المصدر [١].

وذهب آخرون بأن المراد بالسلام هنا اسم الله . جلَّ وعلا . ودليلهم قول النبي ﷺ "لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام"، فهذ صريح في كون السلام اسمًا من أسمائه، قالوا: فإذا قال المسلم سلام عليكم، كان معناه اسم السلام عليكم، وما رواه أبو داود من حديث ابن عمر . رضي الله عنهما .: "أن رجلا سلم على النبي ﷺ فلم يرد عليه حتى استقبل الجدار، ثم تيمم، ورد عليه، وقال: إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر" صحيح، قالوا: ففي هذا الحديث بيان أن السلام ذكر الله، وإنما يكون ذكرًا إذا تضمن اسمًا من أسمائه، ومن حججهم أيضًا أن الكفار من أهل الكتاب لا يبدؤون بالسلام، فلا يقال لهم: سلام عليكم، ومعلوم أنه لا يكره أن يقال لأحدهم: سلمك الله، وما ذاك إلا أن السلام اسم من أسماء الله، فلا يسوغ أن يطلب للكافر حصول بركة ذلك الاسم عليه، فهذه حجج كما ترى قوية ظاهرة[٢].

ورجح ابن القيم الجمع بين المعنيين؛ لأن الداعي إذا طلب من ربه مطلوبًا توسل إليه باسم من أسمائه يناسب ذلك المطلوب، فكأن الداعي يستشفع إلى ربه به، فيسأل التوبة من التواب، والمغفرة من الغفور، والعفو من العفو، ثم يقول: "فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم ما عند الرجل أتى في لفظها بصيغة اسم من أسماء الله . تعالى . وهو السلام الذي يطلب منه السلامة، فتضمن لفظ السلام معنيين، أحدهما: ذكر الله، كما في حديث ابن عمر . رضي الله عنهما . والثاني: طلب السلامة، وهو مقصود المسلم، فقد

---

١)) ينظر: بدائع الفوائد، ٢/ ١٤٢، ١٤٣.

٢)) ينظر: السابق، ٢/١٤١، ١٤٢.

تضمن سلام عليكم اسمًا من أسماء الله، وطلب السلامة منه، فتأمل هذه الفائدة"[١].

وقيل: السلام هنا التحية، ولفظه: سلم الله عليك تسليمًا، فتضمن معنيين، ذكر الله، وطلب السلامة[٢]، وعلى هذا يفسر قول ابن القيم بالجمع بين المعنيين.

وقيل: أن كون السلام هنا اسم الله بعيد جدًّا، إلا أن يراد آثاره ومظاهره؛ أي مظاهر اسمه . تعالى . السلام مترادفة عليك أيها النبي[٣]، وأرى أن السلام في هذا الموطن ليس المراد به اسم الله . تعالى . لا ظاهرًا، ولا تأويلًا؛ لأنه لو كان المراد باسم الله آثاره ومظاهره لكان مغنيًا عن قوله: "ورحمة الله وبركاته"؛ إذ اسمه . تعالى . إذا وضع في شيء كثره، وباركه، وعظمه، قيل: "اسم الله عليك؛ أي من حيث البركة والرحمة، فكأنه قيل: بركة هذا الاسم محيطة بك"[٤].

وعلى فرض ذكرها معه فستكون الصياغة: السلام عليك أيها النبي ورحمته وبركاته، ولا نصرح باسم الجلالة الله، بل نعبر بالضمير العائد على اسم الله السلام، كما كان الشأن في وبركاته بعد اسم الله في "ورحمة الله"، ولو كان اسمًا لله لكان أولى به وأحق: السلام معك، كما في قوله: ﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ ﴾ [محمد: ٣٥]، ولم يرد في النظم القرآني، الله عليكم.

---

١)) السابق، ٢/ ١٤٣.

٢)) ينظر: حاشية الروض المربع، ٦٨/٢.

٣)) ينظر: شرح البهجة الوردية، ٣١٤/٣.

٤)) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ٥٢٧/١.

و (أل) في (السلام) إما أن تكون للجنس؛ أي جنس السلام وحقيقته الذي يعرفه كل أحد، ويصدر من كل أحد، وينزل على كل أحد عليك أيها النبي دائمًا أبدًا باقيًا ببقاء اسم المصدر؛ إذ إن اسم المصدر السلام لا يتقيد بزمن، فيكون السلام عليه شاملًا للسلامة من مخاوف الدنيا والآخرة، وإما للعهد التقديري؛ أي ذلك السلام الذي وجه إلى الأنبياء والمرسلين عليك أيها النبي، ويجوز أن تكون للعهد الخارجي إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩][١]، والراجح أنها للجنس؛ لعمومها وشمولها، وإذا كان الراجح أن تكون (أل) للجنس على ما سواها من العهد التقديري أو الخارجي، فلا شك أنها أولى من النكرة؛ إذ إنها تعلو على ما يعلوها.

وأصل (السلام عليك) سلم الله عليك سلامًا، نقل من الدعاء إلى الخبر، حذف الفعل، وأقيم اسم المصدر مقامه، وعدل به عن النصب إلى الرفع، ليكون بناء الجملة (السلام عليك) بالرفع على الابتداء؛ للدلالة على ثبوت المعنى واستقراره ودوامه، قاله الطيبي[٢]؛ ولذا قال المفسرون أن سلام إبراهيم . عليه السلام . كان أبلغ من سلام الملائكة؛ فحياهم بأحسن مما حيوه به؛ إذ قال: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ﴾ [هود: ٦٩] بالرفع؛ لإفادة ثبوته ودوامه، قال الإمام البقاعي: "﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ﴾؛ أي سلمنا عليك سلامًا عظيمًا، ﴿قَالَ سَلَٰمٌ ۖ﴾؛ أي ثابت دائم عليكم لا زوال له أبدًا،

---

١)) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٣١٣/٢.

٢)) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٣١٣/٢.

فللرفع مزية على النصب؛ لأنه إخبار عن ثابت، والنصب تجديد ما لم يكن، فصار مندرجًا في: ﴿فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ [النساء: ٨٦]"[1].

وآثر التعبير بـ (عليك) دون لك، أو معك؛ ليجعل السلام مستعليًا ومشتملًا عليه، ومحيطًا به ﷺ إحاطة تامة، كما يحيط الثوب بلابسه، ولئلا تكون صيغة الدعاء مماثلة للثناء على الله وتمجيده (التحيات لله)، ولئلا تتماثل صيغة الدعاء مع صيغة الإخبار، فقولنا: السلام لك، أو السلام معك، هو إخبار وتقرير محض بحصول ذلك له، فاللام في لك دالة على حصول ذلك، وكل ما كان حاصلًا واقعًا عبر فيه القرآن باللام دون على، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾ [الرعد: ٢٢]؛ أصبحت واقعًا ثابتًا لهم، وكذا دلالة المعية على مصاحبتها له، فتكون محصلة، وفي هذا خروج عن مقام الإجلال التام لله. جلَّ وعلا. الذي هو رأس المعاني في التحيات، ولما تغايرت المقامات بين الدعاء هنا، والإخبار في آخر الواقعة، قال ﷺ عليك، وقال تعالى: ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١﴾ [الواقعة: ٩١]؛ لأن المقام مقام إخبار عن مآلهم، لا الدعاء لهم.

وقال: "السلام عليك أيها النبي" بكاف الخطاب من المتكلم إلى المخاطب، دون "السلام علي" بالضمير العائد من المتكلم إلى نفسه، وكلا الضميرين راجعان إليه ﷺ وسر ذلك أن المقام للتعليم، فهو ﷺ يعلمهم ماذا يقولون، فلو علمهم: السلام عليّ، فقالها أحدهم لكان مسلمًا على نفسه، ولا نتبين من لفظه أن السلام على النبي ﷺ، ولكن الرسول ما قال: ثم سلموا علي، فهو يعلمنا أنه جرد من نفسه شخصية التعليم بالنسبة لصاحب الرسالة، فقال: قولوا:

---

[1]) نظم الدرر، ٣٢٩/٩.

"السلام عليك أيها النبي"، أنا النبي، ولكن وجب عليكم أن تسلموا على النبي ﷺ[١].

ولأن السلام عليه إنما هو لشرف نبوته، فلو قال: (السلام عليّ) لرفعت هذه الحيثية التي يسلم عليه لأجلها.

وقال: "السلام عليك أيها النبي" بكاف الخطاب التي تكون للحاضر الموجود، دون السلام على النبي؛ وكأنه جرد من نفسه شخصًا، وخاطبه بذلك، وعلمهم أن يخاطبوه بذلك على كل حال، وممن كان القريب والبعيد، والحاضر والغائب، والمعاصر واللاحق، وسر التعبير أن الخطاب يجعل ذهنك وشعورك وقلبك وروحك وإحساسك يتصور شخص رسول الله ﷺ وكأنك تخاطبه، وتجدد العهد بإيمانك، وتقوي الصلة برسول الله ﷺ، فهو إن لم يكن حاضرًا في مجلسك، فهو حاضر في قلبك وإيمانك، حيثما كنت في الدنيا كلها، فأنت تخاطب من آمنت به[٢].

فإذا قيل: "السلام عليك أيها النبي" خطاب بشر، فكيف جاز ذلك، مع كونه منهيًّا عنه، تبطل به الصلاة، فالصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس؟ ردَّ بأن ذلك من خصوصياته ﷺ[٣].

وعدل عن الغيبة إلى الخطاب، فقال: "السلام عليك أيها النبي"، ولم يقل: السلام على النبي، مع أن السياق يقتضيه؛ لتكون الجمل الثلاثة متناسقة في التعبير بالغيبة: "التحيات لله...السلام على النبي...السلام على عباد الله الصالحين" فينتقل من تحية الله ـ تعالى ـ إلى تحية النبي ﷺ، إلى تحية النفس،

---

١)) ينظر: شرح بلوغ المرام لعطية سالم، ٦٦/ ٧.

٢)) ينظر: السابق، الصفحة نفسها.

٣)) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٣١٤/٢.

إلى تحية عباد الله الصالحين، فما سر هذا العدول عن الغيبة إلى الخطاب في السلام على النبي ﷺ؟

قيل: خوطب ﷺ كأنه إشارة إلى أنه ـ تعالى ـ يكشف له عن المصلين من أمته حتى يكون كالحاضر معهم؛ ليشهد لهم بأفضل أعمالهم، وليكون تذكر حضوره سببًا لمزيد الخشوع والخضوع[1].

وقيل: بأننا نتبع لفظ رسول الله ﷺ الذي علمه الصحابة، أو أنهم لما قرت أعينهم بمناجاة الله بقولهم: "التحيات لله"، نبهوا أن ذلك بواسطته ﷺ وببركة متابعته، فالتفتوا إليه؛ فإذا هو حاضر، فأقبلوا عليه قائلين (السلام عليك أيها النبي)، أو أنه قد ورد ما يقتضي المغايرة بين زمانه ﷺ فيقال بلفظ الخطاب، وما بعده يقال بلفظ الغيبة، وأورد لذلك حديث ابْنِ مَسْعُودٍ: "كُنَّا نَقُولُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ الله ﷺ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، فَلَمَّا قُبِضَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ"[2]؛ أي بحذف الخطاب.

فقوله: بأننا نتبع لفظه ﷺ لا يعد إجابة عن سر عدول رسول الله ﷺ بالخطاب، وهو مناط السؤال، وليس مناطه لماذا نقول ذلك، حتى تكون هذه إجابته؟

وقوله: بأنه سبب المناجاة لله، فلذا عظموه بالخطاب، فإذا كان هو سبب المناجاة، فعظموه بالخطاب، فلماذا لم يعظموا من يناجونه بالخطاب، ويشرفوه بالحضور؟ أو كما قال ابن القيم: ما الحكمة في ورود الثناء على الله ـ عز

---

[1]) ينظر: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، ١٩٧/١.

[2]) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٣١٤/٢.

وجلَّ . في التشهد بلفظ الغيبة مع كونه . سبحانه . هو المخاطب الذي يناجيه العبد، والسلام على النبي بلفظ الخطاب مع كونه غائبًا؟

ويجيب: بأن الثناء على الله . تعالى . عامة يجيء مضافًا إلى أسمائه الحسنى الظاهرة دون الضمير، إلا أن يتقدم ذكر الاسم الظاهر، فيجيء بعده المضمر، وهذا نحو قول المصلي: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾، وقوله في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى، فتعليق الثناء بأسماء الله الحسنى لما تضمنت معانيها من صفات الكمال، ونعوت الجلال، فأتى بالاسم الظاهر الدال على المعنى الذي يثني به، ولأجله عليه . تعالى . ولفظ الضمير لا إشعار له بذلك؛ فإذا كان لا بد من الثناء عليه بخطاب المواجهة، أتى بالاسم الظاهر مقرونًا بميم الجمع الدالة على جميع الأسماء والصفات، فيقول: اللهم[١].

وقوله: بأنه مغايرة للخطاب بين وجوده وبعده، واستشهاده بحديث ابن مسعود، رُدَّ بأن: "رِوَايَةُ أَبِي عِوَانَةَ، وَرِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ الْأَصَحُّ مِنْهَا بَيَّنَتْ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، بَلْ مِنْ فَهْمِ الرَّاوِي عَنْهُ، وَلَفْظُهَا: فَلَمَّا قُبِضَ قُلْنَا: سَلَامٌ يَعْنِي عَلَى النَّبِيِّ، فَقَوْلُهُ قُلْنَا: سَلَامٌ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ اسْتَمْرَرْنَا بِهِ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ عَرْضَنَا عَنِ الْخِطَابِ، وَإِذَا احْتَمَلَ اللَّفْظُ لَمْ يَبْقَ فِيهِ دَلَالَةٌ، كَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ"[٢]، وقوله بالمغايرة بين حياته ومماته لا يزيل الإشكال؛ لأنه في حياته لم يكن يسمعهم وهم في صلاتهم، وكان منهم منه هو غائب عنه في بلد آخر، فهل كان يقول بلفظ الغائب؟

---

١)) ينظر: بدائع الفوائد، ٤١٩/٢.

٢)) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/ ٧٣٤.

ثم نقول: ما سر التزامنا إلى الآن بصيغة الخطاب؟ ولماذا لم ينص ﷺ على ذلك، مع يقينه بعدم خلوده، فقد قال له ربنا . جلَّ شأنه .: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠]؟ لماذا علم أمته الحديث بهذه الصيغة، وشدد عليها في التعليم كما كان يعلمهم السورة من القرآن؟ لماذا لم يقل بعد موتي قولوا: السلام على النبي؟ فهو منقوض بهذا، ومنقوض بترديد أصحابه . رضوان الله عليهم . السلام من بعده بصيغة الخطاب دون نكير، حتى أن سيدنا عمر . رضي الله عنه . ردده على المنبر، ولم ينكر عليه أحد ذلك، وفيهم كبار الصحابة، والمقرر في الفروع إنما يقال: السلام عليك أيها النبي ولو بعد وفاته اتباعًا لأمره وتعليمه[١]، كما أنه لا فرق بين الحاضر معه في وقت حياته، وبين من كان غائبًا، فكذلك بعد وفاته[٢]؛ أي: إن من كان في زمانه في مكة والطائف كانوا يقولون: السلام عليك أيها النبي مع كونهم غائبين عنه لا يسمعهم وهو حي، ومنقوض بأنه لو كان السلام بالخطاب مقصورًا على حياته، وبعد وفاته يكون السلام للغائب؛ لكان هذا من باب السلام المباشر الذي يكون بين الناس عند اللقاء، وكان خطابه كخطاب البشر، والسلام عليه كالسلام على الشخص العادي، إذا حضر سلمنا، وإذا مات تعذر، ولا أحد يقول بذلك، فمن كان ورائه من صحابته يقول: السلام عليك أيها النبي لا يعتقد أنه يخاطب الرسول ﷺ مباشرة كمخاطبته وهو في السوق أو في المجلس[٣].

---

١)) ينظر: شرح الزرقاني على الموطأ، ١/٣٤٤.

٢)) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ١/١٣٣.

٣)) ينظر: الشرح المختصر على بلوغ المرام، ٣/ ١٥٤.

جاء في شرح حصن مسلم: "قال العلامة البسام . رحمه الله . لم يقصد بهذه الكاف . عليك . المخاطب الحاضر، وإنما قصد بها مجرد السلام، سواء كان حاضرًا أو غائبًا، بعيدًا أو قريبًا، حيًّا أو ميتًا؛ ولذا فإنها تقال سرًّا، وإنما اختص النبي ﷺ بهذا الخطاب لقوة استحضار المرء هذا السلام الذي كأن صاحبه حاضر، واختص بكاف الخطاب بالصلاة، وكل هذا من علو شأنه، ومن رفع ذكره واسمه"[١]؛ لتنزيل الغائب منزلة الحاضر؛ لقوة استحضار النبي ﷺ الذي يدعو له بالسلامة، كأنما يخاطبه، وإلا فلا خطاب[٢]، وقيل: تنزيلًا له منزلة المواجه؛ لقربه من القلب، حتى إنه لأدنى إلى العبد من روحه[٣].

واللفظ وإن كان بصيغة الخطاب فإنهم لم يقصدوا خطابه ﷺ كخطاب الناس بعضهم بعضًا؛ لأنهم لو قصدوه لبطلت الصلاة به؛ إذ الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين، ثم إنه لو كان خطابه ﷺ مقصودًا لجهروا به ليسمعوه، ولرد عليهم، كما كان عند ملاقاتهم، ويدل على ذلك استمراره بعد موته ﷺ، وفي البلاد النائية التي لا يمكن قصد الخطاب منها[٤].

والمولى قد نهانا عن أن نجعل دعاء رسول الله ﷺ كدعائنا أنفسنا، فقال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ [النور: ٦٣]،

---

١)) شرح حصن مسلم، ١/١٠١.

٢)) ينظر: جلسات رمضانية للعثيمين، ١٨/٧.

٣)) ينظر: حاشية الروض المربع، ٢/٦٨.

٤)) ينظر: كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، ٧/٥٠، والشرح الممتع على زاد المستقنع، ٣/ ١٥٠.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ ﴾ [الحجرات: ٢].

والجواب: إنما عبر بلفظ الخطاب في حق رسول الله ﷺ ليجعل خطابه تعظيمًا وتشريفًا لقدر رسول الله ﷺ بجعل خطابه مغايرًا لخطاب البشر، والسلام عليه بهذه الصيغة فيه من تعظيم رسول الله ﷺ ما فيه؛ إذ جاء السلام عليه ﷺ في موطن تعبد لله، وهو الصلاة، وقُرن ذلك بتمجيد الله وتعظيمه، وقُدم على النفس، وعلى عموم عباد الله الصالحين من الأنبياء والملائكة والمؤمنين، وجاء خطابه مغايرًا لخطاب البشر بالتعبير بصيغة الخطاب في الصلاة، والإتيان برحمته وبركاته، ولم ترد في السلام على النفس، ولا على عباد الله الصالحين، وكل هذا يدل على علو شأنه ﷺ، ورفع ذكره.

وقيل: أتى بلفظ الخطاب للحاضر، تنزيلًا له بمنزلة المواجه، لقربه من القلب، وقوة استحضارك له حين السلام عليه، كأنه حاضر أمامك تخاطبه[1]، والإنسان يخاطب من يتصوره في نفسه، وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب، وأتى الإمام ابن القيم بحكمة بديعة، وهي أنه ﷺ لما كان أحب إلى المؤمن من نفسه التي بين جنبيه، وأولى به منها وأقرب، وكان ﷺ حاضرًا في الذهن، ومن كان بهذه الحال، فهو الحاضر حقًّا، وغيره، وإن كان حاضرًا للعيان، فهو غائب عن الجنان، كان خطابه خطاب المواجهة والحضور بالسلام عليه أولى من سلام الغيبة؛ تنزيلًا له منزلة المواجه المعاين؛ لقربه من القلب، وحلوله في جميع أجزائه، بحيث لا يبقى في القلب جزء إلا ومحبته

[1]) ينظر: منحة العلام شرح بلوغ المرام، ١/ ١٢٧.

وذكر فيه، ولا ينكر استيلاء المحبوب على قلب المحب، وغلبته عليه، حتى كأنه يراه[١].

والمعتمد عند جمهور الصحابة، ومن بعدهم من أهل العلم، اتباع لفظ الحديث الوارد عن النبي ﷺ في صيغ التشهد الثابتة عنه بلفظ الخطاب؛ فالتحيات ذكر مخصوص نتعبد به، نلتزم فيه بما ورد، والعدول عن الخطاب ليس بلازم ولا متعين، وإنما كان اجتهادًا من بعض صحابة رسول الله ﷺ فلا يترك ما علمه النبي ﷺ وأجمع عليه أصحابه إلى ما قاله بعض أصحابه اجتهادًا[٢]، وأنكر الشيخ الألباني أن يكون قد غير ابن مسعود . رضي الله عنه . نص رسول الله ﷺ فلا يعقل أن يتجرأ أحد من صحابة رسول الله ﷺ على أن يغير حرفًا واحدًا من الأوراد التوقيفية التي تلقاه عن النبي ﷺ، وهو يعلم أن تعليم رسول الله ﷺ وحي، ولا يمكن لهم أن يزيدوا على الوحي، ثم عاد ليقول: إن ابن مسعود . رضي الله عنه . قال بعد أن ذكر نص التشهد: (وهو بين ظهرانينا؛ أي علمه أن يقول هذا وهو بين ظهرانيهم، وهو حي، قال: فلما مات، قال: السلام على النبي، هذا ما فهمه أثناء التلقين، وقوله: فقلنا؛ أي نحن معشر الصحابة بصيغة الجمع؛ أي ما نقوله هو اتفاق وإجماع من الصحابة، ثم يتمم كلامه بأن قولهم: السلام على النبي توقيف من النبي للصحابة، وليس تغييرًا منهم باجتهادهم، ويؤيده ما ورد عن السيدة عائشة . رضي الله عنها . بالسلام على النبي، وجاء عن عمر بن الخطاب . رضي الله

---

١)) ينظر: بدائع الفوائد، ٤١٨/٢.

٢)) ينظر: شرح سنن أبي داود للعباد، ١٦/١٢٢.

عنه . في موطأ مالك[1]، ثم كيف لابن مسعود . رضي الله عنه . الذي كان يأخذ عليهم الألف والواو . أن يغير في صيغة التشهد؟!

وقيل: تخاطبه كأنه حاضر عندك، وذلك لقوة الإرادة والتعيين كأنه أمامك[2]، فالخطاب من باب استحضار شخص المخاطب لا من باب دعائه، يؤيده قوله ﷺ: "فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد".

وقوله: "أيها النبي" منادى حذف منه ياء النداء، والأصل: "يا أيها النبي"، وسر الحذف هو البدء بالكناية لرسول الله ﷺ، عبر بـ "أي" أي أخص النبي ﷺ وأدخل عليها ها التنبيه "أيها"، دون "عليك يا نبي الله"؛ تعظيمًا له ﷺ، وعرف النبي بأل العهد دون الإضافة؛ للإشارة إلى معهود في الذهن لا ينصرف المعنى لغيره، أما قولنا: يا نبي الله، فلا تعطي ما يعطيه التعبير بالنبي من حضوره في القلب، وتعظيمه في الفؤاد.

وجاء بالنداء والخطاب؛ لاستحضار المنادى في ذهنه وقلبه، سواء كان حاضرًا في الخارج أو لا[3]، فيخاطبه كأنه شاهد في القلب، مثل قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

وقيل: يحتمل أن (أل) في (النبي) للجنس؛ فيكون سلامًا على عموم النبيين، ويحتمل أنه عهدي يراد به النبي محمد ﷺ، ومن سلم عليه فقد سلم على كل نبي، كما أن من آمن به فقد آمن بكل نبي[4]، والأرجح أن (أل)

---

[1]) ينظر: ألف فتوى للشيخ الألباني٤/٢٠.

[2]) ينظر: الشرح المختصر على بلوغ المرام، ٣/ ١٥٣.

[3]) ينظر: فيض الباري، ٢/٣٩٧.

[4]) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير، ٧/ ٥٥٤.

للعهد الذي لا يحتمل غير رسول الله ﷺ، أفرد به لمزيد فضله وشرفه، والسلام على جميع النبيين والمرسلين مندرج في السلام على عباد الله الصالحين.

وعبر بالنبي دون الرسول مع أن الرسول أعم وأشمل؛ إذ إن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسول؛ فالنبي أوحي إليه، ولم يؤمر بالتبليغ، أما الرسول فقد أوحي إليه، وأمر بالتبليغ، فإثبات الرسالة يستلزم إثبات وصف النبوة، لا العكس.

قيل: للإشارة إلى أنه إذا استحق السلام عليه، وهو متصف بصفة النبوة، فبالأولى مع اتصافه بصفة الرسالة، والنبوة جزء من مسماها[١].

وقيل: ليجمع له الوصفين؛ مبالغة، فوصف بالنبوة هنا، ووصف بالرسالة عند قولنا في نهاية التشهد: "وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله" للمبالغة؛ فإنه وإن كان الرسول يستلزم النبي، لكن الجمع بينهما أبلغ، وسر تقديم النبي على الرسول وجودهما كذلك في الخارج، فقد نزل عليه قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق: ١]، قبل قوله: ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾ [المدثر: ٢][٢].

ولم أجد في بيان سر اختصاص هذا الموضع بالنبوة وذاك بالرسالة، ما تستريح إليه النفس، إلى أن هداني الله إلى سر التعبير بالنبوة في هذا المقام، استلهامًا من جار الله الزمخشري عند قول الله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، قال: "ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص

---

١)) ينظر: التحبير لإيضاح معاني التيسير،٣٨٨/٥.

٢)) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٣١٤/٢، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١١٢/٦.

تكرمة له لأجل النبوّة"[1]، فسر التعبير بالنبي في (السلام عليك أيها النبي) هو الإيذان بأن اختصاصه بالسلام في هذا الموطن الشريف، واقتران السلام عليه بتمجيد الله، واختصاصه بالخطاب، وتقديمه على عباد الله الصالحين، تكريم له لأجل نبوته، وتقرير لاستحقاقه الكرامة والتقديم لأجلها ابتداء، لا لمزيد حقه علينا بتبليغه لنا شرع الله، فكرامته ثابتة وواجبة له بنبوته لا بمزيد فضله علينا، ولو كان تقديمه لمزيد حقه وفضله علينا؛ لقال: السلام عليك أيها الرسول، فكونه رسولًا يعني أنه قد بلغنا، وله مزيد حق علينا، فاستوجب الشرف من أجل ذلك، فالتعبير بالنبي هنا غاية التشريف والتكريم له ﷺ أما في الشهادة فهي إقرار بصحة رسالته، فاستلزمت وصفه بالرسالة.

ولذا لما أنكر المولى عليهم أذيته ﷺ لم ينكر عليهم ذلك لكونه رسولًا بلغهم شرع الله، وإنما أنكر ذلك لكونه نبيًا، وذلك يقتضي تكريمه، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ﴾ [التوبة: ٦١]، ثم عبر بالرسول حين توعد من يؤذيه ﷺ بأن له عذابًا أليمًا، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة: ٦١]؛ لكونه أعم، فلو قال النبي لكان العذاب لمن أذى شخصه، أما قوله الرسول فيشمل من أذاه في نفسه، أو في شريعته، وفي مقام تقديمه على النفس، قال يقدم؛ لأنه نبي، قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب: ٦]، وعاب على المنافقين كونهم يتخلون عن نبي الله: ﴿وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾ [الأحزاب:١٣].

---

[1]) الكشاف، ٣/٥٥٠.

والأعلى من ذلك قول المولى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فيعلن تمام الرضا عنه، إنه لا يثني عليه لمقدار تبليغه رسالته ونشرها في العالمين، وإنما هو مكرم من قبل الله لنبوته، لا بما قدم من جهد في سبيل رسالته.

وسر التعبير بالنبي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، هو بيان أن احترام لنا ﷺ وتقديرنا إياه ﷺ إنما يكون ذلك ابتداء لأجل نبوته، وعبر بالرسول في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]؛ وسره أنها تنهى عن تقديم أمر على ما شرعه الله ـ جلَّ شأنه ـ وشرعه رسوله ﷺ والشريعة أتت إلينا عن طريق الرسول.

وفي مقام الحديث عن خاصة شأنه ﷺ وكل ما يتعلق به دون أمته، وشريعته يناديه بالنبي، واقرأ في سورة الأحزاب والتحريم تجد التعبير فيها بلفظ النبي؛ وسياقهما حديث عنه ﷺ وعن أسرته.

أما حينما يتعلق الأمر بالرسالة والتبليغ، ووجوب اتباعه ﷺ وطاعته، أو الوعيد على مخالفة أمره يأتي التعبير بالرسول، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقوله: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" جمع له ثلاثة أمور لا يتم النعيم إلا بها، وهي السلامة من الشرور والأذى، ومن كل نقص، بقوله: السلام، وإفاضة الخير عليه، بقوله: "ورحمة الله"، وكثرة الخير، ودوامه، وثبوته، بقوله: "وبركاته"، أو كما قيل: "هذا دعاء للنبي ﷺ بحصول المطلوب

وهي الرحمة، بعد الدعاء له بالسلامة من المرهوب"[1]، وقيل: هي ثلاثة بمقابلة الثلاثة التي أثنى بها النبي ﷺ على ربه[2].

و (الرحمة) هي إحسان الله، وإنعامه، وفضله الذي يتفضل به على عباده، ولا شيء أوسع منها[3]، وقيل: صفة لله. تعالى. تليق بجلاله يرحم بها عباده، وينعم عليهم[4]، فآثارها الإنعام والإحسان، و (البركة) هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء[5]، فالبركة هي الزيادة من كل خير ونماؤه، واستمرار الخير، وعطف البركة على الرحمة اقتباس من القرآن الكريم، فقد جاء في قول الملائكة لإبراهيم . عليه السلام .: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود: ٧٣].

والبركة التي تصيب النبي ﷺ بهذا الدعاء البركة في عمره وعمله ودعوته وذريته وكل شؤونه، والبركة له بعد مماته بانتشار هديه، وكثرة أتباعه، وصلاح أعمالهم، فيحصل ﷺ على مثل أجورهم، فعن أبي هريرة . رضي الله عنه . أن رسول الله ﷺ، قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من

---

[1]) منحة العلام شرح بلوغ المرام، ١/ ١٢٧.

[2]) ينظر: البحر الرائق، ٣٤٣/١.

[3]) ينظر: المفردات، ص١٩١.

[4]) ينظر: شرح حصن مسلم، ١٠١/١.

[5]) ينظر: المفردات، ص٤٤.

الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»[١]، فلرسول الله ﷺ مثل أجر عملك.

(ورحمة الله وبركاته) معطوف على السلام عليك أيها النبي، إما أن يكون من عطف المفرد على المفرد، أو من عطف الجملة على الجملة، والخبر محذوف تقديره: ورحمة الله وبركاته عليك، وهو الأرجح بلاغة؛ لتحمل كل جملة حكمًا مستقلًّا، وغاير في تعريف الأمور الثلاثة؛ حيث عرف السلام بـ (أل)، وعرف الرحمة بإضافتها إلى اسم الجلالة (الله) الظاهر، والبركة بإضافتها إلى ضمير ذي الجلالة.

فأل في السلام تفيد جنس السلام الكائن في الدنيا من الله . تعالى . ومن غيره، أما الرحمة فأضافها إلى الله . عز وجلَّ .؛ لأنها المقصودة بذاتها، وهي أسع من الدنيا وما فيها، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ [فاطر: ٢].

والبركة لا تكون إلا منه؛ إذ إن معناها هو ثبوت الخير الإلهي في الشي فيكثر، ويزيد، وينمو، وينتفع به الإنسان، ويدوم له، فهي لا تكون إلا من الله . جلَّ جلاله .، فهو مالكها ومانحها، فأضافها إلى ضمير يعود على الله . تعالى . في قوله: "ورحمة الله"، ولا مقتضى للعدول عن التعبير بالضمير، فيقول: ورحمة الله وبركات الله، ولا مزيد على هذه الثلاثة (السلام، الرحمة، البركة)؛ لاستيعابها كل مطالب العبد، السلامة من الشر، وجلب الخير، وكثرته، وثبوته، ولا مطلب للإنسان فوق هذا.

---

[١]) صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم الحديث: ٢٦٧٤، ٤/٢٠٦٠.

وجاء نظمها في الترتيب على هذا النحو "السلام، الرحمة، البركة" لترتبها كذلك في حاجات العبد ودعائه، فالأهم عنده دفع المضار، ثم جلب الخير، ثم دوامه واستقراره، ولا ترتيب لها على الإطلاق إلا على هذا النحو، وبتمام ثلاثتها تمام النعيم.

ويفهم من الترتيب الترقي، والترقي هنا يجعل البركة قمة النعم ورأسها، ودليلنا أن العبد يدعو بالنعمة؛ زوج، أو ولد، أو مال، أو جاه؛ فإذا تحصلت له النعمة التي كان يجأر إلى ربه بها، يضرع إلى ربه بالبركة فيها.

والرحمة إذا أفردت في الدعاء كان المعنى الرحمة العامة التي تحل في كل الأمور، وإذا اقترنت بأمر في الدعاء، كان المراد بها ما يحصل به المطلوب، فالرحمة هنا يتحصل بها السلام[1].

وجمع البركة، فقال: "وبركاته"؛ لأن السلام والرحمة مصدران؛ وقد أتى ابن القيم بسر الجمع بما لا مزيد عليه؛ إذ يقول: "فجوابه: أن السلام إما مصدر محض فهو شيء واحد، فلا معنى لجمعه، وإما اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ فيستحيل أيضا جمعه، فعلى التقديرين لا سبيل إلى جمعه، وأما الرحمة فمصدر أيضًا بمعنى العطف والحنان فلا تجمع أيضًا، والتاء فيها بمنزلتها في الخلة والمحبة والرقة ليست للتحديد، بمنزلتها في ضربة وتمرة، فكما لا يقال: رقات، ولا خلات، ولا رأفات، لا يقال رحمات، وهنا دخول الجمع يشعر بالتحديد والتقييد بعدد، وإفراده يشعر بالمسمى مطلقًا من غير تحديد، فالإفراد هنا أكمل وأكثر معنى من الجمع، وهذا بديع جدًّا أن يكون مدلول المفرد أكثر من مدلول الجمع، ولهذا كان قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ [الأنعام:

---

[1]) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، ١٥٢/٣.

١٤٩]، أعم وأتم معنى من أن يقال فلله الحجج البوالغ، وكان قوله: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، أتم معنى من أن يقال: وإن تعدوا نعم الله لا تحصوها، وقوله: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ ﴾ [البقرة: ٢٠١] أتم معنى من أن يقال حسنات، وكذا قوله: ﴿ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ ﴾ [آل عمران: ١٧١]، ونظائره كثيرة جدًّا، وسنذكر سر هذا فيما بعد إن شاء الله . تعالى . وأما البركة فإنه لما كان مسماها كثرة الخير واستمراره شيئًا بعد شيء كلما انقضى منه فرد خلفه فرد آخر فهو خير مستمر يتعاقب الإفراد على الدوام شيئًا بعد شيء كان لفظ الجمع أولى بها؛ لدلالته على المعنى المقصود بها، ولهذا جاءت في القرآن كذلك في قوله تعالى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ ﴾ [هود: ٧٣]، فأفرد الرحمة وجمع البركة، وكذلك في السلام في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته"[1]، فجاءت البركة جمعًا تبعًا لتعدد ما تقع فيه وتحل، البركة في العلم، والزوج، والولد، والعمر، وغير ذلك.

ولسائل أن يسأل: لماذا أحل السلام عليه، وما أحل بديلًا عنها الصلاة عليه وهي المأمور بها، والسلام لها تبع؟ والجواب: أنه لم يذكر الصلاة هنا على النبي مع أن التسليم مقرون بها في الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]؛ لأن السياق كله، والمعنى الأم هو السلام؛ إذ إن الموطن هو السلام من الصلاة، وصحابة رسول الله ﷺ كانوا يسلمون على الله . جلَّ شأنه . وعلى خلق الله، والمقام لتمجيد الله . جلَّ وعلا . لا الثناء على رسول

[1]) بدائع الفوائد، ٢/٤٠٨.

الله ﷺ ومن تمجيد الله طلب الخير لنبيه وللمؤمنين منه، وإظهار التذلل والخشوع بين يديه، وسؤاله له السلامة من الشرور والآفات.

وأفرد النبي ﷺ بالسلام مع دخوله في عموم عباد الله الصالحين في الجملة التي تليها؛ تعظيمًا له، وإيذانًا بتغاير مقامه، وأنه فائق عليهم بأوصاف مختصة به، ووصف مرة بـ (النبي) على الانفراد، ومرة بـ (عباد الله الصالحين) وهو منهم، بل إمامهم وسيدهم، ليكون تغير الوصف بمنزلة تغير الذات، ثم حكم له بالسلام استقلالًا، ثم أعيد مع عباد الله الصالحين، فنكون قد سلمنا عليه مرتين.

ثم في قوله: "النبي" جرد نفسه عن ذاته كأنه غيره، وأوجب له التسليم لنبوته، فوجب علينا التسليم عليه لهذا، وهذا أبلغ في إثبات السلام عليه، وتقديمه على النفس.

ثم انتقل إلى جزئية أخرى، فقال: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"، وهنا اتفاق وافتراق مع الجملة قبلها من جهتين في كلاهما، فأما وجها الاتفاق، فأوجب الدعاء لهما، ودعا لهما بشيء واحد، ولفظ واحد وهو السلام، ووجه الارتباط، والمناسبة بين الطرفين هي:

أولهما: أن النبي ﷺ وعباد الله الصالحين كلاهما مدعو له بالسلام؛ لافتقاره إليها.

والأخرى: أن النبي ﷺ وعباد الله الصالحين مدعو لهما في هذا المحل الشريف لا لذواتهم، وإنما لدرجاتهم عند ربهم، فالنبي ﷺ مدعو له لشرف نبوته، وعباد الله الصالحين لعبوديتهم، وقيامهم بأمر ربهم.

فبان من ذلك وجه الارتباط القوي بين النبي ﷺ وعباد الله الصالحين، والذي كان سببًا في الدعاء لهما بشيء واحد وهو السلامة.

وافترقا بالنص على السلامين، والفصل بينهما، فلم يعطف اللاحق على السابق، مما أوجب تمايزًا بينهما، فكلاهما خلاف الآخر، ولو كانا بمعنى واحدًا؛ لكان نظمهما: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وعلى عباد الله الصالحين" أو "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، والسلام على عباد الله الصالحين، ووجها الافتراق: الأول: السلام الأول مقدم على الثاني، مما يؤذن بعلو درجته درجة المتقدم على التالي؛ وهي درجة فضل رسول الله ﷺ على جميع الخلق. الآخر: السلام الأول يشتمل على معاني زائدة على الثاني، وهي: "رحمة الله وبركاته".

وجاءت هذه الجملة مفصولة عن سابقتها؛ لفقدان المناسبة التي تصحح العطف، وهذه الجملة أحلها النبي محل قولهم: "السلام على جبريل، وميكائيل، السلام على فلان وفلان"، فكأنه قد أقرهم على سلامهم، لكنه أتى بما يشمل كل عباد الله الصالحين، فجميع الخلق يطلب السلام من الله، فالسلام علينا نحن معشر الحاضرين المصلين، إمامًا، ومأمومين، وملائكة، ففيه إشارة إلى أن المصلين من عباد الله الصالحين، وفيه إشارة إلى عظم صلاة الجماعة؛ إذ يقول جميع المصلين: "السلام علينا" وأنت منهم، فالجميع يدعو لك بالسلامة، ورجح بعض العلماء أن الضمير في (علينا) يعود على جميع الأمة المحمدية، وهو الأظهر، فالمصلي يدعو لنفسه، ولإخوانه من هذه الأمة[١]، فبعد الدعاء للنبي علمنا أن ندعو للأمة جمعاء، وأمر الأمة يعني رسول الله

[١]) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، ١٥٤/٣، ووبل الغمامة شرح عمدة الفقه، ١١٧/٥.

ﷺ كثيرًا؛ إذ قدمه على خاصة أمره يوم القيامة، يقول: يا رب أمتي أمتي، والصواب: أن الضمير في (علينا) عائد على المصلي نفسه، ومعشر المصلين معه من الإمام والمأمومين والملائكة؛ إظهار لشرف المصلين، وشرف الصلاة في جماعة، والزيادة في الهداية، فكلما زادت هداية الإنسان، وازداد صلاحه وخيره، وزادت طاعته، كان عليه سلام من المصلين، فمن صلى نفلًا أو فرضًا أصابه هذا التسليم من عباد الله المصلين، وهذا فضل عظيم، وخير كثير[1]، والأظهر أن الضمير للحاضرين معه في صلاة الجماعة، والملائكة في صلاة الفرد، ولا يدخل في الضمير من لا يكون معه في صلاته؛ لأن الخطاب نصيب الحاضرين.

والسلام كما تقرر من قبل بأنه السلامة من الآفات، وأنه كان تحيتهم في الجاهلية، وكان عنوانًا للمسالمة، وكانوا يحيون بغيره، وهو الأكثر والأغلب، والسلام الأقل، فلما جاء الإسلام قصرهم عليه، ومنعهم مما سواه من تحايا الجاهلية[2].

و (أل) في السلام لها جميع التقديرات السابقة في (السلام عليك أيها النبي) من كونها للعهد التقديري؛ أي السلام الذي وجه إلى الأمم السابقة علينا وعلى عباد الله الصالحين، أو للجنس وهو الأرجح لعمومه وشموله؛ أي جنس السلام وحقيقته الذي يعرفه الجميع، ممن كان، وعلى من كان هو علينا وعلى إخواننا.

وغاير الدعاء للنفس ولعباد الله الصالحين الدعاء لرسول الله ﷺ فخلا من الدعاء بالرحمة والبركة، واقتصر على السلام.

---

[1]) ينظر: شرح زاد المستقنع، للشنقيطي، ٢/٤٢.

[2]) ينظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ١/٢٥٤.

والقرآن الكريم قد نص على استحقاق الصالحين الدخول في رحمة الله . تعالى . قال تعالى عن لوط . عليه السلام .: ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾ [الأنبياء: ٧٥]، وقال عن إسماعيل وإدريس وذا الكفل . عليهم السلام .: ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦﴾ [الأنبياء: ٨٦]، كما نص على استحقاق من اتبع الهدى السلام، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾ [طه: ٤٧].

ولكنهم لما ذكروا في صحبة رسول الله ﷺ كان سلامهم مغايرًا لسلامه؛ رفعًا لشأنه، وبيانًا لعظيم حقه، فحقه ﷺ على العبد أعظم من حق نفسه عليه، ومن حق عباد الله عليه، فكان ما يتوسل به العبد إلى ربه لنبيه ﷺ أعظم مما يتوسل به لنفسه، أو لغيره من عباد الله الصالحين، وقد غايرت السيدة خديجة . رضي الله عنها . بين سلامها على سيدنا جبريل . عليه السلام . وسلامها على رسول الله ﷺ، فَقَالَتْ: «إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلَامُ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ»[١]، فغايرت بين ما يليق بالله، وما يليق بغيره، فقالت: "وعلى جبريل السلام"[٢]، ثم غايرت بين ما لجبريل . عليه السلام . وما لرسول الله ﷺ فقالت: "وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته".

ثم أعطى إخوانه من الأنبياء والملائكة وصالحي المؤمنين من الإنس والجن نصيبًا من التكريم، فقال ﷺ: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"، قدم الجار والمجرور "علينا" على الجار والمجرور "وعلى عبادة الله الصالحين" لبيان هدي نبوي وهو استحباب أن يدعو الإنسان لنفسه أولًا، وأن يشتغل

---

١)) سبق تخريجه في ص ٥٦.

٢)) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ١٣٩/٧.

بصلاح نفسه قبل اشتغاله بصلاح أحوال الآخرين، وفي سنن الترمذي من حديث أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ، «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا، فَدَعَا لَهُ، بَدَأَ بِنَفْسِهِ»[1]، وهو هدي قرآني، فقد دعا نوح . عليه السلام . لنفسه أولًا، قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [نوح: ٢٨]، وإبراهيم . عليه السلام . قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم: ٤١].

وقوله: "السلام علينا" دون السلام عليّ، إغراء للعبد بروح الجماعة، والانضمام إليها، حتى جعل العبادة لا تجري على لسانه كفرد منفصل عن إخوانه، بل كمجموع متسق معهم، فجعله في الفاتحة يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾، وجعل الدعاء يجري على لسان المصلي مجموعًا مع إخوانه: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾، وفي التشهد: "السلام علينا"، وأمر . سبحانه وتعالى . نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾[محمد: ١٩].

أو وضع التشهد وضعًا مناسبًا للجماعة، يقول السندي: "علينا لعل المراد به جماعة المصلين منه، فوضع التشهد على الوجه المناسب للصلاة مع الجماعة التي هي الأصل في الفرض الذي هو أصل في الصلوات"[2].

---

[1]) سنن الترمذي، أبواب: الدعوات، بَاب: مَا جَاءَ أَنَّ الدَّاعِيَ يَبْدَأُ بِنَفْسِهِ، رقم الحديث: ٣٣٨٥، ٤٦٣/٥.

[2]) حاشية السندي على سنن ابن ماجه، ٢٩١/١.

وعدل عن السلام لنا إلى علينا؛ لأنها دعاء وضراعة بين يدي الله، أما السلام لنا فهو تقرير بحصول السلام واستقراره لهم؛ وهذا لا يناسب تمجيد المولى الذي هو المعنى الأم في صيغة التشهد.

ولا يجوز إسقاط (علينا) من التشهد اعتمادًا على السلام على عموم الصالحين؛ لاستحباب دعاء الإنسان لنفسه على جهة الانفراد، وتخصيصها بذلك، واحتمال ألا يكون الداعي قد ارتقى إلى مراتب الصالحين

ومنه يفهم أن الإنسان يخص نفسه بالدعاء على أي حالة كانت عليها نفسه، ويدعو لغيره من الصالحين لصلاحهم.

وقوله: "وعلى عباد الله الصالحين" جملة معطوفة على قوله: "السلام عليك أيها النبي...السلام علينا" من باب عطف العام على الخاص، فـ (السلام على النبي)، و(السلام علينا) والضمير في (علينا) يعود على المصلين، أو الأمة المحمدية، فإن عباد الله الصالحين يشملهم وغيرهم ممن مضى، وفي عطف العام على الخاص تشريف واهتمام بالخاص، كعطف الخاص على العام، وقيل: يؤخذ من تقديم الخاص على العام تفضيل رسول الله ﷺ على جميع الخلق، لتخصيصه بالسلام، ثم التعميم له ولغيره[١].

وهذه الجملة أحلها النبي محل قول الصحابة: "السلام على جبريل وميكائيل"، ليعلمهم بها أن دعاء المرء يكون عامًّا، لا يقتصر على دعاء الإنسان لنفسه، أو لأحد من المؤمنين بعينه، بل نبههم إلى وجوب أن يكون الدعاء شاملًا للصالحين عامة، قاله البيضاوي[٢]، كما علمهم بها وبالجملة

---

١)) ينظر: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام،٣/٤٣٠.

٢)) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٢/٣١٣.

قبلها أن النبي والصالحين من الأنبياء والمرسلين والملائكة يدعى لهم، ولا يدعون مع الله، فالله هو الذي يدعى، ويرجى، وغيره يدعى له، ولا يدعى، فالسلام دعاء لهم، فلا يعطفون على الله في صيغة، كما علمهم أن الصالحين لا يدعى لهم لذواتهم، وإنما لصلاحهم؛ فلذا ذكر أوصافهم، ولم يذكر أسماءهم.

عطف العباد الصالحين على الضمير العائد على ذوات المتكلمين؛ لبيان أن عباد الله الصالحين جزء منك، تدنيهم وتقربهم من نفسك كنفسك، لا تقدمهم عليها، لكنهم لا ينفصلون عنك، وأن المجتمع كله لحمة واحدة، وجزء واحد؛ ولذا لم يفصلهم بجملة مستقلة، فيقول: "السلام علينا، السلام على عباد الله الصالحين"، وكرر حرف الجار "على"؛ ليصح العطف على الضمير المجرور.

"عباد الله الصالحين" أضاف العباد إلى الله؛ للإشارة إلى أن هؤلاء هم المعنيون بدعوات المؤمنين، وهم المستحقون جزاء عبادتهم لله أن يذكروا، فإذا كان هؤلاء أضافت لهم عبوديتهم شرفًا مستحقًّا بأن يذكروا في الصلاة، وأن يخصوا بدعاء الأمة جميعًا لهم، فكيف بمعبودهم؟! إن تقديسه وتعظيمه لا تدرك منتهاه العقول.

والعبد الإنسان حرًّا كان أو رقيقًا، والجمع عباد وعبيد، وعباد الله هم الذين تعبدوا الله، واختاروا عبوديته طائعين راضين، فالعباد لله، والعبيد لله وغيره من المخلوقين.

والصلاح هو استقامة الشيء على حالة كماله، والفساد ضده، ولا يحصل الصلاح التام إلا في الآخرة، لما يعتري الأحوال العاجلة من شوائب الفساد

والخلل[١]، والصلاح هو سلوك طريق الهدى، وقيل: هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل، والصالح المستقيم الحال في نفسه، وقيل الصالح: القائم بما عليه من حقوق الله . تعالى . وحقوق العباد، فيؤدي إلى الله . عز وجلَّ . ما عليه، ويؤَدي إلى الناس حقوقهم، قاله الزجاج[٢]،وقال البيضاوي: هو الذي صرف عمره في طاعة الله، وماله في مرضاته، وهو ناظر للصالح الكامل[٣]، والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين، ومتمنى الأنبياء والمرسلين، وسبيل رجاء الصلاح من سيدنا يوسف . عليه الصلاة والسلام . والصالحون هم المشهورون بالصلاح الذي رسخت فيهم الصفة، [٤]، ولتحقق هذا المعنى، وهو القيام بحقوق الله . تعالى . وحقوق العباد في حق رسول الله ﷺ وصفه الأنبياء ليلة المعراج بالصالح، فقالوا جميعًا: مرحبًا بالنبي الصالح، قال الفقهاء: ولا ينبغي الجزم به في حق شخص معين من غير شهادة الشارع له به، وإنما يقال: هو صالح فيما أظن؛ خوفًا من الشهادة بما ليس فيه[٥]، وتتفاوت درجات الصلاح بقدر التفاوت في القيام بحقوق الله، وحقوق العباد، وسر هذا الوصف هو إضافة معنى آخر لتمجيد الله . عز وجلَّ . وتعظيمه، وهو أن العبد لا يستحق الذكر على ألسنة الخلق، والألفة منهم إلا بقيامه بحقوق الله . جلَّ وعلا . كاملة، وترقيه في باب العبودية درجات.

---

١)) ينظر: عمد القاري، شرح صحيح البخاري، ١١٢/٦.

٢)) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ٤٠٧/١.

٣)) ينظر: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، ١، ١٩٧.

٤)) ينظر: الكليات، ٨٨٦/١.

٥)) ينظر: البحر الرائق، ٣٤٣/١.

ولأن الصلاح أعلى مراتب العبد ادعى المنافقون الصلاح، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١]، والصلاح ضده الفساد، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة: ١٢]، وقيل: الصلاح يتعلق بظاهر العبد وباطنه، فالصالحون صلحت سرائرهم بإخلاص العبادة لله، وظواهرهم بمتابعة رسول الله ﷺ، وضدهم الفاسدون، فاسدوا السرائر بالشرك والنفاق، وفاسدوا الظاهر بالابتداع[١].

وقوله: "عباد الله" المقصود بهم الطائعون الصالحون؛ إذ إن عباد تستعمل في مقام الترفيع والتمجيد، وفي مقام الاختيار، أما عبيد فتستخدم في مقام الاضطرار، فلو عبر بعبيد لكنا بحاجة إلى وصف الصالحين منهم، فسماهم بأسمى مقاماتهم، وهي العبودية.

وقيل: "وعلى عباد الله، لما كان لفظ عباد الله شاملًا لكل عبد مؤمن وكافر؛ قيده بقوله: الصالحين"[٢]، وفيه نظر؛ إذ إن لفظ العباد مع الإضافة إلى الله لا يطلق على الكافر، وإنما ينصرف إلى الصالحين، قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]؛ فهل يشرب منه المؤمن والكافر، وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]؟، بل إنه يحكى عن الحليمي أن بعضهم أسقط لفظ الصالحين، ووجه ذلك: بأن لفظ العباد مع الإضافة لا ينصرف غالبًا إلا إلى الصالحين، فاستغنى بالإضافة عنه[٣]، ولكن الحليمي لم ينقب

---

١)) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، ١٥٥/٣.

٢)) التحبير لإيضاح معاني التيسير، ٣٨٩/٥.

٣)) ينظر: فتح العزيز شرح الوجيز، ٥١٢/٣.

عن سر التقييد بالصالحين ما دام الوصف بعباد مع الإضافة لله . جلَّ وعلا . مغنيًا عنه.

والتقييد بـ "الصالحين" فيه إشارة إلى أن الشرع لم يرد السلام على كل عباد الله، بل خص الصالحين منهم، وأرى أن تقييد عباد الله بـ (الصالحين) إشارة إلى أن العبد لا يسلم عليه، ولا يشرف بالحضور والدعاء له بين يدي الله في أعظم شعيرة إلا إذا ارتقى إلى مراتب الصالحين، إلا إذا استقام على عبوديته لله . تعالى . فصار من الصالحين، فالصلاح وصف للاستقامة على العبودية لله . جلَّ وعلا . والصلاح مرتبة عالية؛ إذ إنها مطلوب الأنبياء والمرسلين، قال . تعالى . حكاية عن يوسف . عليه السلام .: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: ١٠١]، وعن سليمان . عليه السلام .: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل: ١٩]، فمن فاز بها فاز بالنصيب الأوفى، ونال الحظ الأسنى، وبلغ المقام الأعلى.

والتقييد بالصالحين يخرج غيرهم، وخص الصالحين بذلك؛ لأنه موطن تشريف، وتعظيم، وثناء، فذكر الصفة حجة لاستحقاقهم للدعاء، وفيه إشارة إلى أن صلاح المرء عائد عليه، فإن كل من صلى يدعو له، ولم يرد في جميع الروايات إسقاط وصف (الصالحين)؛ لأن الشرع لم يرد السلام على كل العباد، بل خص الصالحين.

فإن قلت: ورد الاقتصار على عباد الله في مقام الحديث عن الجنة ونعيمها، وهي أعلى من السلام عليهم، وهي لا تكون إلا للصالحين. قلت: لاختلاف المقامات، فالمقام في الحديث عن الجنة ونعيمها مشوب برحمة الله، وهنا الحديث فيه استنهاض لهمم عباد الله حتى يرتقوا إلى مراتب الصالحين، وللفت

انتباههم إلى أن الجزاء مقيد بالصلاح، فعلى المسلم أن يسعى لإصلاح نفسه لينالـه دعاء المصلين، أما غير الصالح فقد حرم نفسه هذا الخير.

و (أل) في الصالحين للجنس؛ لإفادة الاستغراق والعموم، بدليل قول النبي ﷺ "فإذا قالها أصابت كل عبد صالح بين السماء والأرض، والعبد الإنسان حرًّا كان أو رقيقًا، والجمع عباد وعبيد، وجعل بعضهم العباد لله، والعبيد لله وغيره من المخلوقين.

وفي هذا الدعاء تعظيم للمدعو له، وبشارة للصالحين بأنهم استوجبوا دعاء المؤمنين في صلواتهم، واستنهاض لهمة المسلم للدخول في عداد الصالحين؛ فيؤدي حقوق الله، وحقوق عباده، حتى يستحق دعاء المؤمنين له بالسلام، ففي فتح الباري: "قال الترمذي الحكيم: من أراد أن يحظى بهذا السلام الذي يسلمه الخلق في الصلاة، فليكن عبدًا صالحًا، وإلا حرم هذا الفضل العظيم"[1].

و (عباد الله الصالحين) هم كل عبد صالح في السماء والأرض، كما قال النبي ﷺ: "فإذا قالها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض"، فالجملة من جوامع كلم رسول الله ﷺ. كما جاء في حديثه ﷺ أعطيت جوامع الكلم، وكما جاء في وصف التشهد بأنها جوامع الخير وفواتحه. جاء بها ليعلمهم لفظًا جامعًا شاملًا للنبيين والمرسلين والملائكة والصديقين، والمؤمنين من الإنس والجن ممن مضى وممن يأتي إلى يوم القيامة، من الحاضرين والغائبين، في السماء والأرض بغير مشقة؛ إذ كانوا يقولون: السلام على جبريل وميكائيل، فهي على وجازتها أغنت عن ما يتعذر عده وحصره من تعيين أسمائهم، فذكرهم فردًا فردًا مما لا يمكن استيعابه، وينبغي على المصلي

[1]) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣١٤.

. كما قال الفاكهاني . أن يستحضر جميع الأنبياء والملائكة والمؤمنين؛ ليتوافق لفظه مع قصده[١].

وقوله: (وعلى عباد الله الصالحين) يدخل فيهم رسول الله ﷺ دخولًا أوليًّا، فلماذا تقدم قوله: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) مع أن من خصائص التحيات وظواهرها الإيجاز؟ الجواب: أفرد رسول الله ﷺ بالذكر لعظيم شرفه، ومزيد حقه على الأمة.

ورتب الجمل على هذا النحو، السلام على رسول الله ﷺ، ثم على النفس، ثم على عباد الله الصالحين؛ فقدم رسول الله ﷺ على النفس؛ لشرف نبوته ﷺ، ثم النفس؛ لأن العناية والاهتمام بأمرها مقدم على العناية بغيرها، ثم أمرهم بتعميم السلام على الصالحين.

واستنبط الفقهاء من التحيات أن ترك الصلاة يضر بجميع المسلمين؛ لأن المصلي يقول في التشهد: "السلام عليك أيها النبي...السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"، فإذا تركها يكون مقصرًا بخدمة الله . تعالى . وفي حق رسوله ﷺ، وفي حق نفسه، وفي حق المسلمين كافة؛ ولذلك عظمت المعصية بتركها، قاله القفال[٢]، وعبر بعض الفقهاء بما هو أعظم من الضرر، وهو الظلم؛ إذ يقول: "فمن ترك صلاة واحدة، فقد ظلم النبي ﷺ وجميع عباد الله الصالحين بمنع ما وجب لهم من السلام عليهم"[٣]، وإذا كان ترك صلاة واحدة ظلمًا للنبي ﷺ، فكيف بمن تركها كلية؟! وإذا كان ترك صلاة واحدة ظلمًا للنبي ﷺ بمنع ما وجب له من السلام، فكيف بمن أهمل سنته كلية، أو انتقص من

---

١)) ينظر: السابق، ٢ ٣١٥.

٢)) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٣١٧/٢.

٣)) تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي، ٨٢/٢.

قدره، أو نادى بإغفال سنته؟! واستنبط القرطبي منها أن الدعاء يصل من الأحياء إلى الأموات[1].

ومن ترك الصلاة فقد أضر بنفسه وظلمها ظلمًا بينًا؛ إذ دخل بتركه لها في عداد المجرمين، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٣٨ – ٤٣]، واستوجب عذاب المجرمين الذي فصله القرآن الكريم في أكثر من موضع.

والعبد إذا قال في صلاته: "وعلى عباد الله الصالحين"، يكون دعاء بظهر الغيب، لمن مضى ومن يأتي إلى يوم القيامة، فتقول الملائكة: ولك بمثله؛ لحديث رسول الله ﷺ: عن أبي الدرداء . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل"[2]، فما مقدار ما يتحصل عليه العبد من خيرات وبركات من نطقه بهذه الجملة؟ إنه لا يمكن حصره، أو حتى تصور مقداره؛ لذا كانت من فواتح الخير، كما قال صحابة رسول الله ﷺ، والعبد لا يقولها مرة في عمره، بل مرات في يومه، فلو عقل، وتدبر ما يقول؛ لترتب له عليها خير كثير؛ فليحرص كل منا على قولها، ادعى عبد الواحد بن زيد إجماع العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته؛ أي لا يكتب له إلا ما عقل منها، فالمصلي يناجي ربه، ولا مناجاة مع الغفلة، قاله الغزالي في الإحياء، والنيسابوري في تفسيره[3].

---

[1]) ينظر: شرح ابن ماجه، لمغلطاي، ١٥٢٥/١.

[2]) صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، رقم الحديث: ٢٧٣٢، ٢٠٩٤/٤.

[3]) ينظر: إحياء علوم الدين، ١٦١/١، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، ١٠٨/٥.

لقد نهى الله . جلَّ جلاله . المسلم عن الوقوف بين يديه حال سكره، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، وعلل النهي بقوله: ﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾، وهناك من يقف بين يدي الله سكارى بالدنيا، لا يعلمون ما يقولون، وهذا ليس من رسالة الصلاة.

ويمكنني القول بأنه إذا كان الإسلام ونبيه علم المؤمن أن يقدم نفسه على عباد الله الصالحين، وفيهم الأنبياء والملائكة في أشرف المواطن، فبالأحرى أن يكون مقدمًا على الفاسدين والطالحين، فمن تضعضع لفاجر، أو قدم على نفسه فاسقًا، تكون إساءته لنفسه عظيمة، ومعصيته أعظم لمخالفته هديًا نبويًّا.

فإن قيل: إذا كان السلام دعاء بالسلامة كان هذا ظاهر المعنى بالنسبة له ﷺ حال حياته؛ فكيف ندعو بالسلامة والرحمة والبركة للنبي وقد مات، وبالسلامة لمن مضى من عباد الله الصالحين؟ والجواب: ليس الدعاء مقصورًا عليهم حال حياتهم، بل هناك السلامة من مخاوف الآخرة وأهوالها، وهناك السلامة في ذكرهم، وهناك السلامة لرسول الله ﷺ في سنته وهديه، والبركة في شريعته، وإلا كيف كنا نفسر قول الله . تعالى . وهو يأمرنا: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وقد مات، إلا إذا كان المعنى: فردوه إلى سنته[١].

١)) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، ١٩٤/٣، ١٩٥.

المطلب الثالث

دقائق الأسرار في صيغة الشهادتين

ثم ختم التحيات بالشهادتين: يشهدون لله بالألوهية ويفردونه بها، ويشهدون لنبينا محمد ﷺ بالعبودية والرسالة، وهاتان الشهادتان هما رأس الإيمان، ومنبع الخير، وعمود الإسلام، وأساس دعوته ﷺ ودعوة جميع الأنبياء، فكلهم يدعون إلى عبادة الله وحده، ونفي عبادة من سواه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قوله: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله"، كلمتان جامعتان جعلهما الله شهادة واحدة معناها: أعلم علم المشاهد، أو أقر بقلبي، ناطقًا بلساني شهادة جازمة بأنه لا معبود بحق في الوجود إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وهي ركن الإسلام الأول، تكرار النطق بها يجدد الإيمان، وصيغتها بما فيها من توكيد تعلم الإتقان، وأشهد معناها: أقر بإفراد الله بالألوهية.

واختار الفعل (أشهد)؛ أي أعلم وأتيقن تيقن من شاهد الحقيقة رأي العين، ووقف على ألوهية الله. جلَّ وعلا .؛ لأن الشهادة في اللغة معناها: الحضور[1]، دون أقر، أو أعترف، أو أأمن، أو أخبر، أو أعلم، أو ما شاكلها من الأفعال التي تحمل دلالة الاعتراف والإقرار بألوهية الله. تعالى . ورسالة رسول الله ﷺ؛ لأن الشهادة خبر قاطع لا يكون إلا عن علم يقيني؛ ولذا سمي ما يدرك بالحواس شاهدًا، فالشهادة تقتضي العلم بالمشهود علمًا تامًّا؛ إذ لا تصلح إلا

[1]) ينظر: الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب، ١/١١٤.

به[١]، وقال الراغب: "الشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر"[٢]، فقول العبد: "أشهد" يفيد علمه بألوهية الله ـ جلَّ وعلا ـ وبرسالته ﷺ مع تصديقه وعمله بموجب هذا العلم، ولهذا لم يقول أعلم؛ لأنه قد يعلم ولا يصدق أو لا يعمل، فمعنى أشهد علمًا بالقلب، ونطقًا باللسان، فهي شهادة قلبية قولية، بقلبك ولسانك.

قيل: "إنما أتى بلفظ الشهادة دون لفظ العلم واليقين؛ لأنه أبلغ في معنى العلم واليقين، وأظهر؛ حيث إنه شهود، وهو مستعمل في ظواهر الأشياء وبواطنها، بخلاف العلم واليقين، فإنهما يستعملان في البواطن غالبًا دون الظواهر؛ ولذا قال الفقهاء ـ رحمهم الله ـ لا تصح إذًا الشهادة عند الحاكم بلفظ دون الشهادة، فلو قال الشاهد: أعلم أو أوقن بكذا، لم يصح"[٣].

وآثر المضارع (أشهد) على الماضي (شهدت)، وكما في قول الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، الذي يفيد تحقق الوقوع؛ لإفادة أنها شهادة متجددة يحيا عليها العبد، ويستمر في قولها.

"أشهد أن لا إله إلا الله"؛ أي لا معبود بحق إلا الله، وما سواه من معبودات الكافرين فباطل، وهي كلمة التوحيد التي بها يحقق العبد توحيد الألوهية؛ ولأجل إبراز جلال ألوهيته ـ سبحانه ـ واستحقاقها لها عبر باسم الجلالة دون غيره من أسمائه الحسنى؛ للدلالة على كمال الوجود، وكمال ذاته وصفاته.

---

١)) ينظر: الفروق اللغوية، ٩٦/١، ولسان العرب، مادة: شهد، ٢٣٩/٣

٢)) المفردات، ٢٦٨/١.

٣)) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، ٦٠٠/٢.

والإله كما سبق هو المعبود بحق الذي تألهه القلوب، فمبقتضى هذه الشهادة يتخذ العبد الله . عز وجلَّ . إلهه بقلبه، وعقله، وروحه، قولًا، وعملًا، يرهبه، ويخافه، ويراقبه، ويرجوه، ويتوكل عليه، ويتذلل بين يديه، لا يفعل ذلك لسواه.

وأكد الشهادة بالنفي والاستثناء؛ للإيذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم، ووفور رغبتهم ونشاطهم، وجملة الشهادة بنيت على أسلوب القصر؛ لقصر الألوهية على الله ونفيها عن غيره من معبودات المشركين الباطلة، فهو قصر إفراد.

فأصل: (لا إله إلا الله) (الله إله)، ثم عدل بها إلى (الإله الله) لقصر الألوهية عليه . سبحانه . ثم صيغت الجملة في أسلوب النفي والاستثناء؛ للتصريح بإثبات الألوهية له . سبحانه . ونفيها عن غيره، فأثبتت الحكم للمذكور وهو (الله)، ونفته عن غيره، وهذا هو عماد القصر، وهو قصر إفراد بالنسبة إلى المشرك، وقلب بالنسبة إلى الجاحد، وتعيين بالنسبة إلى المتردد[1]، والسياق يرجح الإفراد.

وزاد ابن عمر . رضي الله عنه . "وحده لا شريك له"، وثبتت في رواية مسلم عن أبي موسى الأشعري . . رضي الله عنه . وفي حديث عائشة . رضي الله عنها . في الموطأ، ولم ترد في بقية الروايات، وهو الأبلغ؛ لئلا يُشرك مع الله . جلَّ جلاله . أحدٌ حتى ولو لفظًا في هذا المقام، فإسقاطهم من اللفظ ينبئ عن تعظيم الله . جلَّ وعلا . ولأن جمل التحيات كلها صيغت في صورة أخبار ابتدائية خالية من التوكيد، وقوله: "وحده لا شريك له" توكيد لجملة: "أشهد أن لا إله إلا الله"، فـ "وحده" حال مؤكدة للإثبات؛ أي قوله: "إلا الله"، ومعنى:

---

[1]) ينظر: الكليات، ١/ ١٥٥٤.

"وحده" أي منفردًا بالألوهية، وما لها من أوصاف الكمال، وقوله: "لا شريك له" حال مؤكدة للنفي؛ أي قوله: "لا إله"، ومعناها: لا شريك له في ألوهيته، ولا في أي معنى من المعاني التي يتضمنها لفظ الألوهية، أو تكون صفة من صفات كمال الإله، أو فعلًا من أفعاله.

وختم التشهد بهذه الجملة ناظر إلى الجملة الأولى وهي: (التحيات لله) وتقريرها: إذا كان هو الإله الحق، ولا معبود غيره، فيجب أن يكون التعظيم والتمجيد له، والصلوات والطيبات له، لا تنصرف إلى سواه.

والشهادة لله بالألوهية صادرة عن يقين بما يراه العبد من آيات في الكون تدل على الله، فقيل: "أشهد أن لا إله إلا الله"؛ أي أعلم علم المشاهدة، ومعنى هذا: أي لو شاهدت الله ـ تعالى ـ لما علمت أكثر من هذا؛ لأني أشهد أن لا إله إلا الله"[١].

و (لا إله إلا الله) نفت الألوهية عن غير الله ـ سبحانه ـ وأثبتتها لله، وهي كلمة التوحيد، والإخلاص والنجاة، والتقوى، والعليا، والطيبة، والقول الثابت، أولها نفي، وآخرها إثبات، دخل أولها على القلب فجلا، ثم تمكن آخرها فخلا، فنسخت ثم رسخت، وسلبت ثم أوجبت، ومحت ثم أثبتت، وتقضت ثم عقدت، وأفنت ثم أبقت، وهي أرجح وأولى من أشهد أن لا إله إلا الله بالنظر إلى غافل القلب عن معنى التعظيم اللائق بجلال الله ـ تعالى ـ واختير في التوحيد تلك الكلمة؛ ليكون النفي قصدًا، والإثبات إشارة؛ لأن الأصل في التوحيد هو التصديق في القلب عند المتكلمين[٢].

---

١)) المسالك في شرح موطأ الإمام مالك، ٣٩٢/٢.

٢)) ينظر: الكليات، ١٥٥٣/١.

والجملة وإن كان ابتداؤها نفيًا، فالمراد بها غاية الإثبات، ونهاية التحقيق، فقولك: لا أخ لي سواك، آكد من قولك: أنت أخي، ومن خواصها: أن حروفها كلها مهملة ليس فيها حرف معجم؛ إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله، وأن حروفها جميعها جوفية، ليس فيها شيء من الشفوية؛ إشارة إلى الإتيان بها من خالص الجوف وهو القلب، فالعبد يصمم عليها، ويضمر على مضمونها، ويعقد عليه جنانه، ولا يكتفي بمجرد التلفظ بها[1]، و (لا إله إلا الله) كلمة ليس فيها نقط؛ لأنها لا تقبل المزاحمة، ولا تضم فيها الشفتان؛ بل ينطلق بها الفم ليملأ بها الدنيا، ومن لطائف ما قيل فيها: أنها اثنا عشر حرفًا كشهور السنة، منها أربعة حرم، وهي الجلالة (الله)، حرف فرد، وثلاثة سرد، وهي أفضل كلماتها، كما أن الحرم أفضل السنة[2].

وقوله: "وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله" أي أقر باعتقاد جازم أن نبينا محمدًا ﷺ عبد كامل في العبودية، مؤدٍ حقها، لا يعبد، فلا نصيب له في الألوهية، بل هو بشر مثلنا، لكن ميزه الله . تعالى . بالوحي، فهو رسول لا يكذب، مرسل من عند الله . تعالى . برسالة يبلغها للعالمين، ونشهد له ﷺ بهذا الاعتقاد الجازم بالرسالة، ونقر بها؛ لأنه أقام الدليل على رسالته، وهي معجزته العظمى التي أتى بها وهي القرآن الكريم.

وهذه الشهادة تستوجب الإيمان برسالته ﷺ وتصديقه فيما جاء به، وتأدية حقه كاملًا، من النصرة، والتوقير، والاتباع، والامتثال التام.

ولم تختلف الطرق في هذه الجملة، هكذا وردت عند الجميع، روى عبد الرزاق عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: وَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُ التَّشَهُّدَ فَقَالَ رَجُلٌ:

---

[1]) ينظر: كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، ٥٧٩/٢.

[2]) ينظر: النجم الوهاج في شرح الوهاج، ١٩٢/١.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ وَعَبْدُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "قَدْ كُنْتُ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ أَكُونَ رَسُولًا، قُلْ: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ"[١].

والعطف يجعل هذه الجملة تنبت من أحضان الجملة الأولى، لا يجعلها جملة مستقلة بالحكم، وإنما هي تالية للجملة الأولى، ومكملة لها، فلا تكفي إحداهما دلالة على إيمان المرء، بل لا بد من الشهادتين، فقول العبد: "أشهد أن لا إله إلا الله" يوجب العبادة والطاعة، وقوله: "وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله" يتحقق به صحة العبادة والطاعة من حيث التأسي والاقتداء به ﷺ فيما جاء به.

فإن قيل: لم سقطت الواو في الآذان، ووجبت هنا، والشهادتان هما بعينهما. أجيب: بأن كلمات الآذان يطلب فيها السكوت على كل كلمة، وذلك يناسبه ترك العطف، ثم ألحقت بها الإقامة، هذا حكمته فيما يظهر، والعمدة الإتباع[٢].

وجاء الفعل: "أشهد" مع الجملة الثانية مع كونها معطوفة على الأولى، والفعل في الأولى يغني عنها؛ ليجعل الجملتين متكافأتين في الاعتقاد، فمن قل اعتقاده في أحدهما عن الأخرى لا يقبل إيمانه، ولا تصح عبادته وطاعته.

وعبر عن نبينا باسم ووصفين، فأتى بأشرف أسمائه (محمدًا)، وأشرف وصف للمخلوق (عبده)، وأرقى وصف مستلزم للنبوة (ورسوله)، و "محمدًا" الاسم العلم على نبينا ﷺ، ومحمد اسم من الأعلام الغالبة من الصفات؛ إذ يقال لكل كثير الخصال الجميلة محمد ومحمود، وسمي نبينا محمد ﷺ محمدًا

---

١)) مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ٢٠٤/٢.

٢)) ينظر: حاشيتا قليوبي وعميرة، ١٨٩/١.

لكثرة خصاله المحمودة، قاله ابن فارس [١]، أو كثر له الحمد في الأرض والسماء، أو كثر حمده له . تعالى . سُمي به بإلهام من الله . تعالى . ليكون على وفق تسميته . تعالى . له به قبل الخلق[٢]، فمحمد اسم له ﷺ من حيث دلالته على ذاته، وصفة من حيث دلالته على معناه، وروي في السير أنه لما كان اليوم السابِع ذبح عنه جده عبد المطلب، ودعا له قريشًا، فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب، أرأيتَ ابنك هذا الَّذي أكرمتَنا على وجهه، ما سَمَّيْتَهُ؟ قال: سَمَّيْتُهُ مُحَمَّدًا. قالوا: فما رَغِبْتَ به عن أسماء أهل بيتِهِ؟ قال: أردتُ أَنْ يَحْمَدَهُ الله في السماء وَخَلْقُهُ في الأرض، وقد حقق الله رجاءه كما سبق في علمه[٣].

ومحمد أشرف أسمائه ﷺ منقول من اسم مفعول من حُمِّدَ، وهو يتضمن الثناء على المحمود، وإجلاله، وتعظيمه، ومحبته، وهو علم وصفة اجتمع فيه الأمران في حقه ﷺ[٤]، وعبر به دون وصفه، بأن يقول: وأشهد أن النبي . كما في السلام . عبده ورسوله، لإثبات الرسالة لرسول الله ﷺ سيدنا محمد على التعين، بإحضار مدلوله وتعيينه في ذهن السامع.

وقوله: "عبده ورسوله" وصفان لرسول الله ﷺ، أولهما: عبده، وهو أصدق وصف للإنسان، وأكثره دلالة على الخضوع لله، والاستكانة بين يديه، وامتثل رسول الله ﷺ هذا الوصف في حياته، فكان آية في تواضعه، عظيمًا في خضوعه، يأكل كما يأكل العبد، ويجلس كما يجلس العبد، اختار مقام العبودية

---

١)) ينظر: معجم مقاييس اللغة، باب: الحاء والميم وما يثلثهما، مادة: حمد، ٢/١٠٠.

٢)) ينظر: الكليات، ١/١٤٢٤.

٣)) ينظر: السيرة النبوية، لابن كثير، ١/٢١٠،

٤)) ينظر: ذخيرة العقبى، ١/١٧٢.

على غيره، خيره الله أن يكون عبدًا نبيًّا، أو ملكًا نبيًّا، فاختار أن يكون عبدًا نبيًّا.

وهذه الصفة تقرر أنه عبد لله. تعالى. لا يرتقي إلى مرتبة الألوهية، وليس له من حقوق الربوبية شيء، وفي الحديث أن رجلًا قال: "ما شاء الله وشئت. قال رسول الله ﷺ: أجعلتني لله ندًّا. قل: ما شاء الله وحده"، فليس له من حقوق الربوبية شيء، وليس له حق في العبادة[١]، فمن شأن العبد أن يكون عابدًا لا معبودًا.

و "رسوله" إقرار بأن الله. عز وجلَّ. بعثه ﷺ برسالة إلى العالمين؛ ليبلغ عنه ما أوحاه إليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧]، فمن شأن الرسول أن يكون مصدقًا، مطاعًا، فقيامه بمهام الرسالة يوجب له حقوقًا هي وجوب الإيمان به، وتصديقه فيما أخبر، وطاعته، وتعزيره، وتوقيره.

إنها شهادة لرسول الله ﷺ بصفتين العبودية والرسالة، وكلاهما لتشريفه ﷺ وتكريمه، والصفتان توسط بين الغلو في شأنه، فهو ﷺ عبد، والجفاء، فهو ﷺ رسول الله، "والعبودية والرسالة هما الوصفان اللذان أمرنا النبي ﷺ أن لا نتجاوز حدهما في الثناء عليه، فقد قال ﷺ: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله"[٢]، فنهانا عن إطرائه في المدح، وهو المبالغة والغلو...وبين لنا طريقة مدحه ﷺ بذكر كل ما لا يخرج به عن

---

١)) ينظر: الشرح المختصر على بلوغ المرام، ١٥٦/٣.

٢)) سبق تخريجه في ص ٦٥.

كونه عبدًا من كل كمال، وبذكر كل ما يليق برسالته من عظيم الخصال، عليه وآله الصلاة والسلام"[1].

وقدم العبودية على الرسالة؛ ليحله محله الأسنى من الله، وهو العبودية، فهي أشرف أوصافه، وأشرف مقامات الخلق، وأتم اسم للمؤمن، ولهذا كما يقول ابن رجب جعل الله العبودية وصفًا لنبيه في أشرف مقاماته وأعلاها، قال تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿ فَأَوۡحَآ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠ ﴾ [النجم: ١٠]، وقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وقال: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣][2]، ولأنها هكذا وجدت، فقد كان ﷺ عبدًا قبل أن يكون رسولًا.

والإضافة في قوله: (عبده) إلى ضمير يعود إلى ذي العزة والجلال إضافة تشريف وتعظيم للمضاف، وترفيع لمقامه ﷺ وشهادة له بما كان عليه ﷺ من العبادة الكاملة، والأخلاق العظيمة؛ حتى أضيف بعبوديته التامة لله.

وليس هناك مقام من مقامات المخلوقين أشرف من مقام العبودية، وإلا فهي منبئة عن النقص لدلالتها على الحاجة والافتقار، وقيل: الرضا بما يفعله الرب، والعبادة فعل ما يرضي الرب، وأن العبودية أقوى منها، لأنها لا تسقط في العقبى بخلاف العبادة[3].

---

[1]) مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ١/٢٤٠.

[2]) ينظر: فتح الباري، لابن رجب، ٧/٣٣٠.

[3]) ينظر: البحر الرائق، ١/ ٣٤٣.

والإضافة في قوله: (ورسوله) إلى ضمير ذي العزة والجلال توجب له ﷺ حقوقًا قبل الخلق جميعًا، أولها وجوب الإيمان به؛ إذ إنه رسول (الله) ذي العزة والجلال، كما توجب له تشريفًا باختيار الله له رسولًا يكون واسطة بينه وبين عباده يبلغهم عن ربهم شرعه.

المبحث الثالث

وقفة مع صيغة التشهد، وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موازنة وتحليل.

المطلب الثاني: تأثر البيان النبوي بجلال أنوار الوحي الإلهي.

المطلب الثالث: من الخصائص البلاغية في صيغة التشهد.

المطلب الأول

موازنة وتحليل

الموازنة بين الروايات:

إن الروايات المتعددة لصيغة التشهد تتفق في مضمونها، وأغلب ألفاظها، ويأتي الاختلاف بينها يسيرًا، وسنعرض ما بينها من اختلافات للموازنة بينها.

أولًا: قوله ﷺ: "التَّحِيَّاتُ لِله، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ".

جاء الاختلاف بين الروايات في هذه الجزئية على النحو الآتي، فرواية ابن مسعود، وجابر بن عبد الله . رضي الله عنهما .: "التَّحِيَّاتُ لِله، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ"، ورواية ابن عباس . رضي الله عنه .: "التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِله"، ورواية عمر . رضي الله عنه .: "التَّحِيَّاتُ للهِ، الزَّاكِيَاتُ للهِ، الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ للهِ"، ورواية أبي موسى الأشعري . رضي الله عنه .: "التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لِله"، ورواية عائشة . رضي الله عنه .: "التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ، الصَّلَوَاتُ الزَّاكِيَاتُ لِله"، ورواية ابن عمر . رضي الله عنه .: "التَّحِيَّاتُ لِله، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ"، واختلفت رواية ابن عباس عن رواية عمر؛ إذ أتى ابن عباس بـ: "المباركات" وصفًا للتحيات، وأتى عمر وعائشة . رضي الله عنهما . بـ: "الزاكيات".

جاءت ألفاظ: "التحيات، والصلوات والطيبات" في كل الروايات مع اختلاف في نظمها، وتفرد ابن عباس رضي الله عنه بـ: "المباركات"، وعمر وعائشة رضي الله عنهما بـ: "الزاكيات".

اتفقت كل الروايات على (أل) الجنسية في: "التحيات، والصلوات، والطيبات، والزاكيات في رواية عمر وعائشة . رضي الله عنهما . والمباركات

في رواية ابن عباس . رضي الله عنه"، مع جمعها، مما يفيد أن جمع الجمع في كل هذه الأمور مستحق لله.

اختلفت الروايات في نظم هذه الألفاظ بالتقديم والتأخير بينها، والعطف والفصل بينها، فابن مسعود وجابر . رضي الله عنهما . جاءت روايتهما: "التحيات لله" بتمام الجملة الأولى من مبتدأ وخبر، ثم عطفا على الجملة الأولى "والصلوات والطيبات"، وجاءت رواية ابن عمر . رضي الله عنه . قريبة من رواية ابن مسعود . رضي الله عنه .: "التَّحِيَّاتُ لِله، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ" بالإخبار عن الجملة الأولى، غير أنها خالفته في ترك عطف "الصلوات والطيبات" على الجملة الأولى.

وجاءت رواية ابن عباس . رضي الله عنه . بتوالي: "التحيات المباركات الصلوات الطيبات" ثم أخبر عنها جميعًا بقوله ﷺ: "لله"، ومثل رواية ابن عباس . رضي الله عنه . في نظمها جاءت رواية السيدة عائشة . رضي الله عنها .: "التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ، الصَّلَوَاتُ الزَّاكِيَاتُ لِله" مع اختلاف بين المباركات والزاكيات، وتقديم الطيبات على الصلوات في رواية السيدة عائشة . رضي الله عنها ..

وجاءت رواية عمر . رضي الله عنه .: "التَّحِيَّاتُ للهِ، الزَّاكِيَاتُ للهِ، الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ للهِ"، بثلاث جمل تامة، أخبر عن كل واحدة منهن، وجاءت رواية أبي موسى الأشعري . رضي الله عنه .: "التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لِله" بالإخبار عن الأمور الثلاثة بخبر واحد، وبلا عطف بين هذه المفردات، وبتقديم الطيبات على الصلوات.

وبالنظر في هذه الروايات نظرة موازنة نجد رواية ابن مسعود . رضي الله عنه . جاءت على هذا النحو: "التَّحِيَّاتُ لِله، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ"، وقد تفردت هذه الرواية بأمور . تجعلها أعلى بلاغة . هي:

أ . أتى بالواو بين التحيات، والصلوات، والطيبات، مما أفاد كمال اتصاف الموصوف وهو المولى . جلَّ جلاله . بكل جملة منها على حدة.

فالواو العاطفة في تشهد ابن مسعود لتجديد الكلام؛ أي جعلت التحيات والصلوات والطيبات معاني مختلفة عطف بعضها على بعض، ف (واو) العطف جعلت كل جملة ثناء مستقلًّا بفائدته لكونه عطف جملة على جملة، مما يوجب تعدد الثناء؛ لأن المعطوف غير المعطوف عليه، ثم جُعلت كل هذه المعاني لله . تعالى . أما الروايات التي أتت بإسقاط الواو فإنها تجعل الصلوات والطيبات نعتًا للتحيات، وإذا كانت نعوتًا قلت المعاني[١].

وفي المبسوط: "وإنما آخذنا بتشهد ابن مسعود...لأن تشهد ابن مسعود . رضي الله تعالى عنه . أبلغ في الثناء؛ فإن الواوات تجعل كل لفظ ثناء بنفسه"[٢].

ب . وابن مسعود . رضي الله عنه . عطف على الجملة الأولى بعد استكمال الخبر، فجعل كل جملة مستقلة بحكم بذاتها تثبته لله، أما ابن عباس . رضي الله عنه . فقد جعلها كلها جملة واحدة.

ج . رواية ابن مسعود . رضي الله عنه .: "التحيات لله" التحيات أمر عام يشمل كل ما يصلح ثناء على الله ويليق بجلاله من قول وفعل، وذلك عند

---

١)) ينظر: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، ١٢٢/ ٧.

٢)) المبسوط للسرخسي، ١/ ٢٨.

وجود الواو، فإذا قال: الصلوات دون عطف كرواية ابن عباس . رضي الله عنه . صار تخصيصًا وبيانًا أنه أراد بالتحيات الصلوات لا غير، ومتى قال بالواو صار الأول (التحيات) عامًّا، فيكون أبلغ في الثناء، فكانت رواية ابن مسعود . رضي الله عنه . أولى.

د . ومنها تقديم اسم الله . تعالى . "التحيات لله"؛ فإنه إذا قدم عُلم الممدوح في ابتداء الكلام، ومتى أخر كان محتملًا، وإزالة الاحتمال بأول الكلام أولى[1].

هـ . حذف المسند من جملتي: "والصلوات والطيبات" مما يعطي دلالة بتعيين المسند.

و . تقديم الصلوات على الطيبات، وهذا الترتيب وفق ترتيب الكتاب الحكيم الذي لم يقدم شيئًا من العبادات عليها.

ز . تشهد ابن مسعود . رضي الله عنه . أبلغ في الثناء، فالواوات التي في تشهد عبد الله . رضي الله عنه . توجب أن يكون كل لفظ منه ثناء على حياله، وإسقاط الواو يجعل الجميع ثناء واحدًا؛ فلذا كان تشهد ابن مسعود . رضي الله عنه . أولى لزيادة الثناء[2]، يقول ابن حجر: "ورجح أيضًا بثبوت الواو في الصلوات والطيبات وهي تقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، فتكون كل جملة ثناء مستقلًّا بخلاف ما إذا حذفت، فإنها تكون صفة لما

---

[1]) ينظر: العناية شرح الهداية، ١/ ٣١٣.

[2]) ينظر: المبسوط للسرخسي، ١/٢٨.

قبلها، وتعدد الثناء في الأول صريح، فيكون أولى، ولو قيل: إن الواو مقدرة في الثاني"[١].

فرجح العطف على تركه بأمور:

١ . يحصل بالعطف عموم استحقاقه . تعالى . لكل معنى من المعاني على وجه الاختصاص والثبوت لذاته، وترك العطف يوجب استحقاقه . تعالى . لها مجتمعة.

٢ . يصير الكلام بالعطف جملًا لا جملة واحدة، وتكثير الجمل في مقام التعظيم مطلوب.

٣ . تصير كل جملة بالعطف جملة تامة تخبر عن أمر مستقل ثابت لله . تعالى . وترك العطف يجعل ما يأتي في تقدير مفرد واقع ثابت، لا نزاع فيه، ولا صعوبة في الوقوف عليه، ولا يعطي شيئًا زائدًا في تعظيم الله . جلَّ جلاله . فالجميع يدرك أن ذلك ثابت ومقرر له.

٤ . من مرجحات العطف حذف المسند من جملتي: "والصلوات، والطيبات" الذي يقف بنا على معنى جليل، وهو تعيين الصلوات والطيبات لله لا يستحقها غيره، فالصلوات لله، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، والطيبات لله، فعن النبي: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا"[٢]، وفرق بين أن يأتيك المعنى ابتداء، وأن يأتيك بعد طلب

---

[١]) فتح الباري، لابن حجر، ٣١٦/٢.

[٢]) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم: ١٠١٥، ٧٠٣/٢.

وتفتيش عن سر الحذف؛ لأن مجيئه بعد نظر يجعل المعنى يتمكن في النفس ويستقر فيها.

* وزادت رواية ابن عباس . رضي الله عنه . عن رواية ابن مسعود . رضي الله عنه . "المباركات" «التَّحِيَّاتُ المُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِله»، وهذا كان من بعض ترجيحات الإمام الشافعي لها: بأنها أكثر ألفاظ الثناء لزيادة المباركات، وبالنظر نجد أن رواية ابن مسعود . رضي الله عنه . أكثر ثناء؛ لأن ألفاظ الثناء فيه معطوف بعضها على بعض، والعطف يفيد التغاير، فهو لذلك يعد كل لفظ فيه ثناء مستقلًّا، أما غيره من التشهدات فذكرت دون عطف، فصارت كاللفظ المؤكد، فرواية ابن عباس . رضي الله عنه . تجعل المباركات نعتًا للتحيات، والطيبات نعتًا للصلوات، وتقدر الواو في الصلوات وحدها، فما ذكره ابن عباس . رضي الله عنه . إخراج الكلام مخرج الصفة، فيكون الكل كلامًا واحدًا، ثناء واحد بعضه صفة لبعض، فـ "الواو" ليست في تشهد ابن عباس . رضي الله عنه . في جميع الروايات.

* ورواية عمر . رضي الله عنه .: "التَّحِيَّاتُ للهِ، الزَّاكِيَاتُ للهِ، الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ للهِ " أتى بثلاث جمل تامة من مبتدأ وخبر، وفصل بينها، مما أفاد كمال اجتماعها لله، إلا أن مزية الإيجاز فيها تتضاءل عن رواية ابن مسعود . رضي الله عنه . والنص فيها في الجمل الأربعة على المسند (لله) وتكراره على هذا النحو أفاد توكيدًا للمعنى في سياقات يكون توكيدها معنويًّا بترك التوكيد أعلى من توكيدها باللفظ، وهذا ما جاء في نص ابن مسعود . رضي الله عنه .؛ حيث حذف المسند من الجملة الثانية؛ للإشارة إلى أنه متعين لا يشك فيه، ولا يرتاب، ولا حاجة إلى ذكره، وهذا أعلى في مقام تمجيد الله . عز وجلَّ . وتعظيمه.

ثانيًا: قوله ﷺ: "السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ"، هذا متفق عليه في جميع الروايات، إلا ما جاء في رواية ابن عباس . رضي الله عنه . عند الترمذي بتنكير (السلام) في الموضعين، "سَلاَمٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، سَلاَمٌ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ".

وعند ابن عمر . رضي الله عنه .: "زدت فيها وبركاته"؛ أي في السلام على النبي، والمقصود أنه حفظها من رسول الله ﷺ دون "وبركاته" وهذا يدلنا على أن كل روايات التشهد متفقة على الخطاب في قول المصلي "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" وأن النبي ﷺ علمهم هذه الصيغة وهي بلفظ الخطاب.

وجاء السلام معرفًا بأل في جميع الروايات، وأجاز النووي في السلام التعريف والتنكير، ومرد الجواز عنده لا يرجع إلى اختلاف الروايات، أو ثبوته عن النبي ﷺ، وإنما يرجع إلى جوازه لفظًا، إلا أنه رجح التعريف، فقال: "واللام أفضل"، وعلل لذلك: بأنه الموجود في روايات صحيحي البخاري ومسلم[١]، ووقع في رواية للترمذي بالتنكير، ورجح الشافعية التنكير (سلام عليك أيها النبي)؛ لكثرة وروده في القرآن الكريم منكرًا، قال تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥ ﴾ [مريم: ١٥]، وهو مردود عليه بكون السلام ورد بالتعريف في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾[مريم: ٣٣]، ولإفادة التعظيم، قال ابن الأثير:

---

١)) ينظر: شرح النووي على مسلم، ١١٦/٤.

"السلام منكر، أراد: "سلام عظيم لا يدرك كنهه، ولا يعرف قدره"[1]، والتعريف أرجح؛ لوروده في جميع الروايات، لا سيما روايات الصحيحين، فلم يقع في شيء من طرق حديث ابن مسعود . رضي الله عنه . بالتنكير، ولأنه مقتضى مقام، ومطلب سياق؛ فالتعريف يقتضي العموم الذي يفهم من معنى الجنس، أو العهد للسلام الذي سلمه الله . تعالى . عليه، وعلى الأنبياء والمرسلين، وهذا أبلغ معنى في الدعاء، وأتم لفظًا.

فإن قيل: لا ترجيح للمعرف على المنكر؛ إذ ورد كلاهما في التنزيل ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾ [مريم: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾[مريم: ٣٣]، وما ورد في التنزيل فهو على نعت التمام والكمال، فالجواب أن الأظهر أنهما في التنزيل على معنى الإخبار؛ أي سلمني الله من الآفات حيًّا وميتًا، لا على معنى التحية، ويبعد أن يكون على معنى الدعاء لقوله: ﴿يَوۡمَ وُلِدَ﴾، والدعاء يكون للحالة المرجوة دون الواقعة الماضية، وعلى فرض كونه دعاء أو تحية؛ فإن قول عيسى . عليه السلام . بالتعريف أتم وأبلغ لاحتوائه على المعاني التي ذكرناها[2].

و "السلام" بالألف واللام أبلغ منه بغير الألف واللام[3]؛ لأن أل لاستغراق الجنس، فالتعريف باللام الدالة على الجنس أفاد المبالغة في تعلق السلام به حتى كأن جنس السلام بأجمعه عليه.

---

[1]) ينظر: شرح أبي داود، للعيني، ٢٣٨/٤.

[2]) ينظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، ٢٥٥/١.

[3]) المبسوط للسرخسي، ١/ ٢٨.

ولموافقته سلام التحلل من الصلاة، ولموافقته لقول الله . عز وجلَّ .: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ [مريم: ٣٣]، وقوله . عز وجلَّ .: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾ [طه: ٤٧]، ولاتفاق جميع الروايات عليه، أما تنكير "السلام" فلم يرد إلا في بعض رواية لابن عباس . رضي الله عنه . فالإمام مسلم، وأبو داود، وابن ماجه لم يذكروا تشهد ابن عباس . رضي الله عنه . إلا معرفًا بالألف واللام، وذكره الترمذي والنسائي منكرًا: "سلام عليك أيها النبي، سلام علينا".

قوله: "سلام عليك" سلام مبتدأ وهو نكرة، فلا بد له من مسوغ للابتداء به، ومسوغه كونه دعاء، بخلاف "السلام عليك" فهو مبتدأ، ولا يحتاج إلى مسوغ للابتداء به، وهو كذلك أكمل في الدعاء، فيكون أولى.

ثالثًا: قوله ﷺ: " أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ" جاءت روايات ابن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وجابر . رضي الله عنهم . بهذه الصيغة، وجاءت رواية ابن عباس . رضي الله عنه . بإسقاط عبده من التشهد: " أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله"، وجاءت رواية عمر . رضي الله عنه .: "أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه" بالتعبير بالمظهر (الله) موضع الضمير (عبده)، وجاءت رواية السيدة عائشة، وابن عمر . رضي الله عنهما . بزيادة وحده لا شريك له في: "أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ".

جاءت رواية ابن مسعود، وأبي موسى، وجابر . رضي الله عنهم . بالإقرار بالعبودية لرسول الله ﷺ، باشتمال روايتهم على لفظ (عبده) الذي يدل على ما

يدل عليه من كمال حاله ﷺ[1]، وانفرد ابن عباس . رضي الله عنه . بقوله: "وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله" بإسقاط صفة العبودية التي يقوم بها الاعتدال في شأن رسول الله ﷺ، وأسقط عنه مقام تشريف له، وهو الشهادة له بكمال عبوديته لله، ورد بأن الإقرار بالعبودية في رواية ابن مسعود يقابله التصريح باسم الجلالة (الله) في رواية ابن عباس . رضي الله عنه .[2].

أما رواية عمر . رضي الله عنه . فالتعبير فيها بالمظهر موضع المضمر، "وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه"، وهو أقوى في التعبير؛ إذ الضمير يدل على الذات فقط، أما اسم الجلالة فيدل على الذات والصفة، فقوله: "عبد الله" لزيادة تمكين المعنى في نفس السامع، وزيادة ترفيع لمقام رسول الله ﷺ.

وانفردت روايتا السيدة عائشة وابن عمر . رضي الله عنهما . بزيادة: "وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ"، وهي وإن دلت على معنى فإن إسقاطها أولى في هذا اللفظ الشريف، والمقام الشريف، حتى لا يستوي أحد من المعبودات الباطلة مع الله . عز وجلَّ . ولو لفظًا في هذا المقام، وهو نظير قول الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]؛ أي كمن ليس قائم، فحذف المسند يفيد تعظيم الله وأنه لا وجه للمقارنة بين الخالق القائم على كل نفس، ومعبوداتهم الباطلة، فينبغي عدم الجمع بينهما ولو في اللفظ، فرواية ابن مسعود . رضي الله عنه . ومن وافقه أسقطت: "وحده لا شريك له"؛ للإشارة بإسقاطه إلى إطراحه لفظًا ومعنى، وأنه لا يخطر ببال المصلي أنه . سبحانه . له شريك حتى ينفي ذلك عنه.

---

[1]) ينظر: العناية شرح الهداية، ١/ ٣١٣.

[2]) ينظر: كفاية النبيه في شرح التنبيه، ٣/ ٢٠٩.

أخيرًا: نلحظ من وجوه الخلاف بين الروايات أن الجزء الذي كثرت وجوه الخلاف فيه هو ما يتعلق بجلال الله جلَّ وعلا: "التحيات لله والصلوات والطيبات"، وهذا يشير إلى أن مقصدهم هو الإتيان بلفظ أكثر في إجلال الله . جلَّ وعلا . أما بقية أجزاء التشهد فلا كبير خلاف فيها؛ لكونهم يقرون بمضمونها، ومن كل هذه الوجوه المتقدمة يثبت رجحان رواية ابن مسعود . رضي الله عنه . لفظًا ومعنى، كما ثبت رجحانه رواية عند أهل الحديث.

الذائقة البيانية عند صحابة رسول الله ﷺ:

لقد أتى في سياق حديث التشهد عبارات لأصحاب رسول الله ﷺ تبين عن تذوقهم للبيان النبوي، وبالنظر يدرك المتأمل أن شهادات أصحاب رسول الله ﷺ على البيان النبوي لم تكن ادعاءات أو مبالغات تقع في غير محلها، وإنما كانت موازين يحتكم إليها، وأنهم ما كان لهم . وقد نهوا عن قول الزور . أن يلفقوا شهاداتهم على أجلِّ مقدساتهم، وهي الكلمة.

فمن أقوالهم بأنها فواتح الخير، وجوامع الكلم، فعن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . قال: "أوتي رسول الله ﷺ جوامع الخير، وخواتمه، أو قال: فواتح الخير، فعلمنا خطبة الصلاة، وخطبة الحاجة، خطبة الصلاة: (التحيات لله)"[١].

وللنسائي عن أبي الأحوص، عن عبد الله . رضي الله عنه . قال: "كنا لا ندري ما نقول في كل ركعتين غير أن نسبح، ونكبر، ونحمد ربنا، وأن محمدًا

[١]) سنن ابن ماجه، كتاب: النكاح، باب: خطبة النكاح، رقم: ١٨٩٢، ٦٠٩/١.

ﷺ علم فواتح الخير، وخواتمه، فقال: إذا ركعتم في كل ركعتين، فقولوا: التحيات لله"[1].

وعن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . قال: "كُنَّا لَا نَدْرِي مَا نَقُولُ إِذَا صَلَّيْنَا، فَعَلَّمَنَا نَبِيُّ الله ﷺ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، فَقَالَ لَنَا: "قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لله..."[2].

ومرادهم بفواتح الكلم؛ أرادوا ما يسر الله له من البلاغة والوصول إلى غوامض المعاني، وبدائع الحكم، ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره، وتعذرت، ولم تفتح له.

وجوامع الكلم من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ أي الكلم الجوامع للخيرات[3]؛ أي جمع معاني كثير في ألفاظ قليلة، أو تجمع الأغراض الصالحة، والمقاصد الصحيحة، أو تجمع الثناء على الله . جلَّ ثناؤه . وآداب المسألة[4]، وتجمع كل الحقوق الواجبة على العبد، وخواتمه: أرادوا ما يختم به الكلام على حسن الاختتام بعد انتهاء المقاصد بأبلغ العبارات، وأكمل الإشارات، وأوضح الدلالات[5]، أو ما يختم به الكلام بحسن الاختتام والانتهاء على تمام المقصود.

---

[1]) سنن النسائي، كتاب: التطبيق، باب: الإشارة بالأصبع في التشهد الأول، كيف التشهد الأول، رقم: ١١٦٣، ٢/٢٣٨.

[2]) السابق، كتاب: التطبيق، باب: الإشارة بالأصبع في التشهد الأول، كيف التشهد الأول، رقم: ١١٦٧، ٢/٢٣٩.

[3]) ينظر: ذخيرة العقبى، ١٤/ ١١٢.

[4]) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/٢٩٥.

[5]) ينظر: نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، ٤/٢٨٤.

ومرادهم: "فواتح الخير وخواتمه" جمع فاتحة، والإضافة بمعنى اللام، فواتح كل خير وخواتمها، وهو كناية عن الخير؛ يعني أنه ﷺ علم أمته كل خير، أو علمه الله. تعالى. كل خير[١]، فجوامع الخير، وفواتحه، وخواتمه كناية عن تمام الخير.

وقولهم: "جوامع الكلم، وجوامع الخير، وفواتحه، وخواتمه" أوصاف أنزلها صحابة رسول الله ﷺ على صيغة التشهد، وهي مقاييس أخذوها مما تحمله صيغة التشهد من معانٍ.

تحقيق قول الصحابة بأنها فواتح الخير وخواتمه وجوامعه:

ففواتح الخير، وخواتمه يكمنان في نطق المصلي بالشهادتين بقوله: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، فهما مفتاح كل خير، بل هما أصل الخير، وأساس الكمال[٢]؛ إذ بهما يدخل المرء الإسلام، وخاتمة كل خير فمن مات موقنًا بهما، مقرًّا بمضمونهما دخل الجنة.

وقولهم: "جوامع الخير" يكمن ذلك في قول المصلي: «السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ» فهي على وجازة لفظها يصيب العبد من قولها خيرًا لا حدَّ له أو حصر؛ إذ ترد عليه الملائكة: وعليك مثلها.

تحقيق القول بأنها جوامع الكلم:

وقولهم: "جوامع الكلم" وقفوا بها على إيجاز القصر الذي جاء في حديث التشهد، وقد أتى ذلك جليًّا في قوله ﷺ: «وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ»، فقد جمعت كل من استقام على عبودية الله، واتصف بالصلاح في لفظ وجيز،

---

١)) ينظر: ذخيرة العقبى، ١٤/ ١١٢.

٢)) ينظر: اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، ٤/ ٢٠٤.

فإنها قد أغنت عن تعيين أسمائهم، فحصرهم لا يمكن، فكأنه أنكر عليهم عد الملائكة واحدًا واحدًا؛ إذ لا يمكن استيعابهم لهم، وعلمهم لفظًا يشمل الجميع مع غير الملائكة من النبيين والمرسلين والصديقين وغيرهم بغير مشقة، وهذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ وإليها كانت إشارتهم . رضوان الله عليهم . بأنها (جوامع الكلم) وقد أشار النبي ﷺ لذلك بقوله: «فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض»

في لفظ موجز صحح لهم؛ إذ كانوا يسلمون على الله . عز وجلَّ . ثم على أشخاص معينين، فعلمهم كيفية الثناء على الله . تعالى .، وعلمهم الدعاء للمؤمنين، وأنه ينبغي أن يكون شاملًا، وأمرهم بإفراد السلام عليه بالذكر لشرفه ومزيد حقه، ثم أتى بشهادة التوحيد لله . تعالى .، والرسالة لنبيه.

وهي من جوامع الكلم؛ حيث إنه ﷺ لم يترك حقًّا لله . عز وجلَّ . إلا أوجبه له، ولم يترك صفة لرسول الله ﷺ إلا وذكرها، ولم يترك حقًّا لأحد من عباد الله إلا وأتى به؛ فقد ابتدأت بتعظيم الله . تعالى . التعظيم المطلق، وأنه المستحق للصلوات وسائر العبادات، والطيبات من الأقوال والأعمال والأوصاف.

وبعد أن أثنى على الله . تعالى . ثنّى بالدعاء للنبي ﷺ بالسلامة من النقائص والآفات، وسأل الله . عز وجلَّ . له الرحمة والخير، والزيادة الكاملة من ذلك، ثم دعا لنفسه والحاضرين من الآدميين والملائكة، ثم عم بدعائه عباد الله الصالحين كلهم، من الإنس، والجن، والملائكة أهل السماء والأرض، من السابقين واللاحقين، فهذا من جوامع كلمه ﷺ ثم شهد الشهادة الجازمة بأنه لا معبود بحق إلا الله، وأن محمدًا ﷺ له صفتان: إحداهما: أنه متصف بصفة

العبودية. والثانية: صفة الرسالة، وكلا الصفتين، صفة تكريم وتشريف، وتوسط بين الغُلُوِّ والجفاء[١].

ويظهر بجلاء دقة أحكامهم، وسمو ذوقهم، فقولهم: (كنا لا ندري) بصيغة الجمع دلالة على إدراكهم الفرق الكبير بين ما كانوا يقولون، وما علمهم إياه رسول الله ﷺ، فبعد أن علمهم التحيات عدوا ما كانوا يقولونه في عداد ما لا يدرون، وهذه شهادة تؤكد تقديسهم لنص التشهد، وأنه بلغ في نفوسهم مبلغًا كبيرًا.

وقولهم: "كما يعلمنا السورة من القرآن" التقاط وجه الشبه الجامع بين القرآن الكريم والتحيات وهو مزيد عنايته وحرصه ﷺ على تعليمهما لهم، وأنه عُنِي ﷺ بتعليمهم إياها، فجعل يد ابن مسعود . رضي الله عنه . في يده، وفهّمه إياها تكريرًا وتلقينًا، كإحدى سور القرآن، وذلك لأهمية هذه التمجيدات والدعوات المباركات.

ومن سمو ذوقهم إدراكهم قيمة الحرف في التحيات، فقالوا: "كان يأخذ علينا الحرف"، فعن علقمة، قال: "لقد رأيت ابن مسعود يعلمنا هؤلاء الكلمات كما يعلمنا القرآن"[٢].

---

١)) ينظر: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، ١/ ٢٠٦.

٢)) سنن النسائي، كتاب: التطبيق، باب: الإشارة بالأصبع في التشهد الأول، ١١٦٧، ٢/٢٣٩.

وتظهر دقة ذوقهم في إدراكهم مدى العناية بكلام دون كلام، فعن أبي وائل، عن عبد الله، قال: "وكان يعلمنا كلمات، ولم يكن يعلمناهن كما يعلمنا التشهد"[1]؛ أي إن عنايته واهتمامه ﷺ بها أخف وأقل من عنايته بالتشهد.

المطلب الثاني

تأثر البيان النبوي بجلال أنوار الوحي الإلهي

ظهر بجلاء في صيغة التشهد تأثر البيان النبوي التام ببيان القرآن الكريم، بدا ذلك واضحًا في ألفاظ التشهد، وصياغة جمله، وترتيبها، ومعانيها، ومواقعها:

١ . التأثر بألفاظ القرآن الكريم، وذلك: "لله، الصلوات، الطيبات، السلام، النبي، رحمة الله، وبركاته، عباد الله، الصالحين، عبده، رسوله"، فجميع هذه الألفاظ وردت في القرآن الكريم.

٢ . التأثر بتراكيبه، فصياغة الجمل جاءت وفق صياغة جمل القرآن الكريم، فقوله ﷺ: "التحيات لله"، هو وفق صياغة قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢].

٣ ـــــ التأثر بمعانيه، فقوله ﷺ: "السَّـــلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ" تأثر فيه بقول الله ـ عز وجلَّ ـ: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ [هود: ٧٣]، وقوله ﷺ: "السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين" تأثر بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ١٧﴾ [طه: ٤٧]، وإيجاب السلام للصالحين هو

[1]) سنن أبي داود، أبواب: تفريع استفتاح الصلاة، باب: التشهد، رقم: ٩٦٩، ١/٢٥٤.

نظير إيجاب الرحمة لهم في قوله تعالى: ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦﴾ [الأنبياء: ٨٦].

٤ . التأثر بنظمه، فترتيب الجمل جاء وفق ترتيب القرآن الكريم، بالبدء بالثناء على الله . جلَّ وعلا . ثم الدعاء لرسول الله ﷺ، ثم الدعاء للنفس، ثم لعموم المؤمنين، واقرأ في القرآن الكريم تجد الدعاء على هذا النحو، وكذا قول الله . تعالى . حكاية عن نوح . عليه السلام .: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ﴾ [نوح: ٢٨]، وقوله حكاية عن خليل الله إبراهيم . عليه السلام .: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم: ٤١]؛ حيث بدءا . عليهما السلام . فأثنيا على الله . جلَّ جلاله . بالربوبية، ثم الدعاء للنفس بالمغفرة، ثم للوالدين، ثم المؤمنين من معارفه، ثم لسائر المؤمنين، وفيه عطف العام على الخاص، والتحيات تبدأ بالثناء على الله . تعالى .؛ لأنه المقصد الأسنى، ثم شفع ذلك بالدعاء للنبي مقدمًا إياه على النفس، لتقدم رتبته، ثم ثلث بالدعاء للنفس، ثم ختم بعباد الله الصالحين.

ومن التأثر بنظم القرآن تقديم الصلوات على الطيبات، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فقدمها على النسك والمحيا والممات.

٦ . ترتيب الدعاء بالسلامة على الصلاح هو ترتيب القرآن الكريم الخير والفلاح على الصلاح، قال تعالى: ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦﴾ [الأنبياء: ٨٦].

٧ . التعبير بالنبي في قوله: "أيها النبي" تماثل مقامات الترفيع في القرآن؛ إذ عبر القرآن الكريم في مثل هذه المواطن بالنبي دون الرسول.

بين التحيات والفاتحة: إن القارئ المتمهل للتشهد يقف على استلهامها من الفاتحة لفظًا ومعنى، صياغة، ونظمًا، ترتيبًا لجملها، وتعانقًا فيما بينها، ومن صور ذلك:

١ . الفاتحة والتحيات خلت أخبارهما من التوكيد إلا من قصر العبادة في الفاتحة، والألوهية في التشهد.

٢ . الفاتحة والتحيات أغلب جملهما اسمية؛ لإفادة الثبوت والدوام، وجاء التعبير بالجملة الفعلية فيما يقتضي تجددًا، كالعبادة في الفاتحة، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، والشهادة في التشهد "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله".

٣ . "التحيات الله" تماثل في الصياغة، والموقع ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾؛ إذ كانتا صدر التشهد والفاتحة، وكلتاهما بناؤها على مبتدأ وخبر في صيغة خبر ابتدائي جاء خاليًا من المؤكدات، وكلتاهما المعنى الأم التي ترد إليه جميع المعاني في الفاتحة، والتحيات، وكلاهما يدل بصدارته على أن أحق ما قال العبد هو الثناء على الله.

٤ . الانتقال من تمجيد الله وتعظيمه "التحيات لله" إلى الدعاء "السلام علينا" هو حذو الانتقال في الفاتحة من الثناء على الله في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ إلى الدعاء في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، قدم الوسيلة بين يدي المسألة، فقدم في الفاتحة العبادة على

طلب الاستعانة والهداية، وفي التحيات قدم التعظيم لله . جلَّ وعلا . على الدعاء.

٥. قوله: "علينا" في بنائها على بث روح الجماعة، باشتمالها على ضمير يعود على الجماعة هو وفق قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

٦ . الإيجاز في قوله: "عباد الله الصالحين" هو الإيجاز في قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

٧ . الدعاء لعموم المؤمنين في قوله: "وعلى عباد الله الصالحين" هو العموم في: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، إلا أن لفظ القرآن الكريم فيه تفصيل.

٨ . الإقرار بالشهادة وقصرها على المولى . عز وجلَّ . : "أشهد أن لا إله إلا الله" هو قصر العبادة عليه في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

المطلب الثالث

من الخصائص البلاغية في صيغة التشهد

لقد حوت صيغة التشهد كثيرًا من الأساليب البلاغية التي حوت أسرارًا ودقائق عظيمة، منها:

١ . الإيجاز، وهو من أبرز سمات الحديث النبوي، وقد نص النبي ﷺ على هذه الظاهرة في كلامه عامة؛ ممتنًا لله بها، بقوله: "أوتيت جوامع الكلم" وهو "إيجاز القصر"، يقول الرافعي: "اجتماع الكلام وقلة ألفاظه، مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد ولا تكلف، ومع إبانة المعنى واستغراق أجزائه، وأن يكون ذلك عادة وخلقًا يجري عليه الكلام في معنى معنى، وفي باب باب – شيء لم يعرف في هذه اللغة لغيره ﷺ"[١].

وقد أتى الإيجاز بنوعيه في التشهد على النحو الآتي:

أولًا: إيجاز قصر، وهو وجود المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، وهو عين ما قاله أصحاب رسول الله ﷺ: فعَنْ عَبْدِ الله . رضي الله عنه . قَالَ: كُنَّا لَا نَدْرِي مَا نَقُولُ إِذَا صَلَّيْنَا، فَعَلَّمَنَا نَبِيُّ الله ﷺ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، فَقَالَ لَنَا: "قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لله..."[٢]، فصيغة التشهد على وجازتها، تحتها كثير من المعاني، من التعظيم والخضوع والرغبة والرهبة، والتزام دوام العبودية والإخلاص والذل، والثناء على الله، والاعتراف بالعبودية، واشتمالها على كلمة التوحيد، وقد

---

١)) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ١/ ٢٠٥.

٢)) سنن النسائي، كتاب: التطبيق، باب: الإشارة بالأصبع في التشهد الأول، رقم: ١١٦٧، ٢/٢٣٩.

استوعب النبي ﷺ حق المقام، وألم بحاجات المخاطبين بالتشهد، فجاء بهذا اللفظ الموجز المتقن، ومما اشتملت عليه من معانٍ.

أ . جمعت كل الحقوق التي أوجبها الله على العبد، حق الله . تعالى . ورسوله ﷺ والمسلمين، حق الله بإجلاله (التحيات لله والصلوات والطيبات)، وحق رسوله ﷺ بالسلام عليه (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)، وحق النفس (السلام علينا)، وحق المؤمنين (وعلى عباد الله الصالحين)، والتوحيد والإسلام (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله)؛ ولذا استنبط العلماء منها أن من ترك الصلاة أخل بحق الله . تعالى . وحق رسوله ﷺ وحق المؤمنين، يقول ابن حجر: "قال القفال في فتاويه: ترك الصلاة يضر بجميع المسلمين؛ لأن المصلي يقول: اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات، ولا بد أن يقول في التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فيكون التارك مقصرًا بخدمة لله، وفي حق رسوله، وفي حق نفسه، وفي حق المسلمين كافة؛ ولذلك عظمت المعصية بتركها، واستنبط منه السبكي أن في الصلاة حقًّا للعباد مع حق الله، وأن من تركها أخل بحق جميع المؤمنين من مضى، ومن يجيء إلى يوم القيامة لوجوب قوله فيها: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"[١].

ب . إجلال الله في أوجز لفظ وأخصره.

ج . (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)، فـ (السلام) دفعت عن رسول الله ﷺ كل شر، و (ورحمة الله) جلبت له كل خير، و (بركاته) أدامته له، وثبتته عنده، وأفادت وجوب تقديم النبي على النفس، وأن حقه علينا أعظم من حق أنفسنا علينا.

---

١)) فتح الباري لابن حجر، ٣١٧/٢.

د . (وعلى عباد الله الصالحين) أغنت عن عدهم فردًا فردًا منذ خلق الله الخلق.

هـ . صلاح العبد يوجب له دعاء عموم الأمة.

ثانيًا: إيجاز الحذف: والحذف يأتي لمعانٍ فخمة، ويشتمل على أسرار تتكشف بالسياق؛ فلذا فإنه يتعين على الدارس أن يتدسس في ثنايا النص مدققًا، مستعينًا بهمس السياق وقرائن الأحول للوقوف على لطائف ودقائق الحذف، فحذف المسند من جملتي: (والصلوات والطيبات) يشير إلى تعيينها لله، فلا تنصرف إلا إليه.

٢ . التعريف بأل الجنس:

شاع في ألفاظ مفردات التحيات التعريف بلام الجنس: "التحيات، الصلوات، الطيبات، السلام" التي يراد بمدخولها الحقيقة نفسها دون ما ينطوي تحتها من أفراد.

٣ . ترتيب الجمل:

مناط الترتيب هو الأحقية، الأعظم فالأعظم حقًّا، فبدئ بالأعظم حقًّا، حق الله . تعالى . فحق النبي ﷺ، فحق النفس، فحق عباد الله الصالحين، فبدأ بتمجيد الله وتحميده، ثم ثنى بالسلام على نبيه ﷺ؛ لشريف قدره، وقدمه على النفس، فضلًا عن الغير، ثم قدم النفس على الغير؛ فحق الله، وحق رسول الله مقدم على حقوق أنفسنا، فيجب على الإنسان أن يقدم حق الله وحق رسوله على حقه نفسه، ويقدم حق نفسه على غيره من الصالحين، إلا إذا كان لغيره حق عليه، فإنه يقدمه على نفسه، فإذا أهدى إنسان إليك معروفًا، تقول له:

جزاك الله خيرًا، ولا تقول: جزاني الله، وجزاك خيرًا؛ لأن هذا مكافأة، وفي المكافأة لا تبدأ بنفسك، بل تبدأ بمن تكافئه لا بنفسك[١].

٤ . بناء جمل التحيات على الأخبار الابتدائية الخالية من أدوات التوكيد، حتى صيغة التشهد في جلِّ رواياتها خلت من (وحده لا شريك له).

٥ . التعبير بالخبر موضع الإنشاء (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين).

٦ . شيوع الفصل بين الجمل (التحيات لله، الصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله) خمس جمل فصلت جميعها عن بعض.

٧ . بناء التشهد على الجمل الاسمية التي تفيد الثبوت والدوام، خلا الشهادتين التي أتت بالجملة الفعلية؛ ليفيد ذلك وجوب تجددهما، ومواصلة العبد النطق بهما.

٨ . التشهد مع قلة ألفاظه جمع كثيرًا من المعاني:

أ . جُمع لهذا النص كل معاني الجلال، جلال اللفظ، جلال المعنى، جلال المنشأ، فقائله رسول الله ﷺ، جلال المنبع؛ إذ ألفاظه وتراكيبه، ونظمه مستقى من القرآن الكريم، جمع له من جلال البيان القرآني والبيان النبوي لتناسب جلال الله . تعالى . وجلال الزمان في الصلاة، وجلال المكان في محاريب العبادة، وجلال الهيئة هيئة المتشهد بما فيها من خضوع وخشوع.

---

١)) ينظر: الشرح المختصر على بلوغ المرام، ٣/١٥٥.

ب . جمع شهادات لله بالوحدانية في: (التحيات لله)، (والصلوات والطيبات)، (وأشهد أن لا إله إلا الله).

ج . جمع أدلة متعددة (لله) تقرر توحيد الألوهية، وهي: "التحيات لله، والصلوات، والطيبات"، وأنه لا يدعى أحد معه . جلَّ شأنه . بقوله: "السلام عليك أيها النبي...السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"، ففصلهم عنه في الصيغة، فلا يدعون مع الله، وبقوله: "أشهد أن لا إله إلا الله".

د . جمع ثلاثة حقوق لله، وهي جماع حقوقه على البشر: (التحيات، والصلوات، والطيبات)، فحقوقه هي: التعظيم الكامل (التحيات)، والعبادة بما فيه من خضوع تام (والصلوات)، والإخلاص في العبادات (والطيبات).

هـ . جمع بين الرهبة والرغبة، الرهبة بجلسة التشهد وما فيها من تأدب، وقوله: "التحيات لله" بما فيها من تعظيم واعتراف بجلال الله، والرغبة بالدعاء لله للنبي ﷺ والنفس وعباد الله الصالحين.

و . جمع لرسول الله اسمًا وثلاثة معاني: (محمدًا، والنبي، وعبده، ورسوله).

ز . جمع السلام لرسول ثلاث مرات في: (السلام عليك أيها النبي...السلام علينا...وعلى عباد الله الصالحين)؛ إذ إنه ﷺ يندرج فيهم، وهو من جملتهم، بل إمامهم وأولهم.

ح . جمع الشرف لرسول الله في مواطن: (أيها النبي)، و (عبده، ورسوله)، وعطف الشهادة له على الشهادة لله . تعالى . حتى صارا شهادة واحدة، لا تكفي واحدة منهما عن الأخرى، كما قرن السلام عليه ﷺ بالثناء على الله . جلَّ شأنه . والثناء عليه في أشرف المواقف وهي الصلاة.

ط . عرّف برسول الله تعريفًا تامًّا، فهو (محمدًا) الذي تعرفونه بكمال أخلاقه، وحسن معاملته حتى شهدتم له، و (النبي) المكرم على ربه، والمستوجب التشريف لمقام النبوة، و (عبده) الكامل في العبودية بدليل إضافته إلى ضمير يعود على ذي العزة والجلال، و (رسوله) المبلغ عنه شرعه.

ي . جمع ثلاثة أمور لرسول الله ﷺ في الدعاء: (السلام، والرحمة، والبركة).

ك . جمع لإخوانه من المؤمنين وصفين: (عباد الله، والصالحين) فعرف بهم تعريفًا تامًّا بكونهم عبادًا لله، وصالحين؛ أي استقاموا على عبوديتهم لله، جمع الشرف لهم بذكرهم في أشرف العبادات وهي الصلاة، وأوجب دعاء المؤمنين لهم حتى جعله ذكرًا نتعبد به.

ل . جمع السلام للمصلي مرتين: (السلام علينا)، و (على عباد الله الصالحين).

م . جمع لصحة قبول الطاعات أمرين الإخلاص: (والصلوات) أي لله، فالعبادة له وحده، والاتباع: (والطيبات)، وكررهما في: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله) طاعة لله، واتباع للنبي ﷺ، وفي (الصالحين)؛ إذ معناه استقاموا باطنًا بالإخلاص، وظاهرًا بصحة المتابعة.

و . جمع دلائل مغايرة مقام النبوة لمقام الألوهية بقوله: (السلام عليك) فهو مدعو له، وقوله: (عبده) بإضافته إلى ضمير ذي العزة والجلال.

ن . أثنى على أصحابه . رضوان الله عليهم . في أكثر من موطن، بقوله: "فإذا قلتم أصاب كل عبد"، وقوله: "ثم يتخير من الدعاء ما شاء"؛ فبيّن في الموضعين حسن ظنه فيهم.

س . جمع بين مقام الألوهية ومقام النبوة في اللفظ؛ ليظهر الفرق بينهما؛ فحين وصف الله . تعالى . بالبقاء الدائم، والملك الثابت، وأثبت له جميع التعظيمات، وكل الثناء، وجه السلام إلى النبي؛ ليبين أن الإله مدعو، والنبي مدعو له، ثم أتبع ذلك بذكر التوحيد بالشهادة بإنفراد الله بالألوهية، والنبي بالعبودية والرسالة.

٩ . شاعت المقابلة، لا بمعناها المصطلحي، وإنما مقابلات بين المعاني:

أ . قابل التعظيم لله . تعالى . بالافتقار للنبي ﷺ والصالحين بالدعاء لهم، مقابلة بين مدعو ومدعو له.

ب . قابل ألوهية الله سبحانه بعبودية رسول الله ﷺ وعباده الصالحين، مقابلة بين إله وعبد.

ج . قابل بين مقام الألوهية ومقام النبوة، فلمقام الألوهية التعظيم، ولمقام النبوة العبودية، فالإله مدعو لا يدعى له، فليس فوقه أحد، فهو الكامل . سبحانه . في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، والإله يعبد، والنبي مدعو له فهو مفتقر إلى الله، والمفتقر لا يصلح للألوهية، مقامه كريم؛ لذا فإنه يتبع ويطاع لكن لا يعبد.

د . قابل بين مقام النبوة ومقام عباد الله الصالحين، فمقام النبوة له التشريف والتقديم، ومقام عباد الله الصالحين له الإتباع والطاعة له ﷺ لكونه نبيًّا ورسولًا.

هـ . قابل في تعليمه لأصحابه بين خطأ قولهم: "السلام على الله" فنهاهم عنه صراحة، وحسن مقصدهم، وصدق نيتهم، فقال: "فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء والأرض".

١٠ . تحقق في التحيات قول الله: "ورفعنا لك ذكرك"؛ إذ قرن الثناء على الله بالثناء على النبي ﷺ.

١١ . جاء في التحيات إثبات حقوق أربعة، حق الله . تعالى . النبي ﷺ النفس، عباد الله الصالحين، وغاير بين إثبات هذه الحقوق، فجعل حق الله واجبًا لذاته، فقال: (التحيات لله)، أما حق النبي فلنبوته، فلم يقل السلام على محمد، وإنما قال: (السلام عليك أيها النبي)، وحق عباد الله استوجبوه بصلاحهم، وحق النفس بلا قيد أو شرط، فبدا فرقًا شاسعًا بين مقام الألوهية، ومقام النبوة، وبين حق نفسك عليك، فهذا بلا شرط، وحق غيرك عليك، وهذا بقيد الصلاح.

خـــاتـــمـــة

انتهى البحث إلى عدد من النتائج هي:

١. البيان النبوي يمتح من معين الوحي الإلهي، وصدق العلي الحكيم؛ إذ يقول في وصفه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾، فقد أظهر البحث مدى تأثر البيان النبوي بالوحي الإلهي، وأنهما يخرجان من مشكاة واحدة.

٢. اشتمل التشهد على وجازة لفظه بحورًا من المعاني التي يقف عليها طوائف العلماء للاستنباط منه، واستلهام معانيه.

٣ . أظهر التشهد سمو الذوق عند رسول الله ﷺ، فلم يكن منشئًا للبيان، وإنما كان متذوقًا ومحلًلا للبيان، فنص التشهد نبت من أحضان ذوقه ﷺ، وقف مع جملتين، وولد منهما خمسة جمل، وهذه ظاهرة سأشفعها ببحث حول سمو الذوق عند رسول الله ﷺ.

٤ . بين البحث سمو الذائقة البيانية لأصحاب رسول الله ﷺ فشهاداتهم على البيان مقاييس يحتكم إليها، لها أسسها، فقولهم: "علمنا رسول الله ﷺ جوامع الخير، وخواتمه، وفواتحه" عبارات ليست مبالغة، ولا إطراء لبيان رسول الله ﷺ، وإنما هي أحكام صائبة، وهي ظاهرة سأجليها ببحث إن شاء الله.

٥ . وضحت بجلاء نظرية النظم في نص التشهد؛ فرتب الألفاظ وفق ترتب المعاني في النفس، وفصل ما عطف الصحابة بعضه على بعض؛ لعدم الاشتراك في المعنى.

٦ . استخدم رسول الله ﷺ وسائل متعددة في الإبانة عن مقصده، منها: الحروف "أل الجنس، وحروف العطف"، والجمع: "التحيات، والصلوات، والطيبات"، فأغنت الصيغ والحروف في حديثه عن صفحات من البيان.

٧ . استخدم رسول الله ﷺ الروابط بين الجمل، وترتيب بعضها على بعض استخدامًا كبيرًا في الإبانة عن المعاني إبانة جيدة.

٨ . أبرز البحث أساسًا من أسس تذوق الكلام، وهو عدم ملاءمة الكلام للمحدث عنه.

٩ . بيّن البحث وجوب الجمع بين الروايات المختلفة للحديث؛ إذ إن الجمع بينها يعطي دلالات بلاغية لا تعطيها النظرة الجزئية.

١٠ . أظهر البحث جانبًا مهمًا هو وجوب النظر في الروايات المختلفة للحديث النبوي، وعلاقتها بالكتاب والباب الذي وضعت فيه، وأنه لا تغني رواية عن أخرى، أو تحل محلها، مما ينبئ بتوفيق بالغ عند سادتنا المحدثين.

١١ . وظف رسول الله ﷺ التعبير بالخروج على خلاف مقتضى الظاهر في أكثر من موطن توظيفًا خدم السياق، وكان وراءه أسرار بلاغية دقيقة يكشفها التأمل، والتسمع لهمس السياق.

١٢ . الأمور الثلاثة التي وردت في صدر التحيات تُعدُّ جامعة لحقوق الله تعالى على عباده.

١٣ . أعطى التشهد آداب الدعاء، وهي: تقديم الحمد والثناء على الله . تعالى . والصلاة على نبيه ﷺ والدعاء بما يشاء المرء، ويقدم نفسه على غيره، ثم يختم بالثناء على الله . تعالى . والصلاة على نبيه ﷺ.

١٤ . التدبر في التشهد سياقًا، ومقامًا، ووقتًا، وهيئة، وتدبرًا لمعانيه يعلم يقينًا أن الصلاة هي الغنيمة الكبرى للمسلم، وليس هناك ما هو أكمل منها، أو أتم، ولا يتصور ذلك في عقل متدبر.

١٥ . أدى العطف دورًا مهمًا في التحيات، فالعطف بين التحيات والصلوات والطيبات، وبين السلام ورحمة الله وبركاته، وبين السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وبين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، جعل المعطوفات فيما بينها أمورًا مقترنة بمنزلة واحدة في إثباتها.

١٦ . أدى الفصل دورًا مهمًا في التحيات، فالفصل بين (التحيات)، و (السلام عليك أيها النبي)، وبين (السلام عليك أيها النبي)، و (السلام علينا)، وبين (السلام علينا)، و (أشهد أن ا إله إلا الله) أفاد أنها جمل متمايزة لا يصلح اقترانها ببعضها لعدم التساوي في المعنى الذي تفيده كل منهما، فما تدعو به لرسول الله ﷺ أعلى في معناه مما تدعو به لنفسك، ومقدم عليه.

١٧ . إسقاط السلام في (وعلى عباد الله الصالحين) يفيد اشتراك معنى السلام بين علينا وعلى عباد الله الصالحين، فما تدعو به لنفسك وتحبه لها، تدعو به لإخوانك، وتسأله الله لهم.

١٨ . العطف في (وأشهد) يفيد اقترانهما، فسقوط إحداهما يسقط الأخرى.

١٩ . لكل لفظ وحرف في التحيات معان وإيحاءات أغنت عن كثير من الكلمات والجمل والعبارات، فكان من خلاله وجازة اللفظ، وتكاثر المعاني وتناميها.

٢٠.كشف البحث أن التحيات لم تكن ذكرًا للصلاة فحسب؛ وإنما صحح بها رسول الله ﷺ كثيرًا من التصورات لدى أصحابه . رضوان الله عليهم ..

٢١ . وظف الجمل توظيفًا جيدًا، فاستخدم الجملة الاسمية في مواطن يفيد بها ثبوت المعاني، ودوامها، وأتى بالجملة الفعلية؛ لما يريد تكرر حدوثه من العبد، وحثه على تجدد ذلك منه، وهي الشهادتين.

قائمة المصادر والمراجع

١. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (ت: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٢ . اختلاف الحديث، للشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، (ت: ٢٠٤هـ)، ت: رفعت فوزي عبد المطلب، الناشر: دار الوفاء المنصورة – مصر، ط: الأولى ١٤٢٢ هـ.

٣ . إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، (ت: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الأميرية، مصر، ط: السابعة، ١٣٢٣هـ.

٤ . الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، ت: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠م.

٥ . أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

٦ . إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، أبو بكر عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (ت: ١٣١٠هـ)، الناشر: دار الفكر، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م.

٧ . إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط/ الثامنة، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٥ م.

٨ . الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ)، ت: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، الناشر: دار العاصمة، السعودية، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.

٩ . أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، ت: د. محمد ابن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى، ط: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

١٠ . الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (ت: ٥٦٠هـ)، ت: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الوطن، سنة النشر: ١٤١٧هـ.

١١ . الأم، للشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، دون ط، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٢ . الأم مع مختصر المزني، للشافعي، مصدر الكتاب: موقع يعسوب، دار النشر: دار الفكر، ط: الاولى: ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م، ط الثانية: ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م بيروت.

١٣ . ألف فتوى للشيخ الالباني، جمع وترتيب: أبو سند فتح الله، تم استيراده من نسخة: المكتبة الشاملة.

١٤ . البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم الحنفي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط/ الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

١٥ . بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي)، الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل (ت ٥٠٢ هـ)، ت: طارق فتحي السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ٢٠٠٩ م.

١٦ . بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: ٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٧ . بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٨ . بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، دون ط، تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٩ . البداية والنهاية، لابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، ت: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

٢٠ . البناية شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢١ . تأسيس الأحكام بشرح عمدة الأحكام على ما صح عن خير الأنام، شرح وتعليق: الشيخ العلامة/ أحمد بن يحيى النجمي . حفظه الله، تم استيراده من نسخة المكتبة الشاملة.

٢٢ . تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، الناشر دار الكتب الإسلامي، القاهرة، ١٣١٣هـ.

٢٣ . التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه: محَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق أبو مصعب، الناشر: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض، السعودية، ط: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

٢٤ . التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، للطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٢٥ . تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب)، سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان – ١٤١٧هـ -١٩٩٦م، ط: الأولى.

٢٦ . تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (ت: ١٢٢١هـ)، الناشر: دار الفكر، دون ط، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٧ . تحفة الفقهاء، محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي (ت: نحو ٥٤٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

٢٨ . تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر، دون ط، عام النشر: ١٣٥٧ هـ - ١٩٨٣م، (ثم صورتها دار إحياء التراث العربي - بيروت، دون ط و ت).

٢٩ . التعليق الممجد على موطأ محمد (شرح لموطأ مالك برواية محمد بن الحسن)، محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات (ت: ١٣٠٤هـ)، تعليق وتحقيق: تقي الدين الندوي، الناشر: دار القلم، دمشق، ط: الرابعة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣٠ . تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، عام النشر: ١٣٨٩ - ١٩٦٩ هـ.

٣١ . التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ)، ت: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، ط: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

٣٢ . توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (ت: ١٤٢٣هـ)، الناشر: مكتَبة الأسدي، مكّة المكرّمة، ط: الخامِسَة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٣٣ . التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ)، ت: دار الفلاح

للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٣٤ . تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد ابن حمد البسام (ت: ١٤٢٣هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة الصحابة، الأمارات – مكتبة التابعين، القاهرة، ط: العاشرة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦م.

٣٥ . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦ هـ)، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم/ محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٦ . جلسات رمضانية ١٤١٠ هـ – ١٤١٥ هـ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

٣٧ . الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، ت: د فخر الدين قباوة –الأستاذ/ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

٣٨ . حاشيتا قليوبي وعميرة، أحمد سلامة القليوبي، وأحمد البرلسي عميرة، الناشر: دار الفكر – بيروت، دون ط، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

٣٩ . حاشية الجمل على شرح المنهج، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٤٠ . حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، ابن عابد محمد علاء الدين أفندي، الناشر: دار الفكر، سنة النشر: ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م، بيروت.

٤١ . حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (ت: ١٣٩٢هـ)، ط: الأولى – ١٣٩٧ هـ، مصدر الكتاب: ملفات وورد في ملتقى أهل الحديث.

٤٢ . حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (ت: ١١٣٨هـ)، الناشر: دار الجيل – بيروت، دون ط.

٤٣ . حاشية السندي على سنن النسائي، نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، ت: عبد الفتاح أبو غدة.

٤٤ . حاشية السيوطي والسندي على سنن النسائي، عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، مصدر الكتاب: موقع الإسلام.

٤٥ . حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي، ت ١٢٣١ هـ، ت: محمد عبد العزيز الخالدي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط/ الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٤٦ . حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم المعروف بـ «الشاه ولي الله الدهلوي» (ت: ١١٧٦هـ)، ت: السيد سابق، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥م.

٤٧ . الحجة على أهل المدينة، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (ت: ١٨٩هـ)، ت: مهدي حسن الكيلاني القادري، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٤٨ . الدر المختار وحاشية ابن عابدين = رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (ت: ١٢٥٢هـ)، الناشر: دار الفكر–بيروت، ط: الثانية، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٤٩ . دروس عمدة الفقه، الشارح: الشيخ محمد المختار الشنقيطي، تم استيراده من نسخة: المكتبة الشاملة.

٥٠ . دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، ت: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٥١ . الروض الأنف الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ.

٥٢ . الروضة الندية (ومعها: التعليقاتُ الرَّضية على «الرَّوضة النّديَّة»)، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، تعليقات بقلم: الشيخ/ محمَّد نَاصِر الدّين الألْبَاني، ضبط نصَّه، وحقَّقه، وَقَام على نشره: علي بن حسَن بن علي بن عَبد الحميد

الحَلبيُّ الأثريّ، الناشر: دَارُ ابن القيّم، الرياض، دَار ابن عفَّان، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣م.

٥٣ . رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدين الفاكهاني (ت: ٧٣٤هـ)، ت ودراسة: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، ط: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٥٤ . سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، (ت: ١١٨٢هـ)، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي القاهرة - مصر، ط: الرابعة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

٥٥ . السنة بيانًا للقرآن، للدكتور/ إبراهيم الخولي، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، ط/ الثانية، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.

٥٦ . سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٥٧ . سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٥٨ . سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)،

الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٥٩ . السنن الكبرى، للنسائي (ت: ٣٠٣ هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، رقم الحديث: ٨٣٠١، ٧/٣٩٠، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٦٠ . السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥، ت: محمود إبراهيم زايد.

٦١ . شرح بلوغ المرام، مؤلف الأصل: ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير.

٦٢ . شرح بلوغ المرام، عطية بن محمد سالم (ت: ١٤٢٠هـ)، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

٦٣ . شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، أبو مسلم مجدي بن عبد الوهاب الأحمد، صححه وعلق عليه: مؤلف حصن المسلم، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: م ط سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

٦٤ . شرح زاد المستقنع، محمد بن محمد المختار الشنقيطي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

٦٥ . شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، ت: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٦٦ . شرح سنن ابن ماجه – الإعلام بسنته عليه السلام، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (ت : ٧٦٢هـ)، ت :كامل عويضة، الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط : الأولى ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.

٦٧ . شرح سنن ابن ماجه، مجموع من ٣ شروح: «مصباح الزجاجة» للسيوطي (ت ٩١١ هـ)، و«إنجاح الحاجة» لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي (ت ١٢٩٦ هـ)، و «ما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات» لفخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي (١٣١٥ هـ)، الناشر: قديمي كتب خانة – كراتشي.

٦٨ . شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ)، ت: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ –١٩٩٩ م.

٦٩ . شرح سنن أبي داود، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

٧٠ . شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، الناشر: دار المعراج الدولية للنشر

[جـ ١ – ٥]، دار آل بروم للنشر والتوزيع [جـ ٦ – ٤٠]، ط: الأولى، جـ (١ – ٥) / ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م، جـ (٦ – ٧) / ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م، جـ (٨ – ٩) / ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، جـ (١٠ – ١٢) / ١٤١٩ هـ – ٢٠٠٠ م، جـ (١٣ – ٤٠) / ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٧١ . شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد . السعودية، الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٧٢. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، ت: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، عدد الأجزاء: ١٣ (١٢ ومجلد للفهارس)، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٧٣ . شرح عمدة الأحكام، مؤلف الأصل: عبد الغني المقدسي (ت: ٦٠٠هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير.

٧٤ . شرح عمدة الأحكام، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

٧٥ . شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤٠٥ هـ.

٧٦ . شرح المحرر في الحديث، مؤلف الأصل: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت: ٧٤٤هـ)، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير.

٧٧ . شرح مختصر الطحاوي، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠ هـ)، ت: د/ عصمت الله عنايت الله محمد – أ. د/ سائد بكداش – د / محمد عبيد الله خان – د/ زينب محمد حسن فلاتة، أعد الكتاب للطباعة وراجعه وصححه: أ. د/ سائد بكداش، الناشر: دار البشائر الإسلامية – ودار السراج، ط: الأولى ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

٧٨ . الشرح المختصر على بلوغ المرام، محمد بن صالح بن عثيمين، بعد صلاة العصر مباشرة في الجامع الكبير في مدينة عنيزة، تم استيراده من نسخة: ياسر أبو ميز.

٧٩ . شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى، ١٣٩٩، ت: محمد زهري النجار.

٨٠ . الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار النشر :دار ابن الجوزي، ط: الأولى، ١٤٢٢ – ١٤٢٨هـ.

٨١ . شرح الموطأ، مؤلف الأصل: مالك بن أنس الأصبحي المدني (ت: ١٧٩هـ)، الشارح: عبد الكريم ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير.

٨٢ . صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع –الرياض.

٨٣ . الصلاة وأحكام تاركها، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة.

٨٤ . عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨٥ . العناية شرح الهداية، محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (ت: ٧٨٦هـ)، الناشر: دار الفكر، دون ط وتاريخ.

٨٦ . غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ط: دار الكتب العلمية – بيروت . لبنان – ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م، ط : الأولى، ت : الشيخ زكريا عميرات.

٨٧ . الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ) [هو شرح البهجة الوردية لابن الوردي، عمر بن مظفر (ت: ٧٤٩ هـ)]، مصدر الكتاب: موقع الإسلام.

٨٨ . فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٨٩ . فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، ت: مجموعة من المحققين، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية –المدينة النبوية، الحقوق: مكتب ت دار الحرمين – القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م.

٩٠ . فتح العزيز بشرح الوجيز = الشرح الكبير [وهو شرح لكتاب الوجيز في الفقه الشافعي لأبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ)]، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت: ٦٢٣هـ)، الناشر: دار الفكر.

٩١ . فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين، زين الدين أحمد بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي بن أحمد المعبري المليباري الهندي (ت: ٩٨٧هـ)، الناشر: دار الفكر . بيروت.

٩٢ . الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٩٣ . الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ (الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها)، أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلاميّ وأصوله بجامعة دمشق –كلّيَّة الشَّريعة، الناشر: دار الفكر – سوريَّة – دمشق، ط: الرَّابعة المنقَّحة المعدَّلة بالنِّسبة لما سبقها (وهي الطبعة الثانية عشرة لما تقدمها من طبعات مصورة).

٩٤ . الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، اشترك في تأليف هذه السلسلة: الدكتور/ مُصطفى الخِنْ، الدكتور/ مُصطفى البُغا، علي الشّرْبجي، الناشر: دار القلم، دمشق، ط: الرابعة، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

٩٥ . فيض الباري على صحيح البخاري، (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (ت: ١٣٥٣هـ)، ت: محمد بدر عالم الميرتهي، (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض

الباري)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٩٦ . الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب، محمد بن عبد الحق اليفرني (٦٢٥ هـ)، ت: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان، ط: الأولى، ٢٠٠١ م.

٩٧ . الكتاب، لسيبويه (ت: ١٨٠هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٩٨ . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٩٩ . كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨ هـ)، اعتنى به تحقيقًا وضبطًا وتخريجًا: نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، دار النوادر – سوريا، ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

١٠٠ . كفاية النبيه في شرح التنبيه، أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة (ت: ٧١٠هـ)، ت: مجدي محمد سرور باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ٢٠٠٩م.

١٠١ . الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، ت: عدنان درويش – محمد المصري.

١٠٢ . الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت: ٧٨٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط: الأولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، ط ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٠٣ .كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري، محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٥٤هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٠٤ . اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (ت: ٨٣١ هـ)، ت ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، ط: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

١٠٥ . اللباب في الجمع بين السنة والكتاب، جمال الدين أبو محمد علي بن أبي يحيى زكريا بن مسعود الأنصاري الخزرجي المنبجي (ت: ٦٨٦هـ)، ت: د. محمد فضل عبد العزيز المراد، الناشر: دار القلم - الدار الشامية - سوريا / دمشق - لبنان / بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٠٦ . لسان العرب، لابن منظور (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

١٠٧ . المبسوط للسرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ)، دراسة وتحقيق: خليل محي الدين الميس، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

١٠٨ . مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت: ١٣٥٩هـ)، الناشر: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٠٩ . المجتبى من السنن= السنن الصغرى للنسائي، (ت: ٣٠٣هـ)، ت: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.

١١٠ . مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المدعو بشيخي زاده، (ت: ١٠٧٨هـ)، ت: خليل عمران المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ.

١١١ . المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.

١١٢ . المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، دون ط وتاريخ.

١١٣ . المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة . رضي الله عنه . أبو المعالي برهان الدين محمود ابن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (ت: ٦١٦هـ)، ت: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.

١١٤ . مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح، حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ)، اعتنى به وراجعه: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م.

١١٥ . مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت: ١٤١٤هـ)، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، ط: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

١١٦ . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

١١٧ . المسالك في شرح موطأ مالك، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، ت: محمد بن الحسين السليماني، عائشة بنت الحسين السليماني، الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت، ط: الأولى ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

١١٨ . المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت: ٢٦١هـ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١١٩ . المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٢٠ . مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ)، ت: محمد عوامة، نشر: دار القبلة، ومؤسسة علوم القرآن، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٢١ . معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، ت: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

١٢٢ . معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ط: ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م.

١٢٣ . المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (ت: ٧٢٧ هـ)، ت ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، ط: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.

١٢٤ . المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، ت: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة.

١٢٥ . منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الطائف، عام النشر: ١٤١٠هـ – ١٩٩٠ م.

١٢٦ . المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت: ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة، ط: الأولى، ١٣٣٢ هـ، (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – ط: الثانية، بدون تاريخ).

١٢٧ . منحة العلام شرح بلوغ المرام، عبد الله بن صالح الفوزان، تم استيراده من نسخة: المكتبة الشاملة.

١٢٨ . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٢٩ . المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، (ت: ٩٧٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٣٠ . الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا، ط: (من ١٤٠٤ – ١٤٢٧هـ)، الأجزاء ١ – ٢٣: ط الثانية، دار السلاسل – الكويت، الأجزاء ٢٤ – ٣٨: ط الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر، الأجزاء ٣٩ – ٤٥: ط الثانية، طبعة الوزارة.

١٣١ . موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت: ١٧٩هـ)، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: المكتبة العلمية، الطبعة: الثانية، مَزِيَدة منقحَة.

١٣٢ . الميسر في شرح مصابيح السنة، فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف، شهاب الدين التُّورِبِشْتِي (ت: ٦٦١ هـ)، ت: عبد الحميد هنداوي، الناشر: نزار مصطفى الباز، ط: الثانية، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

١٣٣ . النجم الوهاج في شرح المنهاج، كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي (ت: ٨٠٨هـ)، الناشر: دار المنهاج (جدة)، ت: لجنة علمية، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٣٤ . نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ)، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٣٥ . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٣٦ . النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ت: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

١٣٧ . نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (ت: ١٠٠٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط أخيرة - ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٣٨ . نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، ت: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، ط: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٣٩ . الهداية في شرح بداية المبتدي، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين (ت: ٥٩٣هـ)، ت: طلال يوسف، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

١٤٠ . وبل الغمامة شرح عمدة الفقه لابن قدامة (من كتاب الطهارة إلى كتاب الصيام)، شرح عمدة الأحكام في الفقه (الطهارة والصلاة والجنائز)، شرح عمدة الفقه لابن قدامة (كتاب الزكاة والصيام)، د/ عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار.